مجلة بحوث
كليـــــــــــــة الآداب

البحث (٧)

الأغراض الشعرية فى مجالس ثعلب

إعـــداد

أ / ياسمين بنت دخيل بن بخيت اللهيبى

السنة ٢٣ العدد (٨٨) يناير ٢٠١٢م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rjfa2012@ Gmail.com

Scanned with CamScanner

(الأغراض الشـــعرية في مجـــالس ثعـــلب)

أ/ياسمين بنت دخيل بن بخيت اللهيبي

ملخص البحث

الطالبة : ياسمين بنت دخيل بن بخيت اللهيبي .

عنوان البحث : الأغراض الشعرية في مجالس ثعلب.

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

وبعد :

اشتمل هذا البحث على : مقدمة ، وتمهيد ، يقفوهما مبحث الأغراض الشعرية المتضمن لعدة محاور، وتتبعها خاتمة تتضمّن أهمّ النتائج التي توصلت إليها .

- المقدمة : أشرت فيها إلى عدّة أمور ، هي : أسباب اختيار الموضـــوع ، الدراسات السابقة ، خطّة البحث .
- التمهيد : تحدثت فيه عن ترجمة للعالم الجليل الذي ندرس كتابه ، وهـــو أبو العباس ثعلب ، من الناحيتين : الشخصية والعلمية ، هذا ، وقد تحدّثت عن علاقة كتاب (قواعد الشعر) – الذي رُجح نسبته إلى ثعلب – بتلـــك الاختيارات الشعرية الواردة في مجالسه .
- مبحث الأغراض الشعرية : تناولت دراسة المختارات الشعرية الواردة فـــي (مجالس ثعلب) دراسة موضوعية ، وذلك من خلال الحديث عن الأغـــراض الشعرية فيها مراعية في الدراسة حسب أكثريتها .
- ثم ذيلت ما سبق بخاتمة تتضمّن أهمّ النتائج ، منها ما يلي :

١/ تطرّق ثعلب من خلال مختاراته الشعرية إلى معظـــم موضـــوعات الشعر العربي ، كالوصف ، والغزل ، والهجاء ، والمدح ، والفخـــر ، والحكمة ، والزهد ، والإخوانيات . وقد أثبتُ أن ثعلب أكثر من غـــرض الوصف قياساً بالأغراض الأخرى ؛ وذلك لتلاؤمه مع مذهبه اللغوي .

- ثم طرزته بالفهارس الملائمة لمتطلبات البحث .

Scanned with CamScanner

مقدمة

الحمد لله المتفضل بالإنعام ، حمدًا يليق بجلاله سبحانه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الهدى والأنام ، وعلى آله الطاهرين ، وصحابته الكرام ، ومن سار على هديه بإيمان إلى يوم الدين أفضل السلام .. وبعد :

يُعدّ العصر العباسي من أكثر العصور التي واكبت ازدهار الحضارة في كافة جوانب العلم والمعرفة والفن والأدب ، وكان من مظاهر هذا التضخم الحضاري تنوُّع الحياة الثقافية في جميع جوانبها ، من فلسفة ، وعلم ، ولغة ، وأدب ، مما أدى ذلك إلى ظهور العديد من كبار العلماء والأدباء والشعراء الذين كان لهم أثر بارز في تاريخ الثقافة العربية والإسلامية على مدى العصور والحقب ، أمثال : (الجاحظ ، والمبرد ، وأبي العباس ثعلب ، والكسائي ، والصولي ، والدينوري) ، وغيرهم كثير .. وقد اتضح أثر بعضهم من خلال مؤلفاتهم وكتبهم التي أسهمت في ثراء المكتبة الأدبية ، " وإرساء دعائم لغتنا العربية ، وكان لهم الأثر الذي لا يُنسى في رفع صرحها شامخًا ، كما كانت لهم اليد الطولى والفضل الأكبر في بناء تراثنا الأدبي "[1].

ومن خلال هذه المكتبة القيّمة يرى القارئ المتذوّق والمتطلّع الفطن أنها زاخرة بالكثير من الكنوز العربية والثروات العلمية التي يمتلكها أولئك العلماء وغيرهم ممن تربعوا على عرش اللغة العربية ، ومن هنا لا بدّ من تقديم الوفاء لهم ، وبالتالي الوفاء للغتنا العربية ، أن ننقب فيما تركوه ، وأن نبحث فيما خلّفوه . وقد رأيت من خلال هذا البحث والتنقيب ظهور عالم من علماء العربية الذين أسهموا في جانب التأليف المتمثل في كافة مناحي العلم والمعرفة ؛ من أدب ، ونحو ، ولغة ، وصرف ، ألا وهو العالم أبو العباس ثعلب ، ومن أبرز مؤلفاته : (مجالس ثعلب) و(الفصيح) ،و (معاني القرآن) و(قواعد الشعر) و(حدّ النحو) .. لذا سيكون - بإذن الله - محور دراستي في هذا البحث حول (الأغراض الشعرية في مجالس ثعلب) .

والآن أجمل الأسباب التي دفعت إلى اختيار هذا الموضوع في النقاط الآتية :

١/ " الرغبة في البحث والتنقيب بين ثنايا كتب التراث عن لغتنا العربية في عصورها المبكرة ، ومتابعة حركة التأليف فيها وفاءً وولاءً .

---

(١) مقدمة رسالة (أبو العباس ثعلب : العالم اللغوي) ، من إعداد الطالب : السيد محمد محسب رشوان ، وبإشراف الأستاذ الدكتور : محمد أحمد خاطر ، جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية ، قسم أصول اللغة ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ، ص٢ .

Scanned with CamScanner

٢/ وردت في كتب اللغة والأدب نقولات وروايات عديدة عن هذا العالم الذي يدرس كتابه ، وهو أحمد بن يحيى ، المعروف بـ(ثعلب) ، فادركتُ أني حيال علم غزير العلم ، خصب العقل ، حادّ القريحة .(١)

٣/ قدّم أبو العباس ثعلب عُصَارة أفكاره وينابيع فهمه في كافة مجالات اللغة ، والنحو ، والأدب ، والصرف ، ومعاني القرآن ، إلاّ أنّ كلّ الدراسات التي دارت حول كتاب (مجالس ثعلب) انصبّت على كلّ المجالات ، ما عدا مجال الأدب ، فلم يتطرّق إليه أحد ، لذلك أردت أن أتناول من مجال الأدب (الشعر) في هذا الكتاب وذلك من حيث دراسة موضوعاته المتنوعة .

ومن هنا أردت أن أُجلي جانب الشعر في هذا المؤلّف التراثي العظيم ، وذلك بالكشف عنه من خلال دراسة أغراضه المتنوعة.

ومن أجل ذلك كان اختياري لهذا الموضوع ، راجية من الله أن أُوفّق إلى الهدف المنشود .

هذا ، وقد اقتضت طبيعة الخطة التي التزمتها في هذا البحث أن تتمثل في : مقدمة ، وتمهيد ، ومبحث الأغراض الشعرية ، وخاتمة .

التمهيد : سوف أتحدّثُ فيه عن ترجمة للعالم الجليل أبي العباس ثعلب ، وسأعرّف بمولده ونشأته وأبرز شيوخه الذين كان لهم أثرٌ بارزٌ في اتساع مداركه العلمية . كما أعرّف بأهم تلاميذه الذين كانوا يمثلون حلقة وصل بينه وبين من يأتون بعدهم من العصور التالية . وكذلك لم يَفُتني الحديث عن شخصيته العلمية وثناءُ العلماء عليه ، وأبرز المصادر التي استقى منها ثعلب علمه وثقافته ، وجمع عن طريقها زاده ومعارفه ، وكذلك سأتناول السبب الذي أدّى إلى وفاته ، وما خلّفه من ثروة مادية وعلمية ، فالثروة العلمية اتضحت من خلال مؤلفاته القيمة .

إلى جانب ما سبق سوف أتطرّق للحديث عن قيمة كتاب (مجالس ثعلب) ، والمنهج المتبع في الشعر الوارد في مبحث الأغراض الشعرية ، وأيضاً سأتناول علاقة كتاب (قواعد الشعر) – الذي رُجّح نسبته إلى ثعلب – بتلك الاختيارات الشعرية المتناثرة في مجالسه ، فسأتحدّث عن نسبة الكتاب الآنف الذكر إليه ، وأتطرّق بإيجاز إلى أبرز ما يحمله من مسائل بلاغية ونقدية بين دفتيه .

---

(١) المصدر السابق ، ص٢ .

Scanned with CamScanner

-مبحث (الأغراض الشعرية) :

ويشمل مجموعة منتخبة من الشواهد الشعرية التي حملت في داخلها مضامين مختلفة وأسرار دفينة تحتاج إلى شخص متذوّق لاستخراجها ، وهذه المضامين تنوّعت بحسب ما يحمله الشاعر في ذاته من مشاعر وأحاسيس تمكّن من رسمها في لوحة شعرية شملت جميع الأغراض التي يخاطب بها القارئ اللبيب ، ومن هذه الأغراض : الوصف ، والغزل ، والهجاء ، والمدح ، وغيرها .. وسأكشف اللثام عن هذه المحاور في هذا المبحث ، مراعية في الدراسة حسب أكثرتها.

الخاتمة : سوف أتناول أهم ما توصلت إليه في هذا البحث من نتائج وخلاصات ، ثم تذييله بالتوصيات والمقترحات التي لو تحققت لَمَهّدت الطريق إلى دراسة أكمل ، وسبحانه مَن تفرّد بالكمال .

وأخيرًا ، سأطرّز هذا البحث المتواضع بعمل الفهارس الملائمة له ، والتي اقتضتها متطلبات البحث .

وقد كان ما سبق عرضًا موجزًا لمخطط هذا البحث المتواضع الذي أردته مرجعًا ومساعدًا لكُلّ باحث وأديب وقارئ ، فإن حالفه التوفيق وحقق ما كنتُ أرجو ، فما بلغته إلا بفضل العلي القدير ، ثم بفضل الأساتذة الكرام الذين تعاقبوا هذا البحث بنظرةٍ فاحصة وآراء ثاقبة ، متمنية إكمال ما بدأت به من قبل باحثين آخرين ليتمّ هذا العمل ، ويؤتي أكله ، وتغني به مكتبتنا العربية . والله وليّ التوفيق

وإذا كان لي من كلمة أخيرة ، فهي الشكر لله العليّ القدير الذي أعانني على إكمال هذا البحث وإتمامه .

ثم إزجاء الشكر والتقدير لوالدي الكريمين اللذين وقفا إلى جانبي بدعمهما المعنوي والمادي .

والله الحيّ القيومَ أسأل أن يشملني رضاهما مثلما شملني عطفهما ، وأن يحفظهما بعينه التي لا تنام ، ويلبسهما ثياب الصحة والعافية على الدوام .

ولله – سبحانه وتعالى – الحمد في الأولى والآخرة ، وأشكره على نعمه التي لا تُعدّ ولا تُحصى ، وصلى الله على حبيبنا ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أ- ياسمين دخيل اللهيبي

Scanned with CamScanner

أولاً : ترجمة المؤلف (١)

اسمه :

هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار ، قيل : مسعود البلخي

(١) للاستزادة انظر ترجمته في : نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء وأسمائهم ، لأبي عبد الله المرزباني (٢٩٦ هـ - ٣٨٥ هـ) ، باختصار أبي المحاسن يوسف بن محمد الحافظ اليغموري (٦٧٣ هـ) ، على بتحقيقه : ر. فرانزشتاينر بفيسبادن ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م ، ص٢٢٤-٢٣٢ ، الفهرست ، لأبي الفرج محمد بن أبي يعقوب النديم (٤٣٨ هـ) ، تحقيق : رضا تجدد : ص٨٠-٨١ ، تاريخ بغداد ، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق : الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ٥/٢٠٤-٢١٢ ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، لأبي البركات كمال الدين الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ص٢٢٨-٢٣٣ ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ، دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ومصطفى عبد القادر عطا ، راجعه وصححه : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٣/٢٤-٢٥ ، معجم الأدباء ، لأبي عبد الله ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) ، الطبعة الأخيرة ، منقحة ومضبوطة ، وفيها زيادات ، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ، ٥/١٠٢-١٤٦ ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للوزير جمال الدين القفطي (٥٦٨ - ٦٤٦ هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م ، ١/١٧٣-١٨٦ ، تهذيب الأسماء واللغات ، للعلامة الحافظ أبي زكريا محيي الدين النووي (ت ٦٧٦ هـ) ، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية - مصر ، ص٢٧٥ ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين بن خلكان (٦٠٨ هـ - ٦٨١ هـ) ، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ، ط١ ، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م ، ١/٨٤-٨٧ ، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ، لعبد الباقي اليماني (٨٨٠ هـ - ٧٤٣ هـ) ، تحقيق : د. عبد المجيد دياب ، ص٥١-٥٢ ، تذكرة الحفاظ ، للإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن - الهند ، ط٣ ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م ، ٢/٦٦٦-٦٦٧ ، سير أعلام النبلاء ، للإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، حقق الجزء : أكرم البوشي ، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط١ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م ، ١٤/٥-٧ ، العبر في خبر من غبر ، للإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، تحقيق : فؤاد سيد أمين ، دار الكتب المصرية - الكويت ١٩٦١ م ، ٢/٨٨ ، الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) ، باعتناء محمد يوسف نجم ، دار النشر : فرانزشتاينر بفيسبادن ، ط٢ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، ٨/٢٤٣-٢٤٥ ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، للإمام أبي محمد عبد الله اليافعي اليمني المكي (ت ٧٦٨ هـ) ، منشورات مؤسسة الأعلمي ، بيروت - لبنان ، ط٢ ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م ، ٢/٢١٨-٢٢٠ ، البداية والنهاية ، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، ط١ ، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م ، ١١/٩٨ ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لابن تغري بردي الأتابكي (٨١٣ هـ - ٨٧٤ هـ) ، دار الكتب ، ط١ ، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م ، ٣/١٣٣ ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط١ ، ١٩٦٤ م ، ١/٣٩٦-٣٩٨ ، شذرات الذهب في خبر من ذهب ، للمؤرخ الفقيه ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة - بيروت ، ١/٢٠٧-٢٠٨ ، الكنى والألقاب ، للمؤرخ الكبير الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ) ، من منشورات مكتبة الصدر - طهران ، ط٥ ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م ، ٢/١٢٩-١٣٠ .

Scanned with CamScanner

البغداديّ النحوي ، المعروف بـ(ثعلب) ، شيخ اللغة العربية ، فهو شيباني بالولاء ، حيث كان أبواه من موالي بني شيبان ، ويغلب أن يكون فارسي الأصل .

ولادتـــه :

اختلفت المصادر في تاريخ ولادته ، فيروي ياقوت عن أبي العباس ثعلب قوله : " ابتدأت النظر في العربية والشعر واللغة في سنة ستّ عشرة ، ومولدي سنة مائتين في السنة الثانية من خلافة المأمون "[1] . ويقول أبو العباس ثعلب : " مات معروف الكرخي سنة مائتين ، وفيها ولدت "[2] . ويذكر ابن النديم ويؤيده ياقوت : أنّ أبا العباس روي أنه رأى الخليفة المأمون عندما قدم من خراسان سنة أربع ومائتين ، وقد خرج من باب الحديد يريد قصر الرصافة ، والناسُ صفّان في المصلى ، وكان أبوه قد حمله على يده . فلما مرّ المأمون رفعه وقال : هذا المأمون وهذه سنة أربع ، فحفظ ذلك إلى هذه الغاية ، وكان سنّه يومئذٍ أربع سنين[3] .

نشأتـــه :

لم تكشف المصادر التي تيسّر لي الاطلاع عليها عن الجو الأسري المبكر الذي عاش فيه ثعلب ، غير أن أبواه ألحقاه منذ نعومة أظفاره بكُتّاب تعلم فيه الكتابة، وحفظ القرآن الكريم ، وشدا بعض الأشعار ، وما أن اشتدّ عُوده حتى أخذ يتجه إلى التزوّد باللغة والنحو .

" طلب العربية والشعر واللغة وهو في سن السادسة عشر ، فحفظ كُتب الفرّاء جميعها دون أن يشذّ منها حرف ، وكذلك عني بالنحو أكثر من غيره ، ولما أتقنه أكبّ على الشعر والمعاني والغريب ، فلزم أبا عبد الله ابن الأعرابي في بضع عشرة سنة ، وسمع من محمد بن سلام الجمحي ، وعلي بن المغيرة الأثرم ، وسلمة بن عاصم ، وعبد الله الفواريري ، وخلق .. "[4] ، ويحكي ابن النديم أن ثعلباً أخذ العربية وحفظ كتب الفرّاء وسنّهُ خمس وعشرون[5] . ويقول أبو العباس : " ابتدأتُ في طلب العربية واللغة في سنة ستّ عشرة ومائتين ، ونظرتُ في

---

(1) معجم الأدباء ٥/١٠٨ ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي ٢٩٦/١ ، بتصرف .
(2) تاريخ بغداد ، للبغدادي ٥/٢٠٥ ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطي ١٣٩/١ .
(3) الفهرست ، ص١١١ ، معجم الأدباء ٥/١٠٨-١٠٩ ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطي ١٥٠/١ ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ١/٣٠٢-٣٠٤ .
(4) العبر في خبر من غبر ، للذهبي ١/٤٢٠ ، مرآة الجنان في عبرة اليقظان ، لليافعي ٢/٢١٩ .
(5) الفهرست ، لابن النديم ، ص١١٠ ، بتصرف .

(حدود) الفراء وسبق ثماني عشرة سنة ، وبلغت خمسًا وعشرين سنة وما بقيت على مسألة للفراء إلا وأنا أحفظها "[1]" ، وذكر أبو العباس أنه اجتمع في يوم عند أحمد بن سعيد بن سلوم مع جماعة من العلماء ، أبرزهم السُّدري وأبو العالية ، فتذاكروا شعر الشماخ ، وأخذوا في البحث عن معانيه والمسألة عنه ، وما كان منه إلا أن يجيب على أسئلتهم دون توقف ، حتى أتوا على معظم شعره ، وعندها التفت ثعلب إلى أحمد بن سعيد رأى نظرات الإعجاب منه .

ومن هنا يمكن القول : إن أبا العباس أخذ ينهل من موارد اللغة العربية وبلغ بثقافة مجالات العلم والمعرفة ، والتي تمثل بعضها في القرآن والحديث الشريف وعلومهما ، والشعر والغريب وما فيهما من أسرار وخفايا ، وليس ذلك فحسب ، بل أخذ يلازم حلقات العلماء حتى اشتدّ عُوده واكتمل نضجه ، فقام بإلقاء الدروس ، ومن ثمّ أقبل عليه كُلّ من يريد أن ينهل من علمه ويغرف من ثقافته ، وهذا لن دلّ على شيء ليدلّ دلالةً واضحةً على بلوغ هذا العالم مكانة عالية ، ومنزلة شامخة يَحفُها الوقار ، ويجلّها الاحترام .

شيوخه :

ذكر محقق المجالس طرفًا من شيوخ ثعلب الذين أخذ على أيديهم أنواعَ المعارف والعلوم ، وقد أخذ ثعلب عن شيوخٍ بصريين وكوفيين ، إيمانًا منه بأن الثقافة لا تختص بفئة معيّنة دون غيرها من الفئات ؛ وإنما هي متاحة لكلّ شخصٍ قادرٍ على تحصيلها ، ومن أبرز شيوخه وأساتذته : محمد بن زياد الأعرابي ، وسلمة بن عاصم ، وعلي بن المغيرة ، وأبو عبد الله النديم ، وغيرهم كثير ..

تلاميذه :

درس على يد أبي العباس خَلْقٌ كثير لا يحصون ، باعتبار أن أبا العباس يُعدّ منهلاً من المعرفة لا ينضب ، ومنارة يؤمّها القصّاد ، ويلوذ بها طلاب العلم والمعرفة من كُلّ حَدَبٍ وصَوْب ، فإذا كثر شيوخ ثعلب ، فإن تلاميذه كانوا أضعافَ ذلك ، وحسبي أن أشير إلى بعضهم ، ومن هؤلاء : محمد بن إبراهيم بن كيسان ، ومحمد بن العباس اليزيدي ، وغيرهم كثير ..

---

(1) تاريخ بغداد ، للبغدادي ٢٠٥/٥ ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لابن الجوزي ٢٤/١٢ ، إنباه الرواة على أنباء النحاة ، للقفطي ١٣٩/١ ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ١٠٢/١ .

Scanned with CamScanner

شخصيته العلمية ، وأقوال العلماء في الثناء عليه :

يُعدُّ ثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة ، وعالمـًا في شتى مجـالات الشعر والقرآن والحديث ، وكان يَعرفُ حَدَّه ، فلا يَدَّعي ما لا يعرف.

وكان ثقة دينًا حجة مشهورًا بالحفظ ، صادق اللهجة ، حريصًا علـى طلب العلم ، يبدي أسفه وحزنه عندما يفوته شيء منه ، راوية لأشعار العرب وأخبارها ، عالمًا بالغريب ، مُلمًّا بلغة العرب ، كاشفًا عن أسرارها ، وقد قـال أبـو بكـر التاريخي عنه : " أحمد بن يحيى ثعلب أصدق أهل العربية لسانًا ، وأعظمهم شأنًا ، وأبعدهم ذكرًا ، وأوضحهم علمًا ، وأرفعهم معلمًا ، وأثبتهم حفظًا ، وأوفرهم حظًا في الدين والدنيا"[1].

وأضف إلى ذلك ، أنه كان عفيفًا عن أطماع الدنيا ، زاهدًا فيها ، وسـيرته فـي الدين والصلاح مشهورة بذلك في قول أبي بكر بن مجاهد : " كنت عند أبي العبـاس ثعلب ، فقال : يا أبا بكر ، اشتغل أهل القرآن بالقرآن ، ففازوا ، واشتغل أهل الفقه بالفقه ، ففازوا ، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ، ففازوا ، واشتغلتُ أنا بزيـد وعمرو ، فليت شعري ماذا يكون حالي في الآخرة ؟! فانصرفتُ من عنده ، فرأيتُ تلك الليلة النبي ﷺ في المنام ، فقال لي : أقرئ أبا العباس عني السَّلام ، وقُلْ له : إنك صَاحِبُ العِلْمِ المستَطِيل "[2]. وقد كان ثعلبُ كريمَ النفس ، متسامحًا ، تُوفي لـه بعض أهله ، فتأخر أبو محمد الزهري عن تعزيته ؛ لعدم علمه ، فلمَّا توجـه إلـى ثعلب اعتذر له ، فقال : يا أبا محمد ، ما بك حاجة إلى تكلُّف عذر ، فإن الصديق لا يُحاسَب ، والعدو لا يُحتَسب[3]. وقد قُدِّم عند كثير من الشيوخ العلماء في عصره على الرغم من صغر سنه . وممن قدَّر أبا العباس : أبو الصقر إسماعيل بن بلبـل الشيباني ؛ فإنه ذكَّر أبا العباس للناصر لدين الله الموفق بالله ، وأخرج لـه رزقـا

---

(1) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، لأبي البركات الأنباري ، ص١٧٤ ، تاريخ بغداد ، للبغدادي ٢٠٨/٥ ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطي ١٤١/١-١٤٢ ، البداية والنهاية ، لابن كثير ٩٨/١١ .

(2) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، لأبي البركات الأنباري ، ص١٧٥-١٧٦ ، تاريخ بغداد ، للبغدادي ٢١١/٥ ، بتصرف ، معجم الأدباء ، للحموي ١٣٩/٥ ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطي ١٧٨/١-١٤٣ ، ١٧٩-١٤٤ ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ١٠٢/١-١٠٣ ، سير أعلام النبلاء ، لأبي عبد الله الذهبي ٦/١٤ ، الوافي بالوفيات ، للصفدي ١٥٩/٨ ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، لليافعي ٢١٩/٢ ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، لجلال الدين السيوطي ٣٩٧/١ ، شذرات الذهب ، للحنبلي ٢٠٧/١ .

(3) تاريخ بغداد ، للبغدادي ٢٠٦/٥ ، معجم الأدباء ، للحموي ١٢٩/٥ ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطي ١٤٠/١ ، بتصرف .

Scanned with CamScanner

سلطانيا ، فحسن موضع ذلك من أهل العلم والأدب . وقال قائلهم لأبي الصقر وأبي العباس – في أبيات ذكرها –[1]:

فيا جبلي شيبانَ لا زلتُما لها ... حليفي فخارٍ في الورى وتفضُّلِ
فهذا ليوم الجود والسيف والقنا ... وأنت لبسط العلم غير مبخلِ
عليك أبا العبّاس كل معوّلٍ ... لأنك بعد الله خيرُ معوّلِ
فككتَ حدودَ النحو بعد انغلاقه ... وأوضحتَهُ شرحًا وتبيانَ مشكلِ
فكمْ ساكنٍ في ظلِّ نعمتِكَ التي ... على الدهرِ أبقى من ثبيرٍ ويذبلِ

فأصبحتَ للإخوانِ بالعلمِ اعيثًا ... وأخصبتَ منه منزلاً بعد منزلِ[2]

ثقافتـــه :

استقى أبو العباس ثقافته من معين العصر العباسي الذي فتح أبوابه أمام العلم والعلماء ، كما فتح للعرب منافذ جديدة استطاعوا أن يُطلّوا من خلالها على الثقافات الأجنبية التي وفدت إليهم من الأمم الأخرى ، كالفرس ، واليونان ، والهنود ، وغيرهم .. وقد برزت ثقافته من خلال قراءة الكتب ودراستها ، والتلقي عن العلماء ، الذي يُعدّ النبع الأصيل لثقافته اللغوية الواسعة ، وليس ذلك فحسب ؛ بل يمتلك ثقافات نحوية وصرفية وأدبية ودينية ، وكلها ظهرت بشكل جليّ في مؤلفاته ، ففي النحو كـ(حدّ النحو) ، و (اختلاف النحويين) ، وفي اللغة كـ(الفصيح) و(الألفاظ) ، وفي الدين كـ(معاني القرآن) و (إعراب القرآن) و (الأيمان والدواهي) ، وفي الأدب كـ(مجالس ثعلب) و (معاني الشعر) و (الأبيات السائرة).

إذًا ، يمكن القول : إن أبا العباس امتلك ثقافة موسوعية متنوعة شملت كافة المجالات ، وهذه الثقافة مكّنته من أن يكون أوسع أهل عصره معرفةً ، وأغزرهم علمًا ، معتمدًا في ذلك على ذاكرة لاقطة ، وحافظة أمينة قادرة على الاستيعاب والحفظ .

---

(1) مقدمة المجالس . ص١٥-١٦ ، تاريخ بغداد . للبغدادي ٢١٠/٥ ، معجم الأدباء ، للحموي ١٤١/٥-١٤٢ . إنباه الرواة على أنباء النحاة . للقفطي ١٤٣/١ .

(2) روايته في معجم الأدباء ، وإنباه الرواة على أنباء النحاة : (بالعلم ناعشًا) .

Scanned with CamScanner

وفاتـــه :

طال العمر بـــ(ثعلب) ، وامتدّت حياته ، فعاش نحو قرنٍ من الزمن ، حتى ثَقُل سمعه في أخريات حياته ، وفي ذات مساء كان يمشي بعد صلاة العصر من يوم الجمعة ، وفي يده بعض الأوراق يطالعها ويتصفّحُ ما فيها ، وبينما هو في الطريقِ إذا بدوابّ من ورائه لم يسمع وقْع حوافرها فصدمته ، ومن ثَمّ وقع على رأسه في هُوّةٍ ، فلم يقدر على القيام ، وحين حُمِلَ إلى مَنْزله مات في اليوم التالي ، ودُفن بمقبرة باب الشام ببغداد .

وقد اختُلف في تاريخ وفاته ؛ والأرجح أنه : " توفي لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة (٢٩١هـ) في خلافة المكتفي بن المعتضد . وبذلك يكون قد عاصر أحد عشر خليفة من خلفاء بني العباس ، أولهـم المـأمون ، وآخـرهم المكتفي "[1].

وصيته وتركته :

خلّف أبو العباس ثعلب من متاع الدنيا واحدًا وعشرين ألف درهـم ، وألفـي دينارٍ ودكاكين بباب الشام ، قيمتها ثلاثة آلاف دينار ، وضاع له قبـل الصـيْرفي ألف دينار كان يتجر له بها[2] ، وقيل : إنه خلّف ستة آلاف دينـار[3] . وقـد آلـت ثروته جميعها إلى ابنته التي عرفت من والدها أثناء حياته بخـلاً وإمـساكًا عـن الإنفاق[4] ، وقد خلّف كُتبًا كثيرة جليلة – سأتعرّض لها في مؤلفاته – ، وما خلّفه من متاع الدنيا قد ولّى وذهب ، أمّا ما خلّفه من علم ومعرفة فقد ظلّ نبراسًا يضيء الطريق لطلاب العلم والمعرفة الذين ينشدونه من كلّ مكان ، والذي يدلّ على ذلك مؤلفاته الآتي ذكرها ...

---

(1) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، لأبي البركات الأنباري ، ص١٧٦ ، تاريخ بغداد ، للبغدادي ٢١٢/٥ ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لابن الجوزي ٢٥/١٣ ، بتصرف ، معجم الأدباء ، للحموي ١٠٣/٥-١٠٥ ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطي ١٤٤/١ ، بتصرف ، تهذيب الأسماء واللغات ، للنووي ٢٧٥/٢ ، الوافي بالوفيات ، للصفدي ١٥٧/٨ ، البداية والنهاية ، لابن كثير ٩٨/١١ ، بتصرف .

(2) معجم الأدباء ، للحموي ١٠٦/٥ ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطي ١٤٨/١ ، الوافي بالوفيات ، للصفدي ١٥٧/٨ ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي ٣٩٧/١ .

(3) سير أعلام النبلاء ، للذهبي ٧/١٤ .

(4) مقدمة المحقق في مجالس ثعلب ، ص١٧ ، معجم الأدباء ، للحموي ١٢١/٥ ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطي ١٤٨/١ ، الوافي بالوفيات ، للصفدي ١٥٩/٨ ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي ٣٩٧/١ .

Scanned with CamScanner

مؤلفاتــه :

حفظ التاريخ العربي لأبي العباس ثعلب الكثير من المؤلفات النفيسة القَـدر ، والجليلة الفائدة ، والتي تعتبر صورة دقيقة توحي بغزارة علمه وفيض عطائـه ، وقوة ملاحظته ، وحِدّة ذكائه ، وهذه المؤلفات صُنّفت في كافة مناحي المعرفـة ، من قرآنٍ ، وحديث ، ونحو ، ولغة ، وأدب ، وصرف ، ومَثَل .. ؛ ممـا أسـهم إسهامًا بارزًا في تكوين المكتبة العربية خلال القرن الثالث الهجري ، ومما لا شكّ فيه أن لنشأته وبيئته وتتلمذه على يدِ كثيرٍ من العلماء أثرًا قويًا فـي تنـوّع هـذه المؤلفات وتعدّدها ، ومن هذه المؤلفات :

ديوان زهير بن أبيْ سُلمى بشرح ثعلب[1].

ديوان النابغة الذبياني[2].

قواعد الشعر[3].الأمالي ، وتسمّى أمالي ثعلب ، أو مجالس ثعلب[4].

وتُعدّ هذه المؤلفات غيضًا من فيض ، ولولا ضيق المجال لذكرتُها جميعًا .

ثانياً : علاقة كتاب (قواعد الشعر) باختيارات ثعلب الشعرية :

سوف أتحدّث فيه عن مؤلّفَيْن من هذه المؤلفات ، ألا وهما كتـابَيْ (قواعـد الشعر) ، و (مجالس ثعلب) ، وبيان صلة الأول بالاختيارات الشعرية الواردة فـي مجالسه .

أولاً : يعدُّ كتاب (قواعد الشعر) من الكتب المهمة لدراسة الشعر في القـرن الثالث الهجري ، واستطاع ثعلب من خلاله أن يَدْرُس النصَّ الشعري دراسة علمية ، معتمدًا في ذلك على معارف مَن سبقوه وعاصروه ؛ إذ جَمَع في هذا الكتاب بـين الخطرات النقدية والأساليب البلاغية والأغراض الشعرية ، فهو على الرغم من قلّـة صفحاته ، إلا أنّ ذلك لم يقلّل من شأنه وأهميته فـي تـاريخ البلاغـة العربيـة . وأودّ التنويه إلى أنّ هذا الكتاب دارَ حوله جَدَلٌ بخصوص نسبته إلى أبي العبـاس

---

(1) منه خمس نسخ مخطوطة ومصوّرة بدار الكتب المصرية . مقدمة المجالس ، ص١٩ ، تاريخ آداب اللغة العربية ، لجرجي زيدان ٤٨٩/١ .

(2) مقدمة المجالس ، ص١٩ ، الفهرست ، لابن النديم ، ص١١١ .

(3) تاريخ آداب اللغة العربية ، لجرجي زيدان ٤٨٩/١ .

(4) الفهرست . لابن النديم ، ص١١١ ، معجم الأدباء ، للحموي ١٤٤/٥ ، الوافي بالوفيات ، للصفدي ١٥٩/٨ . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي ٣٩٧/١ ، شذرات الذهب في خبر من ذهب ، للحنبلي ٢٠٧/١ ، تاريخ آداب اللغة العربية ، لجرجي زيدان ٤٨٩/١ .

Scanned with CamScanner

ثعلب ؛ حيث سكتت عنه التراجم ، فلم تذكره ضمن مؤلفاته ، والأرجح أنه لأبي العباس ، بناءً على ما توصل إليه الدكتور : رمضان عبد التواب ، والمستشرق الألماني نولدكه . وتمثّل ذلك في قول الدكتور رمضان عبد التواب : " علاوة على أن مخطوطتيّ الكتاب تحملان اسم ثعلب ، فإن طابع ثعلب وروحه في تأليفه ، وميله إلى الاختصار – ويكفي أن نذكّر هنا بمذهبه في كتابه الفصيح – كل ذلك موجود في قواعد الشعر الذي ننشره اليوم "[1].

هذا ، وقد تحدّث المستشرق الألماني (نولدكه) عن هذا الكتاب ، ونسبته إلى ثعلب ، فقال :

" إن هذه الرسالة القصيرة تقودنا تمامًا إلى مجتمع اللغويين العرب في القرن الثالث الهجري ، فإنها– وإن كانت ربما لا تكون في شكلها هذا من إملاء ثعلب (٢٠٠هـ – ٢٩١هـ) ، وربما كانت جزءًا صغيرًا من عمل أكبر – إلا أنها ترجع إليه بلا شكّ مطلقًا ؛ إذ يظهر فيها الطابع المدرسي الجافّ الذي يتميز به ثعلب عن خصمه المبرد ، البليغ ذي الإحساس المرهف "[2].

وسوف أنتقل بعد هذا العرض الموجز في نسبة الكتاب لصاحبه إلى الحديث عن محتويات الكتاب نفسه . فهو يُعدّ خزانة صغيرة تحتوي في داخلها على مجموعة من الشواهد الشعرية البليغة التي تُعدّ من عيون الشعر العربي ، ويستهلّ ثعلب هذا الكتاب بالحديث عن قواعد الشعر ، وهي أربع : أمر ، ونهي ، وخبر ، واستخبار[3] .. ثم أورد أنموذجًا شعريًا لكلّ منها ، ففي الأمر استشهد بقول الحطيئة[4]:

أقِلُّوا عليهم لا أبَا لأبِيكُمُ ... من اللَّوْمِ أو سُدُّوا المكان الذي سَدُّوا
أولئك قومٌ إن بَنَوْا أحسنوا البُنَا ... وإن عَاهدوا أوْفَوْا وإن عَقَدُوا شَدُّوا

وفي النهي ، بقول ليلى الأخْيَلية[5]:

---

(١) قواعد الشعر ، لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ) ، حققه وقدم له وعلق عليه : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٦٦م ، و ط٢ ، ١٩٩٥م ، ص١٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص١٥-١٦ . نقلاً عن الأصل في مجلة جمعية المستشرقين الألمانية ZDMG ٤٤ ، صفحة ٧١١ .

(٣) المصدر نفسه . ص٣١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٣١ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٣٢ .

Scanned with CamScanner

لا تفخرنّ الدهرَ آل مُطَرِّفٍ ... لا ظالمًا أبدًا ولا مظلومَا
قومٌ رباطُ الخيلِ وسطَ بيوتهم ... وأسِنّةٌ زُرْقٌ يُخَلْنَ نُجومَا

وفي الخبر ، يقول القطامي[1]:

يقتلننا بحديثٍ ليس يَعْلَمُهُ ... مَن يتّقين ولا مكنونُه بادي
فهنّ ينبذن من قولٍ يُصبن به ... مواقع الماء من ذي الغُلّة الصادي

وفي الاستخبار ، يقول قيس بن الخطيم[2]:

أنّى سَرَيْتَ وكنتَ غيرَ سَرُوبِ ... وتُقَرِّبُ الأحلامُ غيرَ قريبِ
ما تمنعي يَقْظَى فقد تُؤْتَيْنَ ... في النومِ غيرَ مُصَرَّدٍ محسوبِ

ثم أخذ يبين أنّ هذه القواعد تتفرع منها أصول ، وهي : المدح ، والهجاء ، والرثاء ، والاعتذار ، والتشبيب ، والتشبيه ، واقتصاص الأخبار[3]. وسرد أمثلة شعرية لكلّ فرع من هذه الفروع دون اللجوء إلى تفسيرها وتوضيح مضمونها . ومن هذه الأمثلة : استشهاده في المدح بقول الشماخ في عرابة[4]:

رأيتُ عَرَابةَ الأوسيَّ يسمو ... إلى الخيراتِ منقطعَ القَرينِ
إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ ... تلقّاها عَرَابةُ باليمينِ

وفي الهجاءِ ، بقولِ عُمير بن جُعَيل التَّغلبيّ[5]:

إذا رحَلُوا عن دار ذُلٍّ تَعاذلوا ... عليها وردُّوا وَفْدَهم يستقيلُها

وفي الرثاءِ ، بقولِ الفرزدق في وكيع بن أبي سُود[6]:

فَعاش ولم يترك وماتَ ولم يَدَعْ ... من النّاس إلاّ من أباتَ على وترِ

وفي التشبيه لا يتعدّى ضرب الأمثلة ، فلا ذِكْر للطّرفَيْن ، ولا لوجه الشبه ، ولا لنوع التشبيه ، أو غير ذلك ..

---

(1) المصدر نفسه ، ص٣٣ .
(2) المصدر نفسه ، ص٣٣ .
(3) المصدر نفسه ، ص٣٣ .
(4) المصدر نفسه ، ص٣٣ .
(5) المصدر نفسه ، ص٣٤ .
(6) المصدر نفسه ، ص٣٤ .

Scanned with CamScanner

هذا ، ورأيت أنه اختصّ من التشبيه ذلك الخارج عن التعدي والتقصير ، أي الذي يتسم بالاعتدال والتوسط[١] ، ومن ذلك قول النابغة الذبياني في نفوذ قرن الثور من صفحة الكلب[٢]:

كأنّهُ خارِجـاً مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِه ... سَفُّود شَرْبٍ نَسُوه عِنْد مُفْتَادِ

" والناظر في هذه الأصول الأربعة وما يتفرع منها ، لا يجد علاقة بين الأصل والفرع ؛ إنما هو تقسيم وتفريع أملته على ثعلب طبيعته النحوية الغالبة ، وطريقته التعليمية الجافة التي تساعد الناشئين في الإلمام بقواعد الشعر بصفة إجمالية ، دون أن تعمل على تفتح الحواس فتشرب جمال الشعر وتتذوقه ، وهذا هو الهدف من تعلم وسلوك دروبها ، والتوغل في سبلها "[٣]. وتعرّض إلى ذكر نهاية وصف الخلق[٤] ، وسردَ له بعض النماذج الشعرية ، ومن ذلك قول زهير في هرم[٥]:

يَطْعَنُهُم ما ارتَمَوْا حَتَّى إذَا اطعَنُوا ... ضَارَبَ حَتَّى إذَا ما ضَارَبُوا اعْتَنَقَا

وأيضًا تعرّض للحديث عن بعض الوجوه البلاغية المتمثّلة في " الإفراط في الإغراق "[٦] ، الذي يعرفُ عند البلاغيين باسم الغلوّ والمبالغة ، واكتفى بسرد الأمثلة الشعرية من محفوظه لجيد الشعر ، ومن ذلك قول امرئ القيس[٧]:

وقَدْ أغتدِي والطَّيرُ في وُكُناتِها ... بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوابِدِ هَيْكَلِ

ويتحدث كذلك عن " لطافة المعنى : وهو الدلالة بالتعريض على التصريح "[٨] ، وهذا يُعرَف عند البلاغيين باسم الكناية والتعريض ، كما يرى أن " الكناية في

---

(١) المصدر نفسه ، ص٣٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٣٧ .
(٣) أثر النحاة في البحث البلاغي ، د. عبد القادر حسين ، دار قطري بن الفجاءة ، الدوحة ـ قطر ، ط٢ ، ص٢٤٤ .
(٤) قواعد الشعر ، ص٤٢ .
(٥) المصدر السابق ، ص٤٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ص٤٥ .
(٧) المصدر نفسه ، ص٤٦ .
(٨) المصدر نفسه ، ص٤٩ .

Scanned with CamScanner

كلها يدلّ على الإيماء الذي يقوم مقام التصريح لما يُحْسِنُ فهمـهُ واسـتنباطه "[1]، ومثّل لكليهما بعض الشواهد الشعرية ، وقام بالتعليقِ عليها ، ومن ذلك قول امرئ القيس[2]:

أمِ القَلبُ في إثرِهِم مُنْحَدِرْ ... أمَرْخٌ خيامُهُمْ أمْ عُشَرْ

وقال ثعلب معلّقًا عليه : " (المَرْخ) : الزَّنْد ، و (العُشَر) : الزَّنْدَة ، فالزَّنْد قائم ، والزَّندة مسطوحةٌ على الأرض ، وفيها فَرْض ، فيوضع طرف عود المرخ القائم في الفرض الذي في لَوْحِ العُشَر المسطوح ، ثم يُدَارُ فَيُورِى نارًا ، فقـال امـرؤ القيس : أهم مقيمون كعُود المَرْخ ، أم قد حَطُّوا للرحلة كانسطاح العُـشَر ، أم قـد ارتحلوا ، فالقلب في إثرهم منحدر "[3] ؟.

ويذكر الاستعارة ويعرّفها بقوله : " وهو أن يستعار للشيء اسم غيـره ، أو معنى سواه "[4]، ويبدأ ثعلب كعادته في التمثيل والاستشهاد ، فيذكر ما فيهـا مـن قرينة ، ومن ذلك قول زهير[5]:

لَدَى حيث ألْقَتْ رَحْلَهَا أمُّ قَشْعَمِ ... فشدَّ ولم يَنْظُرْ بيوتًا كثيرةً

وقال ثعلب معلّقًا : " ولا رحل للمنية " .

ثم تحدث بعد ذلك عن " حُسن الخروج عن بُكاء الطَّلل ، ووصـف الإبـل ، وتحمّل الأظعان ، وفراق الجيران ، بغير (دَعْ ذا) و (عَدَّ عَنْ ذَا) و (اذكر كذا) ، بل من صدرٍ إلى عجز لا يتعدّاه إلى سواه ، ولا يقرِنه بغيره "[6]. واستشهد على ذلـك بأمثلة شعرية عديدة خالية من الشرح والتعليق ، ما عدا وقوفه على شـاهدٍ واحـدٍ ، ومن ذلك قول حسان في خروجه من النسيب إلى الهجاء[7]:

فنجوتِ منْجَى الحارثِ بـن هـشامِ ... إن كنت كَاذبَـةَ الـذي حـدَّثْتِنِي

ونجا برأس طِمـرَّةٍ ولـجامِ ... تَرك الأَحبة أن يُقَاتِلَ دونهم

ومن الألوان البديعية الأخرى التي ذكرها ثعلب : " مجاورة الأضداد – والتي

---

(1) المصدر نفسه ، ص٥٠ .
(2) المصدر نفسه ، ص٤٩ .
(3) المصدر نفسه ، ص٥٠ .
(4) المصدر نفسه ، ص٥٣ .
(5) المصدر نفسه ، ص٥٤ .
(6) المصدر نفسه ، ص٥٦ .
(7) المصدر نفسه ، ص٥٧ .

Scanned with CamScanner

تعرف عند البلاغيين باسم الطباق ... وقد عرفه قوم [illegible] بعدم وجوده [1] . وأورد على ذلك بعض الشواهد القرآنية والشعرية من [illegible] قول زهير في المزاريين [2] :

هنيئاً لنفسم السُّؤدان وُجدتُما على كلِّ حالٍ من سحيلٍ ومبرم

قال ثعلب معلقًا : السَّحيلُ ضد المُبرَم .

وفي نقلة أخرى سريعة ينتقل ثعلب إلى لون آخر من الألوان البديعية [illegible] وهو المطابق ، وقد عرفه بقوله : هو تكرير اللفظة بمعنيين مختلفين [3] ... وهو يُعرَف بالجناس ، وقد أورد له العديد من الشواهد القرآنية والشعرية ، ووقف على أغلبها ، ومن الشعر ، قال طرفة بن العبد [4] :

كريمٌ يُرَوِّي نفْسه في حياتِه ستعلمُ إنْ متنا صدًى أينا الصدي

وقال ثعلب معلقًا : الصَّدِي : الهامة ، والصَّدَى : العطش .

وبعد أن انتهى من هذه الألوان البديعية التي تعتمد أساسًا على المعنى ، انتقل بعد ذلك إلى ذكر الألوان النقدية التي تعتمد على اللفظ ، وبذلك يكون أبو العباس ثعلب قد تناول مشكلة اللفظ والمعنى ، فتطرّق إلى اللفظ الجيد ووصفه بقوله : " فما لم يكن بالمُغْرِبِ المُستَغْلَق البدوي ، ولا السَّفْساف العامي ، ولكن ما اشتدّ أسْرُه وسَهُلَ لفظُه ، ونأى واستصعب على غير المطبوعين مَرَامُهُ ، وتُوُهِّمَ إمكانُه "[5].

أما صفاتها عندما تدخلُ في تراكيبِ ، وهو ما يسميه باتساقِ النظم وجماله تتمثل في قوله :

" ما طابَ قريضُهُ ، وسلم من السِّناد ، والإقواء ، والإكفاء ، والإجازة ، والإبطاء ، وغير ذلك من عيوب الشعر .. وما قد سَهَّل العلماءُ إجازته من قصر ممدود ، ومدّ مقصور ، وضروبٍ أُخَرَ كثيرة ؛ وإن كان ذلك قد فعله القدماء ، وجاء عن فحول الشعراء ، وقد جئنا ببعض ما رُوِي في ذلك في هذه الأبيات التي ذكرناها خاصة "[6]. وقد بيّن أبو العباس ثعلب تعريف كُلّ عيبٍ من عيوب النظم والقافية – الأنفة

---

(1) المصدر نفسه ، ص٥٨ .
(2) قواعد الشعر ، ص٥٨ .
(3) المصدر السابق ، ص٦٠ .
(4) قواعد الشعر ، ص٦١ .
(5) المصدر السابق ، ص٦٣ .
(6) المصدر نفسه ، ص٦٣ .

Scanned with CamScanner

النكد – ما عدا الإقواء ، واستشهد على ذلك ببعض الشواهد الشعرية .

و قال في تعريف السِّناد : " هو دخول الفتحة على الضمة والكسرة "[1]، نحو قول ورقاء بن زهير العبسي[2]:

رأيتُ زهيرًا تحت كلْكَلِ خالدٍ ... فأقبلتُ أسعَى كالعَجُولِ أُبادِرُ

فشُلَّتْ يميني يوم أضْرِبُ خالدًا ... ويَمْنَعُهُ مِنِّي الحَدِيدُ المُظَاهَرُ

يقول ثعلب : فكسر ففتح .

والإكفاء هو : " دخول الذال على الظاء ، والنون على الميم ، وهي الأحرف المتشابهة على اللسان "[3]. كقول أبي محمد الفقعسي[4]:

يا دارَ هندٍ وابْنَتَيْ مُعَاذِجِ ... كأنَّها والعَهْدُ مُذْ أُقْيَاظِ

ويقول معلِّقًا : فجمع بين الذّال والظاء .

والإجازة : " هو اجتماع الأخوات ، كالعين والغين ، والسين والشين ، والتاء والثاء "[5]. كقول الشاعر[6]:

قُبِّحْتِ من سالفةٍ ومن صُدُغْ ... كأنَّها كَشْيَةُ ضَبٍّ في صُقَعْ

وبعد أن فرغ من إيراد العيوب ، انتقل إلى مقياس هام من مقاييس الشعر ، وهو وصف البيت المفرد ؛ لذا فإنه قسّم الشعر إلى درجات ، وهي :

أولاً : الأبيات المعدَّلة :

وعرَّفه بقوله : " ما اعتدل شطراه ، وتكافأتْ حاشيتاه ، وتمَّ بأيهما وقف عليه معناه ، وإنما بَذَّها سابقًا ، ولاح دونها نَيِّرًا ؛ لاختصاصه بفضلها ، وسَلَبه محاسنها ، وأنها مستعيرة بعضَ زِيِّه ، ومتجمِّلةٌ بما ناسَبَهَا منه ؛ لتَوَسطِتِه ذِرْوَتَها ، ونأيه عن التعدِّي والتقصير دونها ، والتوسُّط ممدوحٌ بكلِّ لُغَةٍ ، موسومٌ بكمال الحكمة "[7]. وقد تكون استشهادات ثعلب الشعرية لهذا القسم شديدةَ القرب من الأمثال

---

(1) المصدر نفسه ، ص٦٤ .
(2) المصدر نفسه ، ص٦٤ .
(3) المصدر نفسه ، ص٦٤ .
(4) المصدر نفسه ، ص٦٤ .
(5) المصدر نفسه ، ص٦٥ .
(6) المصدر نفسه ، ص٦٥ .
(7) المصدر نفسه ، ص٦٦-٦٧ .

Scanned with CamScanner

السائرة ، ومن ذلك قول امرئ القيس[1]:

اللهُ أنْجَحُ ما طَلَبتَ بِهِ ... والبرُّ خيرُ حقيبةِ الرَّحلِ

ثانيًا : الأبيات الغر :

يوضّح هذا القسم بقوله : " واحدها أغرُّ ، وهو ما نجمَ من صدْر البيت بتمام معناه دون عَجُزه ، وكان لو طُرِحَ آخره لأغنى أوله بوضوح دلالته . وإنما ألفنا هذه الأبيات مُصلّية[2] ، وجعلناها بالسّوابقِ لاحقةً ؛ لملاءمتها إياها ، وممازجتها لها في اتّفاق أوائلها ، وإن افترق أواخرُها ؛ لأن سبيلَ المتكلّم الإفهامُ ، وبغية المُكلّم الاستفهامُ ، فأخفُّ الكلام على الناطق مؤونة ، وأسهلُه على السامع مَحْمَلاً ، ما فُهِمَ عن ابتدائه مُرادُ قائله ، وأبانَ قليلُه ، ووَضَحَ دليلُه ، فقد وصفت العرب الإيجازَ فقرّظَتْهُ ، وذكرت الاختصار ففضّلَتهُ ، فقالوا : (لَمْحَةٌ دالّةٌ) ، (لا تُخطِئُ ولا تُبطِئُ) ، و (وَحْيٌ صرَّح عن ضمير) ، و (أوْمَأ فأغْنَى) "[3]. ومن ذلك الشعر قول الخنساء[4]:

وإنْ صَخْرًا لتأتمُّ الهُدَاةُ بِهِ ... كأنَّه عَلَمٌ في رأسِهِ نَارُ

ثالثًا : الأبيات المحجلة :

ويعني به : " ما نُتِجَ قافية البيت عن عَرُوضه ، وأبانَ عَجُزه بغيةَ قائله ، وكان كتحجيل الخيل ، والنورِ بِعَقِب الليل ، وإنما رتبنا هذه في الطبقة الثالثة وجعلناها للمصلّية تالية ؛ لشبهها بها ومقاربتها لها ، وانتظامها بها، وأنه إذا أُلِّف بين أوائل الطبقة الثانية ، وأواخر الرتبة الثالثة ، خلصت بأجزائها سليمةً معتدلةً ، فإذا وصل بين أعجاز الأبيات المصلية وأوائل شطور الطبقة الثالثة ، حصلت بهما مظنة على جودة أعجازها وحُسن مقاطيعها في الاستقلال ، كالألْقاب المفردة المغنيةِ بشهرتها

---

(1) المصدر نفسه ، ص٦٨ .

(2) المُصلي من الخيل : الذي يجيء بعد السابق ؛ لأن رأسه يلي صلا المتقدم ، وهو تالي السابق . قال أبو العباس : المُصَلّي في كلام العرب : السابق المتقدم ؛ قال : وهو مشبه بالمصلي من الخيل ،.وهو السابق الثاني . اللسان ٢٧٦/٨-٢٧٧ ، مادة (صلا) .

(3) قواعد الشعر ، ص٧٢-٧٣ .

(4) المصدر السابق ، ص٧٣ .

Scanned with CamScanner

عن الأبطال ، كعبد المدان ، وآكل المرار ، سَمّ الفوارس ، وصَيّاد الفرسان ، ذي الحصون ، وملاعب الأسنّة ، وذي الرُّمْحَين ، وذي البُرْدَين "[1] ، ومن ذلك قول امرئ القيس[2] :

من ذكرِ ليلى وأينَ ليلى ؟ وخَيْرُ ما رُمْتُ لا يُنَالُ

رابعًا : الأبيات الموضحة :

" وهي ما استقلّت أجزاؤها ، وتعاضدَتْ وصُولُها ، وكثرت فِقَرُها ، واعتدلت فصُولُها ، فهي كالخيل الموضّحَة ، والفُصوص المجزّعَة ، والبُرود المُحبَّرة ، ليس يحتاج واصفها إلى : " لو كان فيها سوى ما فيها "[3] . وهي كما قال الطائي في صفة مثلها[4] :

تحتالُ في مُفَوَّفِ الألوانِ مِنْ فاقِعٍ ونَاضِرٍ وقَانِ

خامسًا : الأبيات المرجلة :

وهي " التي يكمُلُ معنى كُلّ بيت منها بتمامه ، ولا ينفصل الكلام منه ببعض يحسُن الوقوف عليه غير قافيته ، فهو أبعدُها من عمود البلاغة ، وأذمُّها عند أهل الرواية ؛ إذ كان فهمُ الابتداء مقرونًا بآخره ، وصدرُه منوطًا بعجُزه ، فلو طُرِحت قافيةُ البيت وَجَبَتْ استحالتُه ، ونسب إلى التخليط قائلُه "[5] ، ومن شواهده الشعرية قول الخنساء[6] :

يُهينُ النفوسَ وهوْنُ النُّفُو سِ يومَ الكريهةِ أبقَى لها

وبهذا جعل ثعلب للشعر مراتب متفاوتة ، ودرجات متعدِّدة ، بنى عليها درجة الجودة في هذا الشعر ، وبعده أو قربه من البلاغة .

والآن سوف أقف عند الشواهد الشعرية الواردة في (مجالس ثعلب) ومدى

---

(1) المصدر نفسه ، ص٧٦-٧٧ .
(2) المصدر نفسه ، ص٧٧ .
(3) المصدر نفسه ، ص٨١ .
(4) المصدر نفسه ، ص٨١ .
(5) المصدر نفسه ، ص٨٤ .
(6) المصدر نفسه ، ص٨٧ .

Scanned with CamScanner

ظهور أثر بعض مباحث (قواعد الشعر) عليها قلة وكثرة .

ومن خلال النظر في صفحات كلٍّ من الكتابين ، اتضح لي وجود صلة بين ، وربما يرجع ذلك إلى أنّ لها العباس التزم أسلوبًا معينًا يتبين: من شخصيته ومنهجه العلمي . هذا ، إلى جانب ما رأيته من خلال الشعر الوارد في مجالسه من بعض الإشارات البلاغية أو النقدية التي بثّها ثعلب في كتابه الآخر (قواعد الشعر) . وسوف أعرض بعض المختارات الشعرية الواردة في (مجالس ثعلب) ، والتي جاء ذكرها في صفحات (قواعد الشعر) ، والبعض الآخر جاء مخالفاً له ، إلا أن ذلك لا يعني خلوّها من أثر تلك القواعد الشعرية . وأورد بعض هذه الشواهد الدالة على ذلك ، وهي كالتالي :

أولاً : الأمر [1]:

كقول الشاعر [2]:

قُلْ ما بَدَا لَكَ مِنْ زُورٍ ومِنْ كَذِبٍ حِلْمِي أَصَمُّ وأُذْنِي غَيْرُ صَمّاءِ

وقول الشاعر [3]:

وكونوا أَنْتُمُ وبَنِي أَبِيكُمُ مَكَانَ الكُلْيَتَيْنِ من الطِّحَالِ

وقول الآخر [4]:

قلتُ أَجِيبِي عَاشِقًا بحبِّكُم مُكلَّفُ

ثانيًا : النهي [5]: كقول امرئ القيس [6]:

يا هِنْدُ لا تَنْكِحِي بُوهَةً عليه عَقِيقَتُهُ أَحْسَبَا

ثالثًا : المدح [7]: كقول النابغة الجَعْدِيّ [8]:

---

(1) المصدر نفسه ، ص٣١ .
(2) مجالس ثعلب ٣٧٨/٢ .
(3) المصدر السابق ١٠٣/١ .
(4) المصدر نفسه ٩٦/١ .
(5) قواعد الشعر ، ص٣٢ .
(6) مجالس ثعلب ٨٢/١ .
(7) قواعد الشعر ، ص٣٣ .
(8) مجالس ثعلب ٢٦/١ .

Scanned with CamScanner

حكمتَ لنا الصِّدِّيقَ لمَّا ولينا
وسوَّيتَ بينَ الناسِ في الحقِّ فاستوى
أتاكَ أبو ليلى يَجُوبُ به الدُّجَى
لتجبرَ منهُ جانبًا ذعذعت به

وعثمانَ ، والفاروقَ ، فارتاحَ مُعدِمُ
فعادَ صباحًا ، حالكُ اللونِ أسحمُ
دُجَى الليلِ جوَّابُ الفلاةِ عثمثمُ
صروفُ الليالي والزمانُ المصمِّمُ

رابعًا : الهجاء[1] : كقول كعب بن زهير[2] :

ألا أبلغا عنِّي بُجيرًا رسالةً
على خُلُقٍ لم تَلْقَ أمًّا ولا أبًا
سقاكَ أبو بكرٍ بكأسٍ رويَّةٍ

على أيِّ شيءٍ ويبَ غيرك دلَّكا
عليه ولم تدرك عليه أخًا لكا
وأنهلك المأمورُ منها وعلَّكا

ويروى :

سقاك أبو بكرٍ بكأسٍ روية

وأنهلكَ المأمونُ منها وعلَّكا

خامسًا : الرثاء[3] : كقول النابغة الذبياني[4] :

لا يهنئِ النَّاس ما يَرْعَونَ مِنْ كَلأٍ
بَعْدَ ابن عَاتِكةَ الثَّاوي عَلَى أَبَوي
سَهْلُ الخليقةِ مَشَّاءٌ بأفْدَحِهِ
حَسْبُ الخَلِيلَيْن نَأْيُ الأرض بينهما

وَمَا يَسُوقُون مِنْ أَهْلٍ وَمِنْ مَالِ
أَضْحَى ببلدةِ لا عَمٌّ ولا خَالِ
إلى ذوات الذُّرَى حمَّالُ أثقَالِ
هَذا عليها وهَذا تَحْتَها بَالِي

ومما يدلّ على شدة الصلة بين الكتابَيْن : توافقِ النماذجِ الشِّعرية فيهما ، وذلك فيما يلي :

- أولاً : التشبيه الخارج عن التعدي والتقصير[5] ، كقول مزاحم العقيلي[6] :

تَرَى في سَنَا المَاوِيِّ كُلَّ عَشِيَّةٍ
وُجُوهًا لَوْ أنَّ المدلجينَ اعتَشَوْا بِهَا

عَلَى غَفَلاتِ الزِّينِ أوْ في التَّجَمُّلِ
صَدَعْنَ الدُّجَى حَتَّى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي

---

(1) قواعد الشعر ، ص٣٤ .
(2) مجالس ثعلب ٢/٣٤٠ ، ٣٤١ .
(3) قواعد الشعر ، ص٣٤ .
(4) مجالس ثعلب ١/١١٤ .
(5) قواعد الشعر ، ص٣٦ .
(6) المصدر السابق ، ص٤١ ، ووردت ضمن أبيات أخرى ، مع خلاف في رواية البيت الأول في مجالس ثعلب ١/٢٢٩-٢٣٠ .
(7) روايته في المصدر السابق :
ترى في سنا الماوي بالعصر والضحى على غفلات الزين المتجمل

Scanned with CamScanner

• ثانيًا : الإفراط في الإغراق[1]، كقول الحطيئة[2]:

متى تأته تعشُو إلى ضوءِ نارِه ... تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ موقدِ

• ثالثًا : لطافة المعنى[3]، كقول الأعرابي[4]:

عجبتُ لهرّةَ زجرتْ بعيري ... فأقبلَ كلبُنا فرحا يجولُ

ويخشَى شرَّها جملي ، وكلبي ... يُرجّى خيرَها فيما يخيرُ[5]

• رابعًا : مجاورة الأضداد[6]، كقول المهلهل[7]:

فإن يكُ بالذَّنائبِ طالَ ليلي ... فقدْ أبكي منَ الليلِ القصيرِ[8]

• خامسًا : المطابق[9]، كقول الأحوص[10]:

سلامُ اللهِ يا مَطَرٌ عليها ... وليس عليك يا مَطَرُ السَّلامُ[11]

• سادسًا : المعدل من أبيات الشعر[12]، فقد تمثَّل في قول القطامي[13]:

قدْ يُدرِكُ المُتَأنِّي بعضَ حاجتِه ... وقدْ يكونُ مع المستعجِلِ الزَّلَلُ

• سابعًا : الأبيات المحجّلة[1]، كقول أبي ذؤيب[2]:

---

(1) قواعد الشعر ، ص٤٥ .
(2) المصدر السابق ، ص٤٧ ، وورد صدر البيت في مجالس ثعلب ٣٩٩/٢ .
(3) قواعد الشعر ، ص٤٩ .
(4) المصدر السابق ، ص٥٢ ، مجالس ثعلب ١٥٠/١ .
(5) روايته في المصدر السابق :
عجبت لهرّة ذعرت بعيري ... فاقبل كلبنا فرحا يجول
(6) روايته في المصدر نفسه :
يحاذر شرها جملي ، وكلبي ... يرجّى خيرها مَاذا أقول
(7) قواعد الشعر ، ص٥٨ .
(8) المصدر السابق ، ص٥٩ ، وورد بدون نسبة ضمن أبيات أخرى في مجالس ثعلب ١١٦/١ .
(9) رواية عجزه في المصدر السابق : (فقد يبكي من الليل القصير) .
(10) قواعد الشعر ، ص٦٠ .
(11) المصدر السابق ، ص٦٢ ، ومجالس ثعلب ٧٤/١ ، ٤٧٤/٢ بدون نسبة .
(12) روايته في المصدر السابق في كلا الموضعين :
سَلام الله يَا مطرًا عليها ... وليس عليك يَا مطرُ السّلام
(13) قواعد الشعر ، ص٦٦-٦٧ .
(14) المصدر السابق ، ص٧١ ، ووردت بدون نسبة في مجالس ثعلب ٣٦٩/٢ .

Scanned with CamScanner

فإذا وذلك ليس إلا ذكره وإذا مضى شيء كأن لم يفعل

هذا إلى جانب أن تعليقات ثعلب وتفسيره للأبيات في (قواعد الشعر) يتناسب مع تعليقاته في مجالسه ، وسوف أبرهن على ذلك بالشواهد الآتية :

ففي مجال التنبيه على اختلاف الروايات ، روى ثعلب للحطيئة[٣]:

أولئك قوم إن بنَوا أحسنوا البنَا وإنْ عَاهدُوا أوْفَوْا وإن عَقَدُوا شَدُّوا

وعلّق عليه قائلاً : (ويُرْوَى .... قوم إن بنوا أحسنوا البنا) ، وهذا التعليق تناسب في مجالسه مع قول عبيد الله[٤]:

فإنْ أنَا لَمْ آمر وَلَمْ أنْهَ عَنْكُما تَضَاحَكْتُ حَتَّى يَسْتَلِجّ ويستَشْرِي

وعلّق عليه قائلاً : (ويروى : .... ضحكتُ له حَتَّى يلجّ ويَسْتَشْرِي) .

وأيضًا مع قول الشاعر[٥]:

تقول جَلا أهْلي فأوحشتُ بَعْدَهُم فقُلتُ أَلَيْلَى قَدْ جَلَت مَعَ من يَجْلُو

وعلّق قائلاً : (ويروى : .... وليلى) .

وفي التنبيه على معنى البيت ، قال جرير[٦]:

وأنّي لأستَحيي أخِي أن أرَى له عَلَيَّ من الفضل الذي لا يَرَى لِيَا

" يريد أن أرى له نعمة علي لا يرى لي مثلها عليه " .

وهذا التعليق الموجز يتناسب في مجالسه مع قول الشاعر[٧]:

صَحوتُ وأوقدتُ للجَهْلِ نَارَا وردَّ عَلَيَّ الصِّبَا ما استَعَارا

" قال : ردَّ عليَّ الجهلَ والصِّبا وعيشتَه . قال : فإذا فارقَ فِرَاقًا لا يُرضَى ، أوقدوا نارًا حتى يَرْجِع .

---

(١) المصدر السابق ، ص٧٦-٧٧ .
(٢) المصدر السابق ، ص٨٠ ، ووردت بدون نسبة في مجالس ثعلب ١٠٤/١ .
(٣) قواعد الشعر ، ص٣١ .
(٤) مجالس ثعلب ١/ ١٤ .
(٥) المصدر السابق ٢١٨/١ .
(٦) قواعد الشعر ، ص٥٠-٥١ .
(٧) مجالس ثعلب ٥٤٣/٢ .

Scanned with CamScanner

وقول رؤبة[1]:

ولا تكوني يا ابنةَ الأشمّ ... ورقاءَ دمْى ذنبها المدمّى

" قال : الذئب إذا رأى دمًا بصاحبه وثب عليه . فقال : لا تكوني أنت مثل ذلك الذئب ؛ إذا أصابني غمٌّ وحُزنٌ زدتني ووثبتِ عليَّ مثلَه " .

إذًا ، ما سُقته من شواهد شعرية كان على سبيل التمثيل لا الحصر ، وبذلك أكون قد أنهيتُ الحديث عن علاقة (قواعد الشعر) باختيارات ثعلب الشعرية الواردة في مجالسه ، وهذه العلاقة تُعَد من الشواهد الدالة على غزارة علم أبي العباس ثعلب ، وحُسن إلمامه بشتّى ضروب الثقافة والمعرفة من حوله . ويُعدّ كتاباه هذان منجمَين من المعادن الثمينة التي تتناثر في داخلها الكثير من الجواهر اللغوية والأدبية والنحوية والبلاغية ، وغير ذلك من الجواهر العلمية القيمة ..

وسوف يكون موضوع (الشعر في مجالس ثعلب) هو مدار حديثي في هذا البحث ، وسأتناول فيه الأغراض التي تعد من الركائز المهمة التي ستتجلّى وتتّضح من خلال الصفحات الآتية.

ثالثًا : قيمة كتاب (مجالس ثعلب) ، والمنهج المتبع في عرض الشعر:

إذاً..يحتوي كتاب (مجالس ثعلب) على فوائد جمّة ، وثروة غنية ، ومنافع عديدة لمن أراد التعمق في قواعد اللغة العربية ونحوها وصرفها ، وأصواتها وما فيها من قضايا .

هذا ، وقد استعان في عرض مادة كتابه على ما رواه أو سمعه أو تلقّاه عن شيوخه أو تلاميذه من نصوص مختلفة في كافة المجالات . إلى جانب أنه زين مجالسه بعقودٍ مضيئة من الآداب العربية ، والأخبار المنتخبة ، والأشعار المختارة ، والأمثال السائرة ، والحكم البالغة . ويضاف إلى هذا كلّه تلك الآراء السديدة والملاحظات القيمة التي بثّها ثعلب بين سطوره ؛ مما يدلّ على سعة أفقه ، وحدّة ذكائه ، خاصة أنها صدرت من رجلٍ عاش في عصر لم تكن العلوم قد وصلت إلى القمّة كما وصلت إليه فيما بعد .

وقد استشهد ثعلب في كتابه بمجموعة من الشواهد المختلفة ؛ ليوضح من

---

(1) المصدر السابق ٢/٣٦٠-٣٦١ .

Scanned with CamScanner

خلالها الآراء ، ويناقش القضايا ، وقد تمثلت هذه الشواهد في القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والشعر العربي ، وكلام العرب المنثور .

نخلص من هذا إلى أنّ كتاب (مجالس ثعلب) يُعدّ جامعًا شاملاً لمختلف العلوم والمعارف الأدبية التي تنبئ عن شخصية ثعلب ؛ ذلك الرجل الثبت الذي اتّسم بصدق روايته ، فهو أديب عبقري الذوق ، يلمس القارئ من خلال منتخباته الشعرية جودة الاختيار ، وروح الأديب ، ودقة العالم .

وسوف يكون تركيزي في هذا البحث على ناحية الاستشهاد بالشعر ؛ حيث آتي – بإذن الله – على توضيح الجانب الشعري من خلال المنهج الذي اتّبعه ثعلب في مجالسه ، وما أضفته من محاور اتبعتها فيه

<u>أولاً</u> : ارتكزت في كُلِّ الشواهد الشعرية التي وردت في متن البحث من حيث الضبط والرواية على ما ورد في متن كتاب (مجالس ثعلب) باعتبار أنّ محور دراستي يكمن في الشعر الوارد فيه .

<u>ثانيًا</u> : قمتُ بضبط الشواهد الشعرية بالشكل ما أمكنني ذلك ، أي بالقدر الذي يزيل اللّبس ، آخذةً في الاعتبار ما ورد في متن الكتاب .

<u>ثالثًا</u> : قمتُ – قَدْر استطاعتي – بتوضيح الأغراض الشعرية لأغلب الشواهد الواردة في (مجالس ثعلب) .

<u>رابعًا</u> : ذكرتُ ترجمة موجزة لأغلب الشعراء الواردة أسماؤُهم في متن الكتاب ، وذلك بالرجوع إلى أمّهات الكتب الخاصة بالأدب والتراجم . هذا ، إلى جانب ما نقلته من تراجم المحقق لبعضهم ، وتركت ذلك في عُهدته .

<u>خامسًا</u> : قمتُ بتخريج الشواهد الشعرية الواردة في مبحث الأغراض من (المجالس) أولاً ، والدواوين ثانيًا.

<u>سادسًا</u> : أشرتُ إلى مواضع الأخبار أو المناسبات الأدبية لأغلب الشواهد الشعرية الواردة في (مجالس ثعلب) فقط .

<u>سابعًا</u> : أشرتُ إلى اختلاف الروايات الواردة في أغلب الشواهد الشعرية المنسوبة ، معتمدة في ذلك على (مجالس ثعلب) أولاً ، والدواوين ثانيًا ، وفي حال عدم توفر دواوين بعضهم ، اعتمدتُ على المصادر والمراجع التي تيسَّر لي الاطِّلاع عليها .

Scanned with CamScanner

ثامنًا : قمتُ بتفسير بعض المفردات اللغوية الغريبة أو الصعبة لأغلب الشواهد الشعرية اعتمادًا على الموثوق من معاجم اللغة ، وفي مقدمتها (لسان العرب) ، لابن منظور .

تاسعاً : ذكرت إشارات المحقق إلى بعض المفردات التي وضّحها ؛ حتى يتبيّن المعنى العام لأغلب الشواهد الشعرية أمام القارئ والباحث .

إذاً .. هذه هي الخطوط العامة التي انتهجها ثعلب فيما يتعلق بالجانب الشعري في هذا الكتاب ، وبذلك يكون قد يسّر الصعاب ، وأزال الغموض ، وأجلى المعاني ، وشرح المفردات ، وأشار إلى تعدّد الروايات ، وأوضح ما استغلق فهمه .

ومن شأن ذلك كلّه أن يحفظ للغة نقية خالصة ، وخاصة إذا كان هذا العمل من إنسان ثقة كثعلب ، الذي كان قريب العهد من مراحل اللغة الأولى ، فهو عالم يستحق الاحترام والإجلال والتقدير .

وقبل ذلك أريد أن أبيّن أنّه باطّلاعي الشخصي على رسالة دكتوراه بعنوان : (أبو العباس ثعلب العالم اللغوي)[1] ، وكتاب بعنوان : (تفسير ثعلب للقرآن الكريم في مجالسه)[2] .

وجدتُ أنّ كِلتَيْهما أعطت صورة وافية وشاملة عن هذه الشخصية ، حيث تناولتا حياته بالتفصيل الدقيق ، فمن أحبّ الاستزادة في معرفة هذا العالم بشكل أوسع فليطّلع عليهما .

---

(1) انظر هذه الرسالة من إعداد السيد : محمد محسب رشوان ، وبإشراف الأستاذ الدكتور : محمد أحمد خاطر .

(2) انظر هذا الكتاب من إعداد : عبد العزيز بن ناصر السبر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية أصول الدين بالرياض ، (١٤١١هـ) .

Scanned with CamScanner

مبحث

الأغراض الشعرية

- الوصف
- الغزل
- الهجاء
- المديح
- الفخر
- الرثاء
- الحكمة والزهد
- الإخوانيات
- الحنين
- التحسر

Scanned with CamScanner

المبحث الثالث : الأغـراض الشعـرية :

هي الأهداف والمقاصد التي يرمي إليها الشاعر من خلال شعره ، ويحتاج هذا الشعر إلى شخص فطِن يُبحِر في أعماقه ؛ ليستخرج الدّرر المختبأة فيه .

ومن يُحلِّق في سماء الشعر العربي ، يجده حافلاً بغيثٍ من العواطف الإنسانية المختلفة ؛ لأن الشاعر قد يتعرّض لعوامل تؤثر في نفسيته ، فتحرك وجدانه ، وتلهب عواطفه ، وتثير مشاعره ؛ فيتدفّق الشعر على لسانه ، مصوِّرًا خلجات نفسه ونبضات حسِّه ؛ مِن حُبٍّ ، وبُغضٍ ، وكُرهٍ ، وحُزن .. إلى آخره .

والشاعر لا يقف في الغالب عند قشور الأشياء ؛ ولكنه يعبّر عمّا هو كامنٌ في لُبِّها ، وما تنطوي عليه دواخلها ، فهو عندما يرسم لوحةً لمنظرٍ ما فإنه لا يقف عند ظاهره المحسوس ، وإنما يتغلغل إلى أعماقه ، فيفيض عليه من رهافة الحسّ ودقة الشعور ، ما يجعل ذلك المنظر أكثرَ إثارةً وأروعَ تأثيرًا ، وما كان منه إلاّ أن يعبّر عن ذلك الإحساس تعبيرًا فنيًا متمثلاً في لُمحٍ وأغراضٍ شعرية ، منها : الوصف ، والغزل ، والهجاء ، والمدح ، والفخر ، والرثاء ، والحكمة ، والزهد ، والإخوانيات .. ومن هنا تنوعت أغراض الشعر وتشعبت فنونه .

والناظر المتأمل لتاريخ الأدب العربي ، يُدرك أنّ ما وصل إلينا من آثارِ العرب وأشعارهم غزيرة بالفنون الشعرية التي ظهرت لامعة بأروع وأجمل بيان في الشعر الذي رواه ثعلب في مجالسه .

وسوف أقف عند هذه الأغراض الشعرية التي وردت بين دفّتَيْ أروع كتب التراث العربي ، وهو كتاب (مجالس ثعلب) ، ومن هذه الأغراض ، ما يلي :

الوصـف :

" هو شرح حال الشيء وهيئته على ما هو عليه في الواقع ؛ لإحضاره في ذهن السامع كأنه يراه أو يشعر به "[110] . ويُعدُّ هذا الفنّ بنوعَيْه - المادي والمعنوي - من أكثر أبواب الشعر العربي ولوجًا ، " فكثيرٌ من النقاد يرى أنّ الشعر - إلاّ أقلّه - راجعٌ إلى باب الوصف "[111] .

([110]) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، للسيد : أحمد الهاشمي ، المكتبة التجارية ، مصر ، ط٢٢ ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، ٢٦/٢ .

([111]) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) ، حققه وفصله وعلق

Scanned with CamScanner

وقد ارتأى هذا الفن عناية كبيرة من أبي العباس ثعلب ، حيث كان مسيطرًا على إنتاج مختاراته الشعرية[١١٢] ؛ لذلك جاء في طليعة الأغراض التي تناولها .

ومن خلال النظر في باقة الأشعار التي اقتطفها أبو العباس ثعلب من بستان الشعر العربي ، لمست اهتمام الشعراء بوصف كلّ ما وقعت عليه أعينهم من شتّى ألوان بيئتهم التي عاشوا فيها ، ومظاهر الحياة التي ألفوها في هذه البيئة ، حيث وصفوا المطروحة الحية : الصامتة ، والمتحركة ، فصوّروا الصحراء وما فيها من حيوان ، والحرب وما فيها من أسلحة .

هذا ، إلى جانب أنهم وصفوا الخمر والإنسان بدءًا بأنفسهم ، ثمّ بغيرهم من الأشخاص ، ومن هذه المظاهر السائدة في شعر المجالس وصف الحيوانات التي عدّها ثعلب من موضوعات الوصف الرئيسية الشائعة في مختاراته الشعرية .

وقد هيمنت بعض هذه الحيوانات على أكثر تلك المرويات ، كالناقة ، والإبل ، والفرس ؛ قياسًا بوصف الحيوانات الأخرى . ومن الشواهد الشعرية التي قيلت في ذلك :

أولاً : وصف الناقة والإبل :

استأثرت الناقة بحب الشعراء العرب في المجالس واهتمامهم ، لذلك راح الشعراء يصوّرون هيئة الناقة وأعضائها وسرعتها ، وقدرتها على احتمال الأسفار ، واجتياز المسافات العظيمة ، إبّان اشتداد القيظ .

حواشيه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٩٧٢م ، ٢٩٤/٢ .

(١١٢) انظر مختارات الوصف في (مجالس ثعلب) : ٢٤/١ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ـ ١٥٠ ، ١٥١ ـ ١٥٢ ـ ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ... ٣٥٠/٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٩٨ ، ٤٠٢ ، ٤٠٥ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٤٧ ـ ٤٤٨ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ـ ٤٦٢ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٩١ ، ٤٩٣ ، ٤٩٧ ، ٥٠١ ، ٥٠٦ ـ ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٨ ، ٥٢١ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ـ ٥٢٩ ، ٥٣٧ ـ ٥٣٨ ـ ٥٣٩ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٦٩ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٨٠ ، ٥٨٧ .

Scanned with CamScanner

هذا ، وقد شبّهوا عظامها بألواح الأرآن والبناء الشامخ في القوة والتحمل ، فمن الشعراء مَن وصف جسامتها وضخامتها ، فقال[١١٣]:

تَـرَى كُـلَّ حَرجُـوجٍ دِلاثٍ ضَـلِيعَةٍ ... رَفُودٍ توفّى محلها بعد محلَبِ[١١٤]
وأُخرى على عُسْنٍ بَنَى الصَّيْفُ نِيُهـا ... عُرُورٌ بها لولا الغِنَى لم تحلَّبِ[١١٥]

ومنهم مَن وصف طول عنقها ، وكيف أنها تشرب من ورائهم ، فقال[١١٦]:

رَشُوفٌ وراءَ الخُورِ لو تَنْـدرى لهـا ... صبًا وشَمال حَرجَـفٌ لم تَقَلَّبِ[١١٧]

ومنهم مَن وصف عظامها ومناسمها وشبهوها بأشياء تدلّ على الصلابة والقوة ، كقول الشاعر[١١٨]:

---

(١١٣) ورد في المصدر السابق ٤٥٨/٢ بدون نسبة ، وذكر المحقق أنه للقطامي . حاشية المصدر نفسه .

(١١٤) الحرجوج : الناقة الطويلة الجسيمة ، وقيل : الشديدة . اللسان ٧٥/٤ ، مادة (حرج) .
الدلاث - بالكسر - : السريعة . المصدر السابق ٢٨٥/٥ ، مادة (دلث) .
الضليع : الطويل الأضلاع ، الواسع الجنبين ، العظيم الصدر . المصدر نفسه ٥٤/٩ ، مادة (ضلع) .
الرفود : التي تملأ المرفد في حلبة واحدة ، وهو العسّ الضخم . المصدر نفسه ١٨٩/٦ ، مادة (رفد) .

(١١٥) العُسن : الشحم العتيق أو القديم . المصدر نفسه ١٥٣/١٠ ، مادة (عسن) . وأضاف ثعلب قوله : " كسبها في الصيف الشحم " . المجالس ٤٥٨/٢ .
ولولا الغنى لم تحلب : يقول : " لولا أنهم استغنوا عنها لم يحلبوها في ذلك الوقت " . اللسان ٩٤/١١ ، مادة (غنا) .
العرور : صغر السنام . وقيل : قصره ، وقيل : ذهابه ، وهو من عيوب الإبل . المصدر السابق ٩١/١٠ ، مادة (عرر) . وقال ثعلب : " يقال : ناقة عراء : إذا لم يكن لها سنام " . المجالس ٤٥٨/٢ .

(١١٦) ورد في المصدر السابق ٤٥٩/٢ بدون نسبة ، وذكر المحقق أنه للقطامي . حاشية المصدر نفسه ٤٥٩/٢ .

(١١٧) رشف : يقال : ناقة رشوف : أي تشرب الماء فترتشفه . اللسان ١٥٨/٦ ، مادة (رشف) .
خور : يقال : ناقة خوّارة : أي غزيرة اللبن . المصدر السابق ١٧٥/٥ ، مادة (خور) . وقال ثعلب : " الخور : قليلات الشرب . وقال : هذه من طول عنقها تشرب من ورائهم لا تقلّب من قوّتها " . المجالس ٤٦٠/٢ .

(١١٨) ورد في المصدر السابق ٢٥٤/١ بدون نسبة ، ونسبه المحقق للشماخ . حاشية المصدر نفسه ٢٥٤/١ .

Scanned with CamScanner

وعَنْسٍ كَألْـوَاحِ الإران نَسأتُهـا ... إذا قِيلَ للمَشْبُوبَتَيْن : هُمَا هُمَا(١١٩)

هذا ، وقد استخدم الشعراء في (مجالس ثعلب) العديد من العبارات التي تـدلّ على الصلابة والقوة والشدّة والتحمّـل ، كـالعَنْسِ ، والعِـرْمس ، والقَلُـوصِ ، والصَّرِيف .. ومن الشواهد الشعرية التي ظهرت عليها تلك العبارات ، ما يلي :

قال الشاعر(١٢٠):

يا صَاحِ يَا ذا الضَّامِرِ العَنسِ ... والرَّحْلِ ذِي الأقتَابِ والحِلْسِ(١٢١)

وقال الشاعر(١٢٢):

وذي أنَفَسٍ شَتَّى ثَلاثٍ رمتْ به ... على الماءِ إحدى اليَعْمَلاتِ العَرَامِسُ(١٢٣)

وقال النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِي(١٢٤):

---

(١١٩) العَنسُ : الناقة الصلبة . اللسان ٣٠١/١٠ ، مادة (عنس) .
الإران : سرير الميت . المصدر السابق ٩٣/١ ، مادة (أرن) ، مجالس ثعلب ٢٥٤/١ .
نسأتها : يقال : نسأ الدابة والإبل ينسؤها نسأ : زجرها وساقها . اللسان ٢٤١/١٤ ، مادة (نسأ) ، مجالس ثعلب ٢٥٤/١ .
المشبوبتان : الشَّعْرِيات ؛ لإتقادهما . اللسان ١٠/٨ ، مادة (شبب) .
الشعريان : العبور التي في الجوزاء ، والغُميضاء التي في الذراع ، وقيل : الشعري العبور والزهرة ، وهما أنور نجوم السماء . المصدر السابق ٩٢/٨ ، مادة (شعر) .

(١٢٠) ورد في مجالس ثعلب ٢٧٥/١ ، وورد البيت الأول في ٤٤٥/٢ بدون نسبة ، ونسبه المحقق لخزز بن لوذان السدوسي . حاشية المصدر السابق ٢٧٥/١ .

(١٢١) الأقتاب : من قتب : إكافُ البعير ، وقد يؤنّث ، والتذكير أعمّ ، ولذلك أنثوا التصغير ، فقالوا : قتيبة . اللسان ١٩/١٢ ، مادة (قتب) .
الحلس : كساء يجعل على ظهر البعير تحت رحله ، والجمع أحلاس . المصدر السابق ١٩٤/٤ ، مادة (حلس)

(١٢٢) مجالس ثعلب ٥٦٩/٢ .

(١٢٣) اليعملات : اليعملة من الإبل : النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل ، وقيل : الناقة السريعة ، والجمع : اليعملات . اللسان ٢٨٤/١٠ ، مادة (عمل) .
العرامس : كزبرج ، الناقة الصلبة الشديدة . المصدر السابق ١٢٥/١٠ ، مادة (عرمس) .

(١٢٤) مجالس ثعلب ٢٦٥/١ ، ورد بتمامه في الديوان ، ص٦ .

Scanned with CamScanner

[مَقْذُوفَة بِدَخِيسِ النَّحْضِ بَازِلُهَا]

لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفَ القَعْوِ بِالمَسَدِ[125]

ومن الشعراء من وصف سرعة نوقهم وشدّة غلاظتها ، وقابلوا بينها وبين حيوانات أخرى ، كالحمار الوحشي ، فأكّدوا بذلك على طابع الشدّة ، فهما هو الشاعر يقول واصفًا الناقة بالحمار الوحشي في الشدّة والغلاظة[126]:

كأنّ تحتي كُنْدُرًا كُنادرا[127]

جَأبا قطوطَى يَنشِجُ الأساحرا[128]

وقد تنعقد روابط ألفة بين الشاعر وناقته ، وتبلغ هذه الألفة والمشاركة الوجدانية حدًا تجعل الشاعر يخاطبها وكأنها إنسان تشعر وتحس مثله تمامًا ، فها هو يقول[129]:

وحَنَّتْ قَلُوصِي مِن عَدَان إلى نجدِ ... ولم يُنْسِها أوْطَانَهَا قِدَمُ العهد[130]

إذا شئتُ لاقيتُ القلاصَ ولا أرى ... لِقَومِي أَشْبَاهًا فيألَفهم وُدِّي

وآخر يصور ما تحس به الناقة وما تشتكيه من شَدِّ الرِّحال عليها ، وخاصّة إذا سمنت وكَثُرَ من يرتحلها، فإذا شدّ الحزام (الوضين) ، ضجّت فكأنها في حالة لو تكلّمت لنطقت بهذا القول ، وشكت حالها ، فها هو الشاعر يقول[131]:

---

(125) روايته في المصدر السابق :
* لَه صَرِيف صَرِيفَ القَعْو بالمسدِ *
الصريف : صوت الأنياب والأبواب ، وصَرَف الإنسان والبعير نابه وبنابه يصرف صريفا : صرفه فسمعت له صوتا ، وصريف القعو : صوته . اللسان ٢٣٠/٨ ، مادة (صرف) . وقال ثعلب : " الصريف يكون إعياء ويكون ضجرًا ، وهاهنا إعياء " . المجالس ٢٦٥/١ .

(126) المصدر السابق ٤٩/١ .

(127) كندرًا : يقال : حمار كندر ، وكُنادِرّ : أي عظيم ، وقيل : غليظ . اللسان ١١٧/١٣ ، مادة (كندر) ، مجالس ثعلب ٥٠/١ .

(128) الجأب : الغليظ ، وقيل : الحمار الغليظ من حُمُر الوحش . اللسان ٦٠/٣ ، مادة (جأب) .
قطوطى : على وزن فعوعل ، وهو من القطو : وهو مقاربة الخطو مع النشاط . المصدر السابق ١٤٦/١٢ ، مادة (قطا) ، مجالس ثعلب ٥٠/١ .
نشج : يقال : نشج الحمار بصوته نشيجًا : أي ردّده في صدره . اللسان ٢٥٤/١٤ ، مادة (نشج)
الأساحرا : جمع أسحار ، وهي آخر الليل . المصدر السابق ١٣٦/٧ ، مادة (سحر) .

(129) وردت النتفة ضمن قصيدة في مجالس ثعلب ١٤٧/١ .

(130) القلوص : الفتية من الإبل . اللسان ١٧٦/١٢ ، مادة (قلص) .
عدان : موضع في اليمن . المصدر السابق ٦٥/١٠ ، مادة (عدن) .

(131) مجالس ثعلب ٢٧٦/١ .

Scanned with CamScanner

تَقُولُ وقَدْ دَرأتُ لها وَضِيني ... أهذا دِينُهُ أبدًا ودِيني(١٣٢)

هذا ، وقد وصف الشعراء الأماكن التي ترعى فيها الناقة ، ومن ذلك قول الشاعر(١٣٣) :

رعتْ من الصَّمَّانِ بَقْلاً آرِجًا(١٣٤) ... وصِلِّيانًا ونَصِيًّا رابِجًا(١٣٥)

أمّا الإبل ، فقد اهتمّ الشعراء في (مجالس ثعلب) بهذا الحيوان ، فوصفوا قوته ونشاطه وضخامته وحركة سيره ، إلى جانب أنهم وصفوا كافّة أحواله . ومن الشواهد الشعرية الدالّة على ذلك ما يلي : قال ذو الرمة يصف نشاط الإبل وفحولته(١٣٦) :

تَرَى كُفَأتَيها تَنْفِضَان ولم يَجِدْ ... لَهَا ثِيلَ سَقْبٍ في النِّتاجين لامِسُ(١٣٧)

---

(١٣٢) درأت : يقال : درأت وضين البعير : إذا بسطته على الأرض ثم اهركته عليه لتشد به . اللسان ٢٣٥/٥ ، مادة (درأ) .
الوضين : الجمع منه وُضُن ، بمنزلة الحزام للسرج ، وقيل : الوضين : بطان منسوج بعضه على بعض يشدّ به الرحل على البعير . أي : أراد أنه سريع الحركة ، يتسم بالخِفّة وقلّة الثبات ، كالحزام إذا كان رخوًا . المصدر السابق ٢٣٣/١٥ ، مادة (وضن) .

(١٣٣) مجالس ثعلب ٢٨٥/١ .

(١٣٤) الصمان - بفتح الصاد وتشديد الميم - : أرض فيها غلظ وارتفاع ، وفيها قيعان واسعة وخبارى . اللسان ٢٨٦/٨ ، مادة (صمم) .
الآرج : الرائحة الطيبة . المصدر السابق ٨٤/١ ، مادة (أرج) .

(١٣٥) الصليان : شجر . المصدر نفسه ٢٧٤/٨ ، مادة (صلل) .
النصيّ : نبات معروف ، يُقال له : نصيّ ما دام رطبًا . المصدر نفسه ٢٧٧/١٤ ، مادة (نصا) .
الرابج : الممتلئ الريّان . المصدر نفسه ٧٥/٦ ، مادة (ربج) . وقال ثعلب : " يقال : بقل رابج : ممتلئ ندىً وماءً " . المجالس ٢٨٥/١ .

(١٣٦) المصدر السابق ٤٨٤/٢ ، الديوان ، ص٣٢١ .

(١٣٧) رواية صدره في المصدر السابق :
* كِلا كفأتيها تنفضان ولم يجد *
الكُفأة أصلها في الإبل ، وهو أن تُجعل الإبل قطعتين يراوح بينهما في النّتاج ، ويقال : نتجَ الإبلَ كُفأتين ، وأكفأها : وهو أن يجعلها نصفين ، يَنتجُ كلّ عام نصفًا ، ويدعُ نصفًا ، وذلك لأنّ أجودَ الأوقات عند العرب في نِتاج الإبل أن تُتركَ الناقة بعد نتاجها سَنَة لا يُحمَل عليها الفحل ثُمّ تُضرَبُ إذا أرادت الفحل . اللسان ٨٢/١٣ ، مادة (كفأ) .
وقال ثعلب : " كفأتيها : نتاج عامها ، والعام الماضي ، فإذا نُتجت كلّها فقد انقضتْ ، وهي منافيض ، الواحدة مُنفِض ، وإنما وصف فحلاً فجعله مِلنانًا لا ينتج مما ضَربه ذلك الفحل إلا أنثى ، وذلك أكرم له " . المجالس ٤٨٤/٢-٤٨٥ .
تنفضان : يقال : نفضت الإبل : نتجت كلّها . اللسان ٣٢٥/١٤ ، مادة (نفض) .
سقب : ولد الناقة ، وقيل : الذكر من ولد الناقة . المصدر نفسه ٢٠٦/٧ ، مادة (سقب) .

Scanned with CamScanner

وقال الشاعر يصف النجوبة من الإبل[١٣٨]:

وعَيْرٍ أَدْمَاءَ حَادِرَةِ العَـ

وقال الشاعر يصف ضخامة الإبل وأنها أعظم من الجبال[١٣٩]:

حَوْمٍ تَرَى فيه الجِبالَ خُشَّفًا[١٤١]

وقال القَطَامِيّ يصف سير الإبل[١٤٢]:

[وَمِنْ ذَلِكَ مِنْهَا كُلَّمَا رَفَعَتْ]

وقال الشاعر يصف حال الإبل عندما ترد ماء في فلاةٍ من الأرض، فتعالقه وتتناولته من أعلاه، ولم تمعن في شرابه[١٤٥]:

وهي تَنُوشُ الحوضَ نوشًا مِنْ عَلا[١٤٦]

سمين خنوف عرانة شملل[١٤٠]

كما رأيت الشارف الموحفا[١٤٣]

منها المكري ومنها اللَّبَنُ السادي[١٤٤]

وَشًا به تَقْطَعُ أجوازَ الفَلا[١٤٧]

ثمل: وعاء عضو البعير. اللسان ٣/٥٧، مادة (ثمل).

(١٣٨) ورد في مجالس ثعلب ٢/٥١٨ بدون نسبة، ونسبه المحقق للأعشى. حاشية مجالس ثعلب.

(١٣٩) الحادرة: الواسعة الجاحظة. اللسان ٤/٥٨، مادة (حدر).

الخنوف: هي الناقة التي إذا سارت قلبت خفَّ يدها إلى وحشيّة من خارج. المصدر السابق ٥/١٧٠، مادة (خنف).

العرانة: الناجية في نشاط. المصدر نفسه ١٠/٣٥٠، مادة (عر).

الشملال: الخفيفة السريعة المشمرة. المصدر نفسه ٨/١٣٨، مادة (شمل).

(١٤٠) مجالس ثعلب ٢/٥٧١.

(١٤١) حوم: القطيع والضخم من الإبل. اللسان ٤/٢٨٠، مادة (حوم).

خشفا: قال ثعلب: " الخشف: المتواضعة، تخشف: تواضع ". المجالس ٢/٥٧٢.

(١٤٢) الشارف: هي الناقة المسنة. المصدر السابق ٨/٦٣، مادة (شرف).

الموحفا: البعير المهزول. اللسان ١٥/١٧٠، مادة (وحف). وقال أبو العباس: " هذا وصف إبلا كأنها أعظم من الجبال. وقال آخر: وصف سحابًا ". المجالس ٢/٥٧٢.

(١٤٣) المصدر السابق ٢/٥١٠، وتمامه في الديوان، دراسة وتحقيق: د. محمد الربيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٢٠٣.

(١٤٤) قال ثعلب: " المكري من الإبل: الذي يغدو ". المجالس ٢/٥١٠.

السّادي: الذي فيه اتساع خطو مع لين. اللسان ٧/١٥٧، مادة (سدا).

(١٤٥) مجالس ثعلب ٢/٥٨٧.

(١٤٦) تنوش الحوض: تتناول ملأه، وفسّرها ابن منظور بقوله: من علا: أي من فوق، يريد أنها عالية الأجسام طوالُ الأعناق، وذلك النَّوش الذي تنالهُ هو الذي يُعِينُها على قطع الفلوات، بمعنى أن الإبل تتناول ماء الحوض من فوق؛ لطول أعناقها، وتشرب شربًا كثيرًا، وتقطع بذلك الشراب فلوات، فلا تحتاج إلى ماء آخر. اللسان ١٤/٣٨٣، مادة (نوش).

Scanned with CamScanner

وقال آخر يصف حال الإبل عندما جاءت عطاشًا ، فلم ينظر أحد إليها[١٤٨]:

فأعجلتْ شنّتها أن تُنفجا(١٥٠)　　وردتْ ماءً نقاخًا سمهجًا(١٤٩)

* أو أنْ تُـــزادَ دودمـــا وتعجـــا(١٥١) *

وهناك شاهد شعري وصف الشاعر من خلاله الإبل حين تندري جلودها ، وتفوح منها رائحة طيبة نتيجة رعيها في أماكن زراعية طيبة ، وقد اتضح ذلك في قول الشاعر[١٥٢]:

كما فَتَقَ الكافُورَ بالمسكِ فاتِقُه(١٥٣)　　لها فارةٌ ذَفْراءُ كُلَّ عَشِيَّةٍ

ومن الشواهد التي تناولت وصف الإبل ومكان رعيها ، والراعي الذي أشرف عليه ، قول أبي محمد الحذلمي[١٥٤]:

وزَلَـــل النِّيَّـــة والتَّـــصفيقِ　　إنَّ لهـــا فـــي العـــامِ ذي الفُتـــوقِ

---

(١٤٧) أجواز : جمع جوز ، ويقال : أجواز الإبل : أي أوساطها . المصدر السابق ٢٣٩/٣ ، مادة (جوز) .

(١٤٨) مجالس ثعلب ٥٧٦/٢ .

(١٤٩) النقاخ : الماء البارد العذب الصافي الخالص الذي يكاد ينقخ الفؤاد ببرده . اللسان ٣٤٣/١٤ ، مادة (نقخ)

السمهج : السهل . المصدر السابق ٢٦٤/٧ ، مادة (سمهج) .

(١٥٠) تنفج : يقال : نفج السِّقاء نفجًا : أي مَلأه . وفسّر ابن منظور البيتَ بقوله : أن تُملأ ماءً لِتُنقى وتُغسل قبل أن يُستقى بها ، وقيل : أعجلتْ عن أن يُزادَ فيها ماء يُوسِّعها ويَرفعها " . المصدر نفسه ٣١٣/١٤ ، مادة (نفج) .

(١٥١) لعلّ صواب الكلمة الأخيرة كما أشار المحقق : (ثعجا) ، ويقال : عثج يعثج : أي أدمن الشرب شيئًا بعد شيء . المصدر نفسه ٣٣/١٠ ، مادة (عثج) .

(١٥٢) ورد في مجالس ثعلب ٩٧/١ بدون نسبة ، ونسبه المحقق للراعي . حاشية المصدر السابق .

(١٥٣) فارة الإبل : أن تفوح جلودها إذا نديت بعد الورد . اللسان ٢٣٧/١١ ، مادة (فأر) .

وبرواية (فأر) بالهمزة : أن تفوح منها رائحة طيبة ، وذلك إذا رعت العشب وزهره ثم شربت وصدرت عن الماء نديت جلودها ففاحت منها رائحة طيبة . المصدر السابق ١١٧/١١ ، مادة (فأر) .

ذفراء : ذكي الريح ، وهو أجوَده وأقربه . المصدر نفسه ٣٤/٦ ، مادة (ذفر) . وقال ثعلب : " الذفر من الطيب والنُّتن جميعًا ، والذفر من النتن لا غير " . المجالس ٩٧/١ .

فتق : من فتق الطيب يفتقه فتقًا : طيّبه وخلطه بعود وغيره . المصدر نفسه ١٢٤/١١ ، مادة (فتق) .

(١٥٤) مجالس ثعلب ١٩٣/١ .

Scanned with CamScanner

رعيـــةُ ربٍّ ناصـــحٍ شـــفيقِ تـــراه تحـت الفـنن فوريـــ
يـــشول بـــالمحجن كـــالمحروقِ إذا تنـــاولن لـــمنخ زول
تَنتَـــاشُ كُـــلَّ دَوحَـــةٍ ســـحوقِ ضـــاريةٍ فـــي العـــاء بالعُـــروقِ
يكلنَ كَيـــلاً لَيـــسَ بالممحُـــوقِ إذا رَضَى الـمِقـلاتُ بالفُسوقِ

ومن المُلاحظ أنّ شعراء المجالس وصفوا الإبل في سرعتها بالعديد من الحيوانات الأخرى التي عرفت بالسرعة في السير كالقطا والعقاب ، ومن مختارات ثعلب الشعرية الدالّة على ذلك ، ما يلي :

قال مقدامُ بنُ جسّاس الدُّبيري[١٥٥]

يصف الإبل بالقطا[١٥٦]:

كأنّها وقَدْ بدا عوارِضُ(١٥٧) والّليلُ بين قَنوَينِ رَابِضُ(١٥٨)

* بِجـــيزةِ الـــوادِي قطًا نواهـــضُ(١٥٩) *

وقال الشاعر يصف الإبل بالقطا[١٦٠]:

قليل غِرارِ العَينِ حتّى تحمّلُوا عليَّ كالقَطا الجُونيِّ أفزَعَهُ القَطرُ(١٦١)

وقال آخر يصف الإبل بالعقاب[١٦٢]:

---

(١٥٥) هو : المقدام بن جساس الدّبيري ، وجسّاس هو ابن قطيب بن وَهب بن كعب ، وكعب بن دبير بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد ، ويبدو في سلسلة نسبه أنه مخضرم . معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٤٥ .

(١٥٦) مجالس ثعلب ٢٠٤/١ ، شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام ، د. وفاء السنديوني ، ص٤٩٨ .

(١٥٧) عوارض : جبل ببلاد طيء ، وعليه قبر حاتم . اللسان ١٠٩/١٠ ، مادة (عرض) .

(١٥٨) ذكر ياقوت أن (قَنوين) تثنية (قنا) ، وعوارض على التغليب ، كما يقال : القمران للقمر والشمس. حاشية مجالس ثعلب ٢٠٤/١ .

(١٥٩) جيزة الوادي : جانبه وناحيته . اللسان ٢٥٠/٣ ، مادة (جيز) . أشار المحقق إلى أنّ الشاعر أراد أن يشبه الإبل بالقطا في سرعتها . حاشية مجالس ثعلب ٢٠٤/١ .

(١٦٠) المصدر السابق ٥٠٩/٢ .

(١٦١) قال ثعلب في معنى صدر البيت : " ما نمت إلا غرارًا ، أي : قليلاً ، ثم غارت عيني " . المصدر نفسه الجوني - بضمّ الجيم - : ضَربٌ من القطا ، وهي أضخمها ، تُعدَل جُونيّة بِكُذرِيَّتين : ، وهُنّ سُود البطون ، سُودُ بطون الأجنحةِ والقوادم ، قصارُ الأذناب ، وأرجُلها أطول مِن أرجُل الكُدريّ . اللسان ٢٤٦/٣ ، مادة (جون) . أشار المحقق إلى أنّ المقصود عنه أي على إبل كالقطا في الجوني سرعتها حين تنجو من المطر . حاشية مجالس ثعلب ٥٠٩/٢ .

(١٦٢) المصدر السابق ١٩٠/١ .

Scanned with CamScanner

لها أشاريرُ من لحمٍ تُتمّرهُ ... مِنَ الثّعالي ووَخزٌ من أرانيها(١٦٣)ج

ثانيًا : وصف الفـرَس :

من خلال النظر في مختارات ثعلب الشعرية ، اتّضح أنّ هذا الوصف شـغل شطرًا ليس بالواسع من عناية الشعراء واهتمامهم ، ومن المعـروف أنّ الفَـرَس محببة إلى نفوسهم وعزيزة عليهم ، إلى جانب أنها تمثل زينة الفارس يمتطيها في نزهته وصَيْده وحِلّه وترحاله . فتحدثوا بإعجاب عن قوتها وسرعتها وشـجاعتها ، وكيف أنها تخوض الحروب وتتحدى الصعاب ... إلى آخر تلك المزايا والصفات .

ومن الروائع الشعرية التي رواها ثعلب وأنتجتها قـرائح الـشعراء فـي وصف هذا الحيوان الأصيل ، ما يلي : قال الشاعر يصف فرَسَه وهـي تعـدو مُـسرعة بـالظليم اللـين الجنـاح الـذي يقلبـه كيفما شاء(١٦٤) :

عَلَى حَتِّ البُرايَةِ زَمْخَرِيّ السَّـ ... ـواعدِ ظَلَّ في شَرْيٍ طِوَالِ(١٦٥)

كما وصف امْرُؤ القَيْس قوة فَرَسه ونشاطه ، فقال(١٦٦) :

---

(١٦٣) الأشرارة : الخصفة التي يُشرّ عليها الأقط . وقيل : هي شُقّة من شقق البيت يشرر عليها . وقال ابن منظور : يجوز أن يعنى به الأشرارة من القديد . اللسان ٥٤/٨ ، مادة (شرر) . وأيّد ثعلب قول ابن منظور . المجالس ١٩٠/١ . تتمّره : يقال : تتمير اللحم والتمر : أي تجفيفهما . اللسان ٢٣٧/٢ ، مادة (تمر) . وقال ثعلب : " تتمّره : تقدّده " . المجالس ١٩٠/١ .
الوخز : الشيء القليل . اللسان ١٧٣/١٥ ، مادة (وخز) . وقال ثعلب : " الوخز : الخطيئة الشيء بعد الشيء " . المجالس ١٩٠/١ .
قال ثعلب : أراد بالثعالي : الثعالب . وأرانيها : أرانبها . المصدر السابق . وأشار المحقق أنّ الشاعر أبدل من الباء في ثعالبها وأرانبها ياءً ، فقال : الثعالي ، وأرانيها . حاشية المصدر نفسه .

(١٦٤) المصدر نفسه ٤٧٨/٢ .

(١٦٥) الحتّ : يقال : بَعِير حَتٌّ وحَتْحَتّ : أي سريع وخفيف ، وكذلك الظليم . اللسان ٢٨/٤ ، مادة (حتت) .
البراية : الباقي على السير . ويقال : بعير ذو براية : أي باق على السير فقط . المصدر السابق ٧٦/٢ ، مادة (برى) . وقال ثعلب : " البراية : بقية الجسم " . المجالس ٤٧٨/٢ .
زمخري : من الزَّمْخَرة ، وهو : كلّ عظم أجوف لا مخ فيه . اللسان ٥٥/٧ ، مادة (زمخر) .
السواعد : واحدة الساعد ، وهو مجرى المخ في العظام . المصدر السابق ١٨٦/٧ ، مادة (سعد) .
شرْي ـ بالتسكين ـ : شجر الحنظل . المصدر نفسه ٧٢/٨ ، مادة (شرا) ، مجالس ثعلب ٤٧٨/٢
الطوال ـ بالكسر ـ : جمع طويل . اللسان ١٦٤/٩ ، مادة (طول) .
وأشار المحقق إلى أنّ الشاعر أراد ظليمًا شبه به فرسه في العدو . حاشية مجالس ثعلب ٤٧٨/٢ .

(١٦٦) المصدر السابق ٢٩٣/١ ، وورد بتمامه في الديوان ، ص٤٧ .

Scanned with CamScanner

[ويَخطُو عَلَى صَمٍّ صِلاَبٍ كأنَّها] حِجَارَةُ غِيلٍ وارِسَاتٌ بِعُلْطُبِ(١٦٧)

ولم يكتفِ الشاعر في (مجالس ثعلب) برسم الصورة الخارجية لفرسه فر العدو ؛ وإنما تحدث عن نبضات قلبه السريعة ، وشبهه بصوت الحجر الذي يرمي به الصبي في الماء ولا يراه ، فها هو يقول(١٦٨):

وللفُؤَادِ وَجِيبٌ عِنْدَ أَبْهَرِهِ لَنَمَ الوَلِيدِ وَرَاءَ الغَيْبِ بِالحَجَرِ(١٦٩)

ومن الطريف ما لمسته في شاهد شعري ، وصف فيه الشاعر عضواً من أعضاء فرسه ، ألا وهي الأذن، ، فوصفها بالدقة وقال(١٧٠):

لَهَا أُذُنٌ حَشْرَةٌ مَشْرَةٌ كإِعْلِيطِ مَرْخٍ إِذَا مَا صَفِرْ(١٧١)

ولولعهم بهذه الخيول ، صوَّروها في حالات شتى ، فصوّر أحدهم فرسه وهي واقفة ، والذباب يدنو تحت لبانه ، فقال(١٧٢):

---

(١٦٧) غِيل - بالفتح - : الماء الجاري . اللسان ١١١/١١ ، مادة (غيل) .
وارسات : واحدته الورس : شيء أصفر مثل اللطخ يخرج على الرُّمْث بين آخر الصيف وأول الشتاء إذا أصاب الثوب لونه .
ويقال : ورست الصخرة : إذا ركبها الطحلب حتى تخضرّ وتملاس . المصدر السابق ١٩٢/١٥ ، مادة (ورس) . وقال ثعلب : " الوارس : الذي قد اصفرّ وكاد يتحاتّ ويتساقط ، ويقال : قد أورس الشجر : إذا دخلته صُفرة ، فالوارس : ذو الصفرة " . المجالس ٢٩٢/١-٢٩٣ .
(١٦٨) المصدر السابق ٤٠٥/٢ .
(١٦٩) الأبهر : عرق مستبطن في الصلب والقلب متصل به ، فإذا انقطع لم تكن معه حياة . وفسر الغيب بقوله : هو ما كان بينك وبينه حجاب . اللسان ١٦٥/٢ ، مادة (بهر) . وجيب : يقال : وجبَ القلبُ يَجِبُ وَجْبًا ووَجِيبًا ووجُوبًا ووجبانًا : خفق واضطرب . المصدر السابق ١٥٥/١ ، مادة (وجب) .
اللدم : الضرب بشيء ثقيل يسمع وقعه . المصدر نفسه ١٨٩/١٢ ، مادة (لدم) .
الغيب : ما غاب عن العيون ، وإن كان محصلاً في القلوب . المصدر نفسه ١٠٥/١١ ، مادة (غاب)
وقال ثعلب معلقًا : " يريد أنه ذكي حديد النفس " . المجالس ٤٠٥/٢ .
(١٧٠) المصدر السابق ٣٦٤/٢ .
(١٧١) الحشرة : اللطيفة الدقيقة الطرف . اللسان ١٢٨/٤ ، مادة (حشر) .
المشرّة : الورقة قبل أن تتشعّب وتنتشر . ويقال : أذن حشرة مشرة ، أي : مؤلّلة عليها ، ويعني في البيت أنها دقيقة كالورقة قبل أن تتشعب . المصدر السابق ٧٨/١٤ ، مادة (مشر) .
الأعليط : ما سقط ورقه من الأغصان والقضبان ، وقيل : هو ورق المرخ ، وقيل : هو وعاء ثمر المرخ . المصدر نفسه ٢٥٢/١٠ ، مادة (علط) .
المرخ : شجر كثير الورى سريعة . المصدر نفسه ٤٩/١٤ ، مادة (مرخ) .
وقال ثعلب في معناه : " أي مكتسية من اللحم لا شعر عليها " . المجالس ٣٦٤/٢ .
صفر : تفرّع منه حبه . وأعليط مرخ : نبت . المصدر السابق .
(١٧٢) المصدر نفسه ١٢٨/١ .

Scanned with CamScanner

تَرى النُّعَراتِ الزُّرْقَ تحت لَبانِه ... فُراد ومثنى أصعقتها صواهلُه(١٧٣)

وصوّر الأخر فرسه (النحام) أثناء وقوفه - وهو على ظهره رافعًا قوائمه - ، فقال(١٧٤):

كأنّ قوائمَ النُّحامِ لمّا ... تولّى صُحبتي أصلاً مُحارُ(١٧٥)
قوائمُه مُعلَّقةٌ شَواهُ ... كأنّ بَياضَ غُرّتِه عِمارُ(١٧٦)
وما يدريك ما فقري إليه ... إذا ما الرَّكبُ في نَهبٍ أغارُوا

وهناك حيوانات لم تلقَ اهتمامًا واسعًا من قبل ثعلب ، فلم يُكثِر من ذكرها في مروياته الشعرية ، وهذا الأمر اتّفق مع الإطار العام للشعر العربي ، ومن هذه الحيوانات : (الضبّ ، والذئب ، والقطاة ، والسَّبُع ، والبِرذَون(١٧٧) ، والشّاة ، وثَور الوحش) . ومن الشواهد الشعرية الدالة على ذلك ، ما يلي :

قال الشاعر في وصف الضبّ(١٧٨):

---

(١٧٣) النُّعرات : جمع نعرة - بضمّ ففتح - ، هي ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها . اللسان ٢٩٧/١٤ ، مادة (نعر) .
أصعقته : قتله . المصدر السابق ٢٤٢/٨ ، مادة (صعق) .
صهل : جعل ابن مقبل الذباب صواهل في العشب ، يريد غنة طيرانها وصوته ، فقال :
كأنّ صواهلَ ذبانِهِ ... قبيلَ الصّباح صهيلُ الحصن
المصدر نفسه ٢٩٩/٨ ، مادة (صهل) .

(١٧٤) مجالس ثعلب ٣٧٧/٢ .

(١٧٥) النحام : فرس لبعض فرسان العرب . اللسان ٢١٣/١٤ ، مادة (نحم) .

(١٧٦) محار : الصَّدف . المصدر السابق ٢٦/١٤ ، مادة (محر) ، مجالس ثعلب ٣٧٧/٢ ، وأضاف ثعلب قوله :
" يعني أنها تزلّ عن كلّ شيء لا يصيبها شيء ، وقال : أي كأنها محارٌ معلقة به " .

(١٧٦) شواه : من شوى الفرس : أي قوائمه . اللسان ١٦٨/٨ ، مادة (شوا) .

(١٧٧) البرذون : الدابة ، وسَمَّوْتَه البرذنة ، والأنثى برذونة . المصدر السابق ٥٧/٢ ، مادة (برذن) .

(١٧٨) انظر بقية الأبيات في : مجالس ثعلب ٥٠٦/٢-٥٠٧ .

Scanned with CamScanner

أشِبُ لعَيْنِي مُسلَحِبٌ كأنَّهُ ... بِذِي الطَّرْفِ في آلِ الضُّحى وَطْبُ رائِبِ(١٧٩)
من الصُّفْرِ دَحْداحٌ تَرَى بلبانِهِ ... بُصاقَ الذُّناتَى أو بُصاقَ الجَنادِبِ(١٨٠)
وبالأنفِ والخُرطومِ جَوْنٌ كأنَّهُ ... مُناضِحُ رُبٍّ حالِكِ اللَّونِ جالِبِ(١٨١)
فلمَّا رآني لم يُفَزِّعْ فُؤادُه ... وقالَ ... تَمَضِي وراكِبِ(١٨٢)
جَلَسْتُ لَهُ حِينًا وحَرَّفْتُ ساعِدِي ... عَلَى عَجَلٍ والخائِبِ الجِدِّ خائِبُ(١٨٣)
فوَلَّى شَدِيدَ الجَذْبِ لا يستطيعُه ... رَفِيقٌ ولا مستعجِلُ النَّتْرِ جاذِبُ(١٨٤)

وقال ذو الخرق الطُّهَوِي في وصف الذئب(١٨٥):

ألم تعجَبْ لذئبٍ باتَ يَعوِي ... ليُؤذِنَ صاحِبًا لَهُ باللِّحاقِ
حسِبتَ بُغامَ راحِلَتِي عَناقًا ... وما هِيَ وَيْبَ غَيْرِكَ بالعَناقِ

---

(١٧٩) أشِب له الشيءَ شبابًا : إذا رفع طرفه فرآه من غير أن يرجوه ويحتسبه . اللسان ١١/٨ ، مادة (شبب) .
المسلحب : قال ثعلب : " مسلحب : ممتدّ ملقى " . المجالس ٥٠٧/٢ . وأشار المحقق إلى أن الشاعر أراد القول : إنّه شبه الضبّ في انتفاخ جنبيه بوطب اللبن الرائب . المصدر السابق ٥٠٦/٢ .

(١٨٠) الدحداح : القصير الغليظ البطن . اللسان ٢٢٢/٥ ، مادة (دحح) .
الذناتى : شبهُ المَخاط ، يقع من أنوفِ الإبل . المصدر السابق ٤٨/٦ ، مادة (ذنب) ، وانظر بصاق الجنادب في الحيوان ، للجاحظ ٥٦٢/٥.

(١٨١) الجَوْنُ : الأسودُ اليَحْمُومِيّ ، والأنثى جَوْنة ، وقيل : الأسْوَدُ المُشْرَبُ حُمرةً ، وقيل : الأحمرُ الخالصُ ، وقيل : الأبيض ، والجمع من كلّ ذلك جُون - بالضمّ - ، ونظيره وَرْدٌ ووُرْد . اللسان ٧٣/٣ ، مادة (جون) .
رُب - بالضمّ - : الثفل الأسود للسمن والزيت . المصدر السابق ٧٣/٦ ، مادة (ريب) .
جالب : يقال : جلب الدم ، وأجلبَ : نبس . المصدر نفسه ١٦٩/٣ ، مادة (جلب) . وقال ثعلب : " جالب ، كما تجلب يدُ الرّجُل إذا عَمِل فخشّنت ، يقال : جلبت وأجلبت الدّبرة ، وكذلك اليدُ " . المجالس ٥٠٧/٢ .

(١٨٢) أشار المحقق إلى أنّ موضع النقط ورد مطموسًا في الأصل . حاشية المصدر السابق .

(١٨٣) في هذا البيت وتاليه إقواء .
قال ثعلب : " حَرّفتُ ساعدي : أي رميته " . المجالس ٥٠٧/٢ .

(١٨٤) النتر : الجذب والطعن المبالغ فيه . اللسان ١٨٥/١٤ ، مادة (نتر) ، مجالس ثعلب ٢٥٢/١ .

(١٨٥) مجالس ثعلب ١٥٤/١ ، وورد البيتان (٢ ، ٤) في ٦١/١ ، ووردت كلها في شعر بني تميم في العصر الجاهلي ، جمع وتحقيق : د. عبد الحميد محمود المعيني ، جامعة الملك سعود ، فرع أبها ، من منشورات نادي القصيم الأدبي - بريدة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ص٤١٧ .
قال ثعلب معقبًا : " يصف الشاعر ذئبًا أراد أن يثب على ناقته " . المجالس ٦١/١ .

Scanned with CamScanner

وهاتفةٍ لأطربَهـا حَفِيـفٌ ... وزُرقٌ فـي مُرَكَّبَـةٍ دِقـاقِ
فلو أنّـي رَمَيتُـكَ مِـن قَريـبٍ ... لعاقَـكَ عـن دُعـاءِ الـذِّئبِ عـاقِ
ولكنّـي رَمَيتُـكَ مِـن بَعيـدٍ ... فلَـم أفعَـلْ وقَـد أوهَنـتُ ساقي
عليكَ الشّاءَ شاءَ بني تميمٍ ... فعَافِقَهُ فإنّكَ ذو عِفاقِ جج

وقال الشاعر في وصف القطاة[186]:

لـم يَبْـقَ إلاّ كُـلُّ صَـغْواءَ صَـغوةٍ ... بصحراءِ تيهٍ بينَ أرضينِ مَجْهَلِ(187)
تَـرَى أثَـرَ الحيّـاتِ فيهَـا كأنّهـا ... مَصانِعُ وِلدانٍ بقُـضْبَانِ إسْـحِلِ(188)
قَرَتْ نُطفَـةً بـينَ التَّراقـي كأنّهـا ... لَدَى سَفَطٍ بينَ الجـوانِحِ مُقْفَـلِ(189)
لأصْهَبَ صِيقِيٍّ يشبُّه خَطْمُهُ ... إذَا قطرتْ تسقيه حَبَّةَ قِلْقِلِ(190)
يُحَرِّكُ رَأسًا كالكَبَاثَةِ واثِقًا ... بِوِرْدِ قَطَاةٍ غَلَّسَتْ وِرْدَ مَنْهَلِ (191)

وقال أبُو زُبَيْدٍ الطّائِي في وصف السبع[192]:

---

(186) مجالس ثعلب ٢٥٢/١ .

(187) الصغواء : القطاة التي مال حنكها وأحد منقاريها ، قال : " فأما صغوة فعلى المبالغة ، كما تقول : ليل لائل " . اللسان ٢٤٦/٨ ، مادة (صغا) . وقال ثعلب : " صغواء : مائلة ، صَغوة : صغيرة الرأس ، بين أرضين مجهل " . قال : تخرج من تيه إلى تيه ، وهو أشدّ عليها . المجالس ٢٥١/١ .

(188) أشار المحقق إلى أنّ ضمير (فيها) يعود إلى الصحراء . حاشية المصدر السابق ٢٥٢/١ .
المصانع : المراعي والملاعب . كما فسّره ابن سيده . اللسان ٨٧/١٤ ، مادة (مصع) ، المخصص ، مادة (مصع) .
الإسحل - بالكسر - : شجر يستاك به . المصدر السابق ١٤١/٧ ، مادة (سحل) .

(189) قرَت : يقال : قريت الماء في الحوض قريًا وقرى : جمعته . المصدر نفسه ٩٤/١٢ ، مادة (قرا) .
النطفة : القليل الماء . المصدر نفسه ٢٨٨/١٤ ، مادة (نطف) .
السفط : الذي يجعى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء . المصدر نفسه ١٩٨/٧ ، مادة (سفط) .

(190) أشار المحقق إلى أن الشاعر أراد بـ(صيقي) : أفراخه في الصيف . حاشية مجالس ثعلب ٢٥٢/١ .
القِلقِل - بكسر القافين - : نبت له حبّ أسوَد . اللسان ١٨١/١٢ ، مادة (قلل) .

(191) الكباثة : واحدة الكباث : وهو النضيج من ثمر الأراك . المصدر السابق ٨/١٣ ، مادة (كبث) .

(192) المصدر السابق ١٧٢/١ ، شعره ، جمعه وحققه : د. نوري حمودي القيسي ، ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره ، مطبعة المعارف - بغداد ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م ، ص٣٩ .
- رواية عجزه في المصدر السابق : *يعلو بخملتها كُهباء هُدّابا *
ونبّه ثعلب على هذه الرواية في مجالسه .
نقّاد : من النقد : غنم صغار حجازية ، وقيل : النقّاد : راعيها . وفسّره ثعلب بقوله : النقّاد صاحب مُسوك النقد ، كأنّه جعل عليه خمّلة ، أي أنه وردٌ ، ونصب (كهباء) بـ(يعلو) . اللسان ٣٣٥/١٤ ، مادة (نقد) ، المجالس ١٧٢/١ .

Scanned with CamScanner

كأنّ أثوابَ نقّاد قُدِرْنَ لَهُ يَعْلُو بخَمْلَتِها كَهْباءَ أهدابا

وقال الشاعر في وصف البرذون[١٩٣]:

ثقيلٌ عَلَى مَنْ سَاسَه غير أنّهُ ركُومٌ عَلَى آرِيِّهِ الرَّوْثَ مِنْثَلُ[١٩٤]

وقال الشاعر في وصف الشاة أو العنز التي قلّ لبنها[١٩٥]:

* يحلب لي فيها اللِّجاب الغِزارْ[١٩٦] *

هذا ، ولم يقتصر اهتمام أبي العباس ثعلب على وصف الحيوانات فحسب ، بل اهتمّ بوصف موضوعات معروفة ، كالخمر ، والحرب ، والأسلحة ، والنخلة ، والسحاب ، والفلاة ، ووصف الإنسان ... إلخ . وهذه الموضوعات طَغَتْ على أغلب مرويّات ثعلب الشعرية . وسوف أقف على بعض هذه المرويات التي تناولت الموضوعات الآنفة الذكر .

أولاً : وصف الخمر :

يُعدّ من الأوصاف التي عُني بها الشعراء في (مجالس ثعلب) ، حيث وصفوا الخمر ولونها ، وحاملها ، وكيفية شربها ، وما تحدثه في نفس الشارب من النّشوة والانتشاء . ومن الأغنام الشعرية التي عزفت على أوتار هذا الوصف ، ما يلي :

قدرن : طبعن عليه وجعلن على قدر جسمه . شبّه جلد الأسد وشعره المتدلى بالقطيفة التي على الراعي . هامش شعره ، ص٣٩ .

خملتها : القطيفة ، وقيل : ثوب مخمل من صوف كالكساء ونحوه . اللسان ١٦٠/٥ ، مادة (خمل) .

الهباء : التي تضرب إلى الغبرة . هامش شعره ، ص٣٩ .

وقال ثعلب في معناه : " كان عليه فروًا يطوها بخمله . ويريد : كهباء أهدابها ... " . المجالس ١٧٢/١-١٧٣ .

(١٩٣) مجالس ثعلب ١٢٤/١ .

(١٩٤) ركم الشيء يركمه : إذا جمعه وألقى بعضه على بعض . اللسان ٢١٧/٦ ، مادة (ركم) .

آرايه : الحبل الذي تشدّ به الدابة في محسبها ، وقيل : الركاسة المدفونة تحت الأرض المثبتة فيها تشدّ الدابة من عروتها البارزة فلا تعلقها ؛ لثباتها في الأرض . المصدر السابق ٩٥/١ ، مادة (أري) .

الروث : رجيع ذي الحافر . المصدر نفسه ٢٥٢/٦ ، مادة (روث) .

منثل : من نثل الفرس ينثل فهو منثل : راث . المصدر نفسه ١٨٩/١٤ ، مادة (نثل) . المثل : مفعل النثل : الكثير الروث ، ويقال : ثلت الدابة تثلّ : أي راثت ، وكذلك كلّ ذي حافر . المصدر نفسه ٣٦/٣ ، مادة (ثلل) .

(١٩٥) مجالس ثعلب ٤٨٦/٢ .

(١٩٦) اللجاب : جمع لجبة ، وهي الشاة الحامل التي قلّ لبنها . اللسان ١٧٠/١٣ ، مادة (لجب) . وقال ثعلب : " العنز لجبة : إذا قلّ لبنها عند فطام ولدها " . المجالس ٤٨٦/٢ .

Scanned with CamScanner

قال الشاعر[١٩٧]:

فجال عليها بأبريقه ... مُخضّبُ كفٍّ بإرصادها(١٩٨)
فباتت ركابٌ بأكوارها ... وخيلٌ لدُبنا بألبادها(١٩٩)

ج
لقوم فكانوا هُمُ المُنفدين ... شرابَهمُ قبلَ إنفادها(٢٠٠)

وقال الشاعر[٢٠١]:

وترعيّة لم يدر ما الخمرُ قبلَنا ... سقيناهُ حتّى كان قيدًا له السُكرُ(٢٠٢)
فثمّ كفيناهُ البِدادَ ولم يكُنْ ... لننكُده عمّا يَضِنُّ به الصدرُ(٢٠٣)

وقال الشاعر[٢٠٤]:

كأنّ نَشوانَ تميل برأسه ... مُجاجةُ زِقٍّ شَرِبُها متناوحُ(٢٠٥)

ثانيًا : وصف الحرب :

لم يحظَ هذا اللونُ من الوصف باهتمام الشعراء في ميدان (مجالس ثعلب) .

ومن النماذج الشعرية الواردة فيه ، ما يلي : قال الشاعر يصف مرارة الحرب[٢٠٦]:

---

(١٩٧) المصدر السابق ٣٤/١ .
(١٩٨) الفرصاد : التوت الأحمر ، شبه الخمر بلون الحمرة . اللسان ١٥٩/١١ ، مادة (فرصد) . وقال ثعلب : " كفه مخضوبة بمثل التوت " . المجالس ٣٤/١ .
(١٩٩) أكوار : جمع كور - بالضمّ - : هو رحل الناقة بأدانه ، وهو كالسرج للفرس . اللسان ١٣٠/١٣ ، مادة (كور) .
(٢٠٠) قال ثعلب : " أراد : قبل إنفاد عقولهم " . المجالس ٣٥/١ .
(٢٠١) المصدر السابق ٤٦١/٢-٤٦٢ .
(٢٠٢) قال ثعلب : " ترعيّة وترعاية : إذا كان جيد الرعاية " . المصدر نفسه ٤٦١/٢ .
(٢٠٣) البداد : النصيب من كلّ شيء . اللسان ٣٦/٢ ، مادة (بدد) . وقال ثعلب : " البداد : أن يخرج هذا شيئا وهذا شيئا . وننكده : أي ننكد عليه " . المجالس ٤٦٢/٢ .
(٢٠٤) المصدر السابق ٤٩٧/٢ .
(٢٠٥) مجاجة : يقال : مجّ الشراب والشيء من فيه يَمُجّهُ مَجًّا : أي رماه ، وقيل : المجاجة : الريق الذي تمجه من فيك . اللسان ٢١/١٤ ، مادة (مجج) .
الزق : السقاء . المصدر السابق ٤٢/٧ ، مادة (زق) .
الشرب - بالفتح - : جماعة الشاربين . المصدر نفسه ٤٥/٨ ، مادة (شرب) .
متناوح : أصله التقابل . أي : يقابل بعضها بعضًا عند شرابها . المصدر نفسه ٣٧٩/١٤ ، مادة (نوح) . وقال ثعلب : " نخلات متناوحات : إذا كان بعضهنّ قريبًا من بعض ، وكذلك الإبل والناس وغيرهم " . وعلق بعد البيت بقوله : " أي قريب " . المجالس ٤٩٧/٢ .
(٢٠٦) المصدر السابق ١٩٥/١ .

Scanned with CamScanner

من يذُقِ الحربَ يجدْ طعمَها

مرًا وتترُكهُ بجعجاعٍ(٢٠٧)

وقال الشاعر يصف طول الحرب بطول ولادة المرأة العقيم(٢٠٨):

فظَلَّ لهم يومٌ كأنَّ سماءَه ... مُتِمٌّ تمطّت بالنِّتاجِ على عُظْمِ(٢٠٩)

فصبَّحَهُمْ يومَ الغوابِقِ غُدْوَةً ... تَباريحُ حدّانِ العِضاهِ إلى اللحمِ(٢١٠)

وقال الشاعر يصف الكتيبة من الجيش بالجراد في كثرتها(٢١١):

وكتيبةٍ لبستُها بكتيبةٍ ... كالثائرِ الحيرانِ أشرقَ للندى

وقال الشاعر يصف الحرب بالناقة ودرتها(٢١٢):

تَخبِطُ بالأخفافِ والمَناسِمِ(٢١٣) ... عَنْ دِرَّةٍ تخضِبُ كفَّ الهاشِمِ(٢١٤)

ثالثًا : وصف الأسلحة :

يُعدّ من الأوصاف التي احتلّت شطرًا ليس بالواسع في مختارات ثعلب الشعرية ؛ حيث وصف الشعراء حِدّتها وقوّتها وأنواعها ... وغير ذلك ، وقد تمثّل شيء منها في النماذج الشعرية الآتية :

---

(٢٠٧) جعجاع : المكان الضيق الخشن الغليظ . اللسان ١٥٧/٣ ، مادة (جعجع) . وقال ثعلب : " كلّ موضع سوء فهو جعجاع " . المجالس ١٩٥/١ .

(٢٠٨) المصدر السابق ١١٩/١ .

(٢٠٩) قال ثعلب : " هذا يوم حرب ، شبه طوله بطول ولادة العقيم " . وقال أيضًا : " حُروب وَلَدت على عُظْم ، وإذا لقحت على عقم فهو أتمّ لولدها " . المصدر نفسه .

(٢١٠) حدّان : من حدأة وحِدأ : الطائر المعروف ، وحدأة - بفتح الحاء - وحَدأ : رؤوس الفؤوس . اللسان ٥١/٤ ، مادة (حدا) ، المجالس ١١٩/١ .

(٢١١) المصدر السابق ٢٤/١ .

(٢١٢) المصدر نفسه ٥٧٤/٢ .

(٢١٣) المناسم : جمع مِنسم - بكسر السين - : طرف خفّ البعير ، وقيل : ظفراه اللذان في يديه ، وقيل : هو للناقة كالظفر للإنسان . اللسان ٢٤٩/١٤ ، مادة (منسم) .

(٢١٤) قال ثعلب : هذه حرب شبهها بالناقة ودرتها . المجالس ٥٧٤/٢ . وقال ابن منظور : دِرّتها : دمُها . اللسان ٢٤٢/٥ ، مادة (درر) .

Scanned with CamScanner

قال الشاعر في وصف السيف[٢١٥]:

صمصامةٌ ذكَّره مذكَّرةٌ(٢١٦) ... تطيشُ العظمَ ولا تكسِّرهُ

ويترك الجرح بعدها مسبَّره(٢١٧) ... أخيا على الآسي بعدها غورَه(٢١٨)

وقال الشاعر في وصف الرمح[٢١٩]:

فما ذو فقارٍ لا ضئيلٌ لجوفِه ... له آخرٌ من غوره ومقدَّمُ(٢٢٠)

وقال الشاعر في وصف سيفه[٢٢١]:

وسيفي كالعقيقة فهو كمعوٌ ... سلاحي لا أفلٌ ولا فُطارا(٢٢٢)

وقال الآخر في وصف الأسنة[٢٢٣]:

وزُرقٍ كسنَّهنَّ الأسنَّةُ هبوةً ... أرقُّ من الماءِ الزُّلالِ كليلُها(٢٢٤)

---

(٢١٥) مجالس ثعلب ١٩٧/١ .

(٢١٦) صمصامة : يقال : سيفٌ صمصامٌ وصمصامة : صارم لا ينثني . اللسان ٢٨٧/٨ ، مادة (صمم) .
ذكره : يقال : سيف ذو ذكرة : أي صارم ، والذُكرة : القطعة من الفولاذ تزاد في رأس الفاس وغيره ، وقد ذكَّرتُ الفاسَ والسيف . المصدر السابق ٣٧/٦ ، مادة (ذكر) .

(٢١٧) السَّبْر : مصدر سَبَر الجُرح يسْبُرُه ويَسْبِرُ سَبْرًا : نظر مقداره وقاسه ليعرف غوره . وقيل : التجربة . المصدر نفسه ١٠٨/٧ ، مادة (سبر) .

(٢١٨) الآسي : جمع أساةٍ وإساء : الطبيب . المصدر نفسه ١٠٩/١ ، مادة (أسا) .

(٢١٩) مجالس ثعلب ٧٤/١ .

(٢٢٠) الفقرة - بالفتح - : واحدة فقار الظهر ، وهو ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب ، ويقال للحُفرة فقرة ، وجمعها (فُقر) ، استعارة بعض الشعراء للرمح . وعني في البيت بالآخر ، والمُقدَّم الزَّج والسِّنان . اللسان ٢٠٦/١١-٢٠٧ ، مادة (فقر) .

(٢٢١) مجالس ثعلب ١٤٣/١ .

(٢٢٢) العقيقة : يقال : عقيقة البرق : ما انْعَقَّ منه : أي تسَرَّب في السحاب . ويقال منه : انْعَقَّ البرق ، وبه سُمِّي السيف . اللسان ٢٣١/١٠ ، مادة (عقق) . وقال ثعلب : " العقيقة من البرق " . المجالس ١٤٤/١ .
كمعي : مضاجعي . اللسان ١١١/١٣ ، مادة (كمع) .
أفل : الفلُّ - بالفتح - : واحد فلول السيف ، وهي كسور في حدِّه . المصدر السابق ٢٢٢/١١ ، مادة (فلل) .
فطر : يقال : سيف فُطار : أي فيه صدوع وشقوق . المصدر نفسه ١٩٦/١١ ، مادة (فطر) . وقال ثعلب : " ولا فُطار : انكسارٌ من الفطور " . المجالس ١٤٤/١ .

(٢٢٣) المصدر السابق ٤٣٦/٢ .

(٢٢٤) زرق : يقال : نصل أزرق : أي شديد الصفاء ، وبه تسمَّى الأسنة زرقاً للونها . اللسان ٢٨/٧ ، مادة (زرق) .
هبوة : الغبرة ، والجمع أهباء ، على غير قياس . المصدر السابق ١٧/١٥ ، مادة (هبا) . وقال ثعلب : " إذا كان الكليل شكا فكيف الحديد فيها . والهبوة أي ترى عليها كالغبرة من حِدَّتها " . المجالس ٤٣٦/٢ .

Scanned with CamScanner

رابعًا : وصف النخلة :

كان للنّخلةِ أثرٌ كبيرٌ في حياة الشعراء الوارد شعرهم في (مجالس ثعلب) ، فمن البديهي أن يصفوا هذه الشجرة العظيمة التي تُقدّمُ لهم أطيب الثمار . فهاهو حَبِيبٌ القُشَيْرِيّ[٢٢٥] يصف نخلاً كَثُرَ حَمْلُه ، فمِنه ما تطول عُذُوقه ، ومنه ما يَحْمِل هذه العُذُوق ويَحتَضِنُها ، فيقول[٢٢٦] :

مِنْ كُلِّ بائنةٍ تُبِينُ عُذُوقُهـا ... منها وحاضِنةٍ لها مِيقَارِ[٢٢٧]

ومن الشعراء مَن يصف غِرس النخلة ، والماء الذي يصل إلى عروقها ، ويبيّن ما فيها من الألياف ، وكلّ ذلك قام به رجل ماهر ، فهاهو الشاعر يقول[٢٢٨] :

جَاءَتْ عَلَى غَرْسِ طَبِيبٍ مَاهِرِ[٢٢٩] ... عِشْرِينَ عِشْرِينَ بِذَرْعٍ وَافِرِ[٢٣٠]

فَهُنَّ يَرْوَيْنَ بِطِمٍّ قَاصِرِ[٢٣١] ... فِي رَبَبِ الطِّينِ بِمَاءٍ حَائِرِ[٢٣٢]

---

(٢٢٥) هو : حبيب بن يزيد ، أحد بني قشير ، شاعر إسلامي مقلّ ، وأكثر شعره في محبوبته (جمل) التي ردّد اسمها كثيرًا في شعره . شعراء بني قشير في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي ، د. عبد العزيز الفيصل ٣٠٩/١ .

(٢٢٦) مجالس ثعلب ٤٨٢/٢ ، شعراء بني قشير في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي ، د. عبد العزيز الفيصل ١٦١/٢ .

(٢٢٧) بائنة : يقال : نخلة بائنة : أي فاتت كبائسها الكوافير ، وامتدّت عراجينها وطالت . اللسان ١٩٩/٢ ، مادة (بين) . وقال ثعلب : " النخلة الطويلة العذوق ، يقال لها : بائنة " . المجالس ٤٨٢/٢ .
عذوقها : من العذوق ، وهي القنو من النخل ، وقيل : النخلة عند أهل الحجاز . اللسان ٨/١٠ ، مادة (عذق) .
الحاضنة : النخلة القصيرة العذوق . مجالس ثعلب ٤٨٢/٢ .
ميقار : يقال : أوقرت النخلة : أي كثر حَمْلُها . اللسان ٢٥٦/١٥ ، مادة (وقر) ، مجالس ثعلب ٤٨٢/٢

(٢٢٨) المصدر السابق ٣٥٧/٢ .

(٢٢٩) الطبيب : الحاذر من الرجال الماهر . اللسان ٨٤/٩ ، مادة (طبب) . وقال ثعلب : " يريد النخل ، جاءت على قدر ما غرسها طبيب ماهر . يقول : هو حاذق بها بصير " . المجالس ٣٥٧/٢ .

(٢٣٠) قال ثعلب : " جعل بين كلّ اثنين عشرين ذراعًا " . المصدر السابق .

(٢٣١) الطِّمّ : الماء ، ومنه : جاء بالطِّمّ والرِّمّ : أي الرّطب واليابس . اللسان ١٤٦/٩ ، مادة (طمم) .
قاصر : يقال : ماء قاصر : أي يرعى المال حوله لا يجاوزه ، وقيل : هو البعيد عن الكلأ ، وفسّره ابن منظور بقوله : عني أنها تشرب بعروقها . المصدر السابق ١١٧/١٢ ، مادة (قصر) .

(٢٣٢) حائر : يقال : تحير الماء : أي اجتمع وغار ، أي ترتد . المصدر نفسه ٢٨٥/٤ ، مادة (حير) . وقال

لا مُغْرِقٍ ولا بَعِيدِ غَائِرِ(٢٣٣) تَرَى لها بَعْدَ إبَارِ الآبِرِ(٢٣٤)
وأثرِ المِخْلَبِ ذي المآشِرِ(٢٣٥) مآزِرًا تُطْوَى عَلَى مَآزِرِ(٢٣٦)
* شُقْرًا وحُمْرًا كبُرُودِ التَّاجِرِ(٢٣٧) *

ومنهم من يصف بعض عيوب النَّخلة ، التي تَمثَّلت في أنها جرداء الأصول وبها اعوجاج ، وهذا اتّضح في قول الشاعر(٢٣٨):

لا ترجُوَنَّ بِذِي الآطَامِ حَامِلَةً ما لم تكن صَعْلَةً صَعْبًا مَرَاقِيها(٢٣٩)
يقول خارِفُها والريح يَنْفُضه لا بَارَكَ الله فيما في خَوافِيها(٢٤٠)
جَرادءُ مَعْطاءُ لا لِيفٌ ولا كَرَبٌ ولا يَنالُ بِغَيرِ الكَرِّ ما فِيها(٢٤١)

وقال آخر يصفُ النَّخلةَ بالجودة ، وبأنها تحمل سنة وأخرى لا(٢٤٢):

ليستْ بسَنْهاءَ ولا رُجَّبِيَّةٍ ولكن عَرَايا في السِّنِينَ الجَوائحِ(٢٤٣)

ثعلب : " أي تشرب بعروقها ، أي : قد تحير الماء في أصولها . والرّبب : ما ربيه الطين ، أي : رباه فيه " . المجالس ٣٥٧/٢ .

(٢٣٣) قال ثعلب : " أي ليس هو ماء يغرقها ، ولا هو بغائر بعيدٍ عنها " . المصدر السابق .

(٢٣٤) الآبر : المصلح للزرع والنخل . اللسان ٣٢/١ ، مادة (أبر) ، مجالس ثعلب ٣٥٧/٢ .

(٢٣٥) المآشر : جمع منشار ، وهو ما أشربه الخشب . اللسان ١١١/١ ، مادة (أشر) . ويقال : المنشار : ما تُشربه الخشب . المصدر السابق ٢٥٧/١٤ ، مادة (نشر) ، وبرواية (المآخشر) ، ومخاشر المِنجل : أسنانه . المصدر نفسه ٧٠/٥ ، مادة (خشر) .
وقال ثعلب : " المخلب : المنجل " . المجالس ٣٥٧/٢ .

(٢٣٦) قال ثعلب : " المآزر : يعني اللِّيف بعضه على بعض " . المصدر السابق .

(٢٣٧) عقب ثعلب على هذا البيت بقوله : " يعني الحمل " . المصدر نفسه .

(٢٣٨) المصدر نفسه ٤٨١/٢ .

(٢٣٩) أشار المحقق إلى أنّ (ذا الآطام) اسم موضع ، ولم يجده . حاشية المصدر نفسه .
صعلة : يقال : الصعلة من النخل : التي فيها عوج ، وهي جرداء أصول السعف ، ويقال للنخلة إذا دقت . اللسان ٢٤٣/٨ ، مادة (صعل) .

(٢٤٠) الخارف : الذي يخرف التمر ، أي : يجتنيه كما في الحديث : ((أنّ الشجر أبعد من الخارف)) . المصدر السابق ٥١/٥ ، مادة (خرف) .
قال ثعلب : " الخوافي : السعف الذي يلي القلب ، وواحد خوافي خافية " . المجالس ٤٨١/٢ .

(٢٤١) قال ثعلب : " الكرّ : الذي يسمى السَّلب " . المصدر السابق ٤٨٢/٢ .

(٢٤٢) المصدر نفسه ٧٦/١ .

(٢٤٣) السنهاء : هي التي أصابتها السنة المجدِبَة ، وقد تكون النخلة التي حملت عامًا ولم تحمل آخر . اللسان ٢٨٣/٧ ، مادة (سنه) . مجالس ثعلب ٧٦/١ ، بتصرّف .
الرُّجبية : من الرُّجْبة : اسم ذلك الذكان ، والجمع رُجَبٌ ، مثل رُكْبة ورُكَب . والرُّجَبِيّة من النخل منسوبة

Scanned with CamScanner

خامسًا : وصف السحاب :

السحاب ناموس من نواميس الكون التي تدلّ على قُدرة الله ﷻ ، وهذه السحب عندما يجتمع بعضها مع بعض ، توحي بهطول الأمطار ونزول الغيث .

ومن خلال النظر في مختارات ثعلب الشعرية ، اتّضح عدم اهتمام ثعلب بهذا اللون من وصف الطبيعة . ومن الشواهد الشعرية الواردة فيه ، ما يلي: قالت الأعْرَابِيَة[٢٤٤]:

أَنَاخَ بِذِي بَقَرٍ بَرْكَهُ ... كأنَّ عَلَى عَضُدَيه كتَافَا[٢٤٥]

نحتْهُ الصَّبَا ومَرَتْهُ الجنُو ... بُ وانتجفتهُ الشَّمَالُ انْتِجَافَا[٢٤٦]

وقال الهذلي[٢٤٧]:

لِتُلْقِحَهُ رِيحُ الْجَنُوبِ وتَقْبَلَ الشَّـ ... ـمَالُ نِتَاجًا والصَّبَا حَالِبٌ يَمْرِي[٢٤٨]

إليه . ويقال : رجب النخلة : كانت كريمة عنيه فمالت ، فبنى تحتها نُكاتًا تعتمد عليه لضعفها ، وقيل : نخلة رُجبيّة ورُجُبيّة : بُني تحتها رُجْبة ، كلاهما نسَبٌ نادِرٌ ، والتثقيل أذهب في الشُذُوذ . اللسان ١٠١/٦ ، مادة (رجب) .

وقال ثعلب : " الرُّجَبيّة : التي يخاف سقوطها ، فيعمل له رَجْبة " . المجالس ٧٦/١ .

العرايا : جمع عرية ، وهي التي تعزل عن المساومة عند بيع النخل . وقيل : العرية : النخل التي قد أكل ما عليها . اللسان ١٣٠/١٠ ، مادة (عرا) . وقال ثعلب : " العرايا التي توهب وتطعم الناس " . المجالس ٧٦/١ .

الجوائح : السنون التي تجيح المال . اللسان ٢٣٣/٣ ، مادة (جوح) .

(٢٤٤) وردت النتفة وخبرها في مجالس ثعلب ٢٨٩/١-٢٩٠ .

(٢٤٥) أناخ : أنخت البعير فاستناخ ونوّخته فتنوّخ وأناخ الإبل : أبركها فبركت . اللسان ٣٧٩/١٤ ، مادة (نوخ) ذو بقر : موضع . المصدر السابق ١٢٤/٢ ، مادة (بقر) .

الكتاف : وثاق في الرحل والقتب . المصدر نفسه ٢١/١٣ ، مادة (كتف) .

(٢٤٦) انتجفت الريح السحاب : إذا استفرغته . المصدر نفسه ٢٠٠/١٤ ، مادة (نجف) .

(٢٤٧) مجالس ثعلب ٢٩٦/١ .

لم يُعرف مَن هو (الهذلي) فيما بين يديّ من المصادر والمراجع .

قال ثعلب : " قال الأصمعي : أجوَد بيت قيل في الغيث ، بيت الهذلي - أعلاه - " . المجالس ٢٩٦/١ .

(٢٤٨) تقبله : تتلقاه كما تقبل القابلة المولود . اللسان ١٧/١٢ ، مادة (قبل) .

يمري : يقال : الريح تمري السحاب وتمْثريه : تستخرجه وتستدرّه . المصدر السابق ٦٣/١٤ ، مادة (مرا) .

Scanned with CamScanner

وقال الكُمَيْتُ بنُ زَيْد[٢٤٩]:

مرته الجَنُوبُ فلمّا أكفَهـ ... ـرّ حلّتْ عَزالِيَهُ الشَّمْأَلُ[٢٥٠]

سادسًا : وصف الفلاة (البيداء) :

لم يحظَ هذا اللون من الوصف على اهتمام الشعراء في (مجالس ثعلب) ، وما ورد فيه من الشواهد لا يكاد يُذكر ؛ إذ تمثّل في قول الشاعر يصف الفلاة ، والدليل بها ظاهره الكآبة والحزن[٢٥١]:

يَسيرُ الدَّليلُ بها خِيفةً ... وما بكآبته من خَفاء[٢٥١]

وقال رؤبة يصف الآل والسراب وانغماس الجبال فيه إلى أعاليها[٢٥٢]:

* خارِجَـةً أعْنَاقُهـا من مُعْتَنَـقْ[٢٥٤] *

سابعًا : وصف الإنسان :

اشتمل هذا اللون من الوصف الوارد في شعر (مجالس ثعلب) على ثلاثة جوانب ، هي :

الجانب الأول : وصف الشاعر لنفسه :

---

(٢٤٩) مجالس ثعلب ٢٩٦/١ ،شعره ، جمع وتحقيق وتقديم : د. داود سلوم ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٩٦٩م ، ٢٦/٢ .

(٢٥٠) اكفهرّ : من كفهر ، وقيل : المكفهر من السحاب : الذي يَتْلَظ ويسودُّ ويركب بعضه بعضًا . اللسان ٩٢/١٣ ، مادة (كفهر) .
العزالي : جمع عزلاء ، وهي مَصَبّ الماء من الرّاوية والقِرْبة في أسفلها ، سميت عزلاء لأنها في أحد خُصمي المزادة لا في وسطها ، ولا هي كفيها الذي منه يُستقى فيها ، والجمع العَزالي - بكسر اللام - . ويقال للسحابة إذا انهمرت بالمطر الجود : قد حلّت عَزاليها وأرسلت عزاليها . المصدر السابق ١٣٩/١٠ ، مادة (عزل) .

(٢٥١) مجالس ثعلب ٣١٤/١ .

(٢٥٢) روي بتسكين آخر عجزه في المصدر السابق ٣١٤/١ .
الكآبة : الحزن الشديد . اللسان ٥/١٣ ، مادة (كأب) .
وعقب ثعلب بقوله : " لا علم بها " . المجالس ٣١٤/١ . وأشار المحقق إلى أن الشاعر أراد القول : لا علم له بهذه الفلاة ، فالدليل بها ظاهر الكآبة والحزن . حاشية المصدر السابق .

(٢٥٣) المصدر نفسه ٣٥٠/٢ ، الديوان ، ص١٠٤ .

(٢٥٤) أعناقها : يقال : عنق كلّ شيء أوله ، وعنق الجبل : ما أشرفت منه ، ومعتنق : مخرج أعناق الجبال . اللسان ٣٠٥/١٠ ، مادة (عنق) . وقال ثعلب في معناه : " أعناق هذه الجبال لاث بها السراب ، فالتف بها فلم يبلغ أعاليها ، أي اعتنقها السّراب " . المجالس ٣٥٠/٢ .

Scanned with CamScanner

عني الشعراء في (مجالس ثعلب) بوصف أنفسهم ، حيث وصفوا أيام الشباب والصبا والفتوّة والقوّة ، والأحداث التاريخية التي عايشوها ، وكذلك وصفوا سائر أحوالهم ... إلى آخر تلك الأمور . ومن الروائع الشعرية الواردة في هذا اللون من الوصف ، ما يلي : قال الشاعر يصف نفسه[٢٥٥] :

صَحَوتُ وأوقدتُ للجهلِ نارًا ... وردَّ عليَّ الصِّبا ما استعارا[٢٥٦]

وقالَ الآخرُ يصف حالهُ إذا أكل السَّمك والتَّمر ، فربّما قد أطاله أو أعرضه أو أسمنه[٢٥٧] :

إذا أكلتُ سمكًا وفَرْضًا[٢٥٨] ... ذهبتُ طولاً وذهبت عَرْضًا

الجانب الثاني : وصف الشاعر لغيره من الأشخاص :

اهتمّ شعراء المجالس بوصف غيرهم من الأشخاص من حيث المزايا والعيوب ، فوصفوا من مزاياهم : الشجاعة ، والبسالة ، والكرم ، ومن عيوبهم : اللؤم ، والبخل ، والجشع . ومن الروائع الشعرية التي أنتجتها قرائح الشعراء في هذا اللون من الوصف ، ما يلي : قالَ النّمرُ بن تولب يصف رجلاً بالبخل واللؤم[٢٥٩] :

رأتْ رجُلاً كيصًا يُلَفِّفُ وَطْبَه ... ويَأتِي إلى البادِينَ وهو مُزَمِّلُ

وقالَ الهذليُّ يصف شجاعة تَأبَّطَ شرًا[٢٦٠] :

---

(٢٥٥) المصدر السابق ٥٤٣/٢ .

(٢٥٦) قال ثعلب : " ردّ عليّ الجهلَ الصِّبا وعيشته . قال : فإذا فارقَ فِراقًا لا يُرضى أوقدوا نارًا حتى يرجع " . المصدر نفسه .

(٢٥٧) المصدر نفسه ١٧٩/١ .

(٢٥٨) فرض : ضرب من التّمر ، صغار لأهل عمان . اللسان ١٦١/١٠ ، مادة (فرض) . وقال ثعلب : " الفرض : ثمر من تمر اليمامة " . المجالس ١٧٩/١ .

(٢٥٩) مجالس ثعلب ٢٦٨/١ ، الديوان ، جمع وشرح وتحقيق : د. محمد نبيل طريفي ، دار صادر - بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، ص١٠٢ .

*روايته في المصدر السابق :

أرَى أمَنا كيصًا يُلَفِّفُ وَطْبَهُ ... إلى الأنسِ البادِينَ وهو مُزَمِّلُ

مزمل : يقال : تزمل فلان : إذا تلفف بثيابه ، وزمل الشيء : أخفاه . اللسان ٥٨/٧ ، مادة (زمل) .

الكيص : اللئيم الشحيح . المصدر السابق ١٤٣/١٣ ، مادة (كيص) ، مجالس ثعلب ٢٦٨/١ .

(٢٦٠) مجالس ثعلب ٣٥٠/٢ . أشار المحقق إلى المعني بالهذلي في البيت أعلاه هو أبو كبير الهذلي . حاشية المصدر السابق . وأبو كبير هو : عامر بن الحليس من بني سعد بن هذيل ، شاعر جاهلي فحل

Scanned with CamScanner

وإذا طَرَحتَ لَهُ الحصاةَ رَأيتَه ... يَنْزُو لوقْعَتِها طُمُورَ الأخْيَلِ(٢٦١)

وقال النَابِغَة الْجَعْدِيّ يصف قوم ذي ريبة(٢٦٢):

فأصبَحَ في النَّاسِ كالسَّامِرِيّ ... إذْ قَالَ مُوسَى له لا مِسَاسا

وقال الشَّمّاخُ يصف رجلاً باع قوسه(٢٦٣):

فَلَمّا شَرَاها فاضتِ العين عَبْرَةً ... وفي الصدرِ حُزّازٌ من اللّوْمِ حَامِزُ

وقال الشاعر يصف شخصًا أكولاً جشعًا(٢٦٤):

يَلقَمُ لَقْمًا ويفدّى زَادَهْ ... يَرمي بأمثال القَطَا فُؤادَه

الجانب الثالث : وصف المرأة وديارها :

يُعدّ هذا اللون من الأوصاف الشائعة في الشعر العربي عامّة ، والمقتضبة في شعر (مجالس ثعلب) خاصة ، وقد وصف شعراء المجالس كرمَ المرأة وحياءَها وعفافَها .. إلى آخر تلك الصفات الحميدة . هذا ، وقد وصفوا ديارها وأطلالها . ومن الشواهد الشعرية الدالّة على ذلك ، ما يلي :

أ / قال الشّاعر في وصف امرأة مضيافة(٢٦٥):

من شعراء الحماسة في الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، عرف بمطالع واحدة لأربع وقصائد لم يسبقه إليها أحد من الشعراء . انظر : الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ٦٧٠/٢-٦٧٤ ، تاريخ الأدب العربي ، لعمرو فروخ ١٠٨/١-١١٠ .

(٢٦١) الطمور - من الطمر - : الوثب ، وقيل : الطُمور شبْهُ الوثوب في السماء . اللسان ١٤٤/٩ ، مادة (طمر) .

الأخيل : طائر أخضر ، يقال له الشاهين . المصدر السابق ١٩٣/٥ ، مادة (خيل) . وقال ثعلب : " إذا ألقيت له الحصاة وهو نائمٌ انتبه ، من ذكاء قلبه " . المجالس ٣٥١/٢ .

(٢٦٢) المصدر السابق ٥٧٧/٢ ، شعره ، ص٨٣ .

(٢٦٣) مجالس ثعلب ١٢٤/١ ، الديوان ، ص١٩٠ .

رواية عجزه في المصدر السابق : * وَفِي الصّدر حُزّازٌ من الهمّ حَامز * قال ثعلب : " شراها : باعها " . المجالس ١٢٥/١ .

الحزاز - بالضمّ والفتح - : ما حزّ في القلب . اللسان ١٠٥/٤ ، مادة (حزز) .

الحامز : الشديد الحمض ، المحرق . المصدر السابق ٢٢٢/٤ ، مادة (حمز) .

(٢٦٤) مجالس ثعلب ٤٦١/٢ .

(٢٦٥) المصدر السابق ١٧١/١ .

Scanned with CamScanner

رأيتُك في الوِرْاد كالمُسْهَبِ الذي ... إذا عَطِشُوا يومًا فَمَنْ شاء أوردا(٢٦٦)
خِذامِيَّةٌ آدَتْ لها عَجْوَةُ القُرَى ... وتَخْلِطُ بالمأقُوطِ حَيْسًا مجعّدا(٢٦٧)

وقال نَصِيب(٢٦٨) في وصف صاحبته بأن بدانتها طبيعية ، وأنه يكفيها أن تلف بالمِئزر(٢٦٩):

إذا ما الزُّلُّ ضاعَفْنَ الحشايا ... كفاها أنْ يُلاثَ بها الإزارُ(٢٧٠)

وقال الشاعرُ في وصف مشية امرأة(٢٧١):

---

(٢٦٦) الوراد : موضع . اللسان ١٩٢/١٥ ، مادة (ورد) . المسهب - بفتح الهاء - : وهي البئر البعيدة القعر التي لا يدرك قعر مائها . المصدر السابق ٢٨٦/٧ ، مادة (سهب) .

(٢٦٧) خذامية : نسبة إلى خذام - بالكسر - : بطن من محارب . المصدر نفسه ٣٥/٥ ، مادة (خذم) . آدت : عطفت . المصدر نفسه ١٩١/١ ، مادة (أود) . المأقوط : المعمول بالإقط . المصدر نفسه ١٢٥/١ ، مادة (أقط) . الحيس : الأقط يخلط بالتمر والسمن . المصدر نفسه ٢٨٧/٤ ، مادة (حيس) . المجعد : الغليظ غير السبط . المصدر نفسه ١٥٤/٣ ، مادة (جعد) .

(٢٦٨) هو : أبو محجن ، نصيب بن رباح ، مولى عبد العزيز بن مروان ، شاعر فحل مقدم في النسيب والمديح ، ولم يوفق في الهجاء ، وكان عفيفًا ، أمه سوداء وقع عليها سيدها فولدته ، وعاش مع أهله على الرقّ زمنًا ، ثم رحل إلى مصر وأعجب به عبد العزيز ، فاشتراه وأهله وأعتقهم جميعًا . وله أخبار كثيرة مع الفرزدق وجرير وذي الرمّة ، وله في سواد لونه شعر كثير على مثال شعر عنترة . انظر : الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ٤١٠/١-٤١٢ ، الأغاني ، للأصفهاني ٢١٤/١-٢٤٤ .

(٢٦٩) مجالس ثعلب ٥٥٥/٢ .

(٢٧٠) الزُّلّ : جمع أزل وزلاء ، وهو الخفيف الوركين ، وقيل : امرأة زلاء : أي لا عجيزة لها . اللسان ٥٢/٧ ، مادة (زلل) ، مجالس ثعلب ٥٥٥/٢ .
وقال ثعلب : " العجزاء : ذات العَجْز . والفرَح أن تجد في قلبك خِفّة " . المصدر السابق .
وقال ثعلب في معناه : " إذا هبّت الريح ألصقت القميص بالجسم فباتت الزلاءُ من العجزاء " . المصدر نفسه . وقال ثعلب : " الحشيّة مثل العظامة ، وهي ما ثقلت به إليتها " . المجالس ٥٥٥/٢ .

(٢٧١) ورد في مجالس ثعلب ٤٢٢/٢ بدون نسبة ، ونُسب إلى الشاعر المشهور (امرئ القيس) في ديوانه ، ص١٥٧.
رواية صدره في المصدر السابق :* برهرهة رُؤْدة رَخْصة *
برهرهة : يقال : امرأة برهرهة : أي امرأة تكاد تُرْعَدُ من الرطوبة ، وقيل : بيضاء . اللسان ٧٥/٢ ، مادة (برد) . رؤدة : المهلة في الشيء . المصدر السابق ٢٦٠/٦ ، مادة (رود) .
الخرعوبة : القضيب الناعم ، ويقال : رجل خرعب : أي طويل . المصدر نفسه ٥٠/٥ ، مادة (خرع) .

Scanned with CamScanner

بزهزهة رخصة رؤدة كفرعوبة البانة المنفطر

وقال الشاعرُ يصف امرأة بالحياء والعفاف(٢٧٢):

كأنّ لها في الأرضِ نِسيًا تَقُصُّهُ على وَجهِها وإنْ تُخاطِبْكَ تَبلَتِ(٢٧٣)

ب/ وقال الشاعر يصف حاله حين وقف على ديار محبوبته ، فمن رآه عند ديارها ، يظنّ أنّه شَخْصٌ مَحْمُومٌ أو صاحب جرحٍ أليم(٢٧٤):

خَلِيلَيَّ إنّ الدّارَ غَفْرٌ لِذِي الْهَوَى كما يُغفَرُ الْمَحْمُومُ أو صَاحِبُ الكَلْمِ(٢٧٥)

ثامنًا : وصف الليل :

لم يُعن ثعلب في مختاراته الشعرية بالاستشهاد على هذا اللّون من الوصف ، وما ورد لا يمثّل إلا أنموذجًا شعريًا اتّضح في قول الشاعر يصف الليل الذي غطّى بِظَلامِهِ كُلَّ شَيء ، بذلك البحر الذي عمّ بسواده كلّ شيء(٢٧٦):

---

(٢٧٢) مجالس ثعلب ٣٥٣/٢ .

(٢٧٣) نِسْيًا : قيل : ما تلقيه المرأة من خرق . اللسان ٢٥١/١٤ ، مادة (نسا) . وقال ثعلب : " نسيًا : شيئًا قد نسيته فهي تطلبه " . المجالس ٣٥٤/٢ .
تقصّه : من قصّ آثارهم يقُصُّها قصًّا وقصصًا وتقصصها : تتبّعها بالليل ، وقيل : هو تتبع الأثر أيّ وقتٍ كان . اللسان ١٢٠/١٢ ، مادة (قصص) .
تبلت - بالتحريك - : الانقطاع . وقيل : بَلَت الرجل يَبْلُتُ ، وبَلِتَ - بالكسر - ، وأبْلَتَ : انقطع من الكلام فلم يتكلّم ، وقيل : ثَبْلِت ، في بيت الشنفري ، تفصيلُ الكلام . المصدر السابق ١٣٦/٢ ، مادة (بلت) .
وقال ثعلب : " تقطع الكلام وتبينه " . المجالس ٣٥٤/٢ .

(٢٧٤) المصدر السابق ٨٠/١ .

(٢٧٥) غفر : يقال : غَفر المريضُ والجريحُ يَغْفِرُ غَفْرًا وغَفِر ، على صيغة مالم يُسمّ فاعله ، كلُّ ذلك : نُكِسَ ، وكذلك العاشق إذا عاده عيدُه بعد السُّلوة . اللسان ٦٥/١١ ، مادة (غفر) . وقال ثعلب : " الغفر : النكس . قال : ويقال : نُكِسَ مُثقّلة ، ويقال : انتكس فلان من وجعه ثم غفر " . المجالس ٨٠/١ .
الكَلْم : الجُرْح ، والجمع كُلوم وكِلام . اللسان ١٠٥/١٣ ، مادة (كلم) .

(٢٧٦) مجالس ثعلب ٣٠٣/١ .

Scanned with CamScanner

والليلُ كالدأماءِ مُستَشعِرٌ من دُونِهِ لوناً كلونِ السَّدوسِ(٢٧٧)

ومن خلال النظر في مختارات ثعلب الشعرية ، رأيتُ بعض موضوعات الوصف النادرة ، كوصف القبر ، والبئر ، والظعن ، والمواضع والأماكن ... وقد تمثّل ذلك في بعض النماذج الشعرية الآتية :

قال الشاعر في وصف القبر(٢٧٨):

وقَدْ أرسَلُوا فُرَّاطَهُمْ فتأثَّلُوا قَلِيبًا سَقَاهَا كالإماءِ القَواعِدِ(٢٧٩)

وقال الشاعر في وصف الدلو(٢٨٠):

دَلْوٌ تَمَاى دُبِغَتْ بالحُلَّبِ(٢٨١) أوْ بأعَالِي السَّلَمِ المُضَرَّبِ

بُلَّتْ بِكَفَّيْ عَزَبٍ مُشَذَّبِ(٢٨٢) إذَا اتَّقَتكَ بالنَّفِيِّ الأشْهَبِ(٢٨٣)

---

(٢٧٧) الدأماء : عن أبي عبيدة ، هو : البحر على وزن فعلاء . اللسان ٢٠٦/٥ ، مادة (دأم) . وقال ثعلب : " الدّأماء : البحر ، أي غطى كلّ شيء كما يغطي البحر كلّ شيء " . المجالس ٣٠٣/١ .
السدوس : الطيلسان . اللسان ١٥٣/٧ ، مادة (سدوس) ، مجالس ثعلب ٣٠٣/١ .

(٢٧٨) المصدر السابق ٨٧/١ .

(٢٧٩) الفرّاط : المتقدّمون . اللسان ١٦٢/١١ ، مادة (فرط) .
تأثلوا الناس : أي يأخذون المال ، وقيل : اتخذوا . المصدر السابق ٥٥/١ ، مادة (أثل) .
القليب : البئر . المصدر نفسه ١٧٠/١٢ ، مادة (قلب) .
سقاها : ترابها . فسّر ابن منظور البيت بقوله : " سقاها : الهاء فيه للقليب ، أراد أيضًا تراب القبر ، شبّهه بالإماء القواعد ، ووجه ذلك أنّ الأمة تقعد مستوفزة للعمل ، والحرة تقعد مطمئنة متربّعة ، وقيل : شبّه التراب في لينه بالإماء القواعد " . المصدر نفسه ٢٠٥/٧ ، مادة (سقا) .
القواعد : يقال : قعدت المرأة عن الحيض والولد تقعُدُ قُعودًا ، وهي قاعد : انقطع عنها ، والجمع قواعد . المصدر نفسه ١٥٠/١٢ ، مادة (قعد) . وقال ثعلب : " البوارك على شيء يعملنه " . المجالس ٨٧/١ .

(٢٨٠) المصدر السابق ٢١٢/١ .

(٢٨١) تماى السّقاء والجلد : توسع وتمدّد . اللسان ١٠/١٤ ، مادة (ماي) .

(٢٨٢) بلت : يقال : بللته : لزمته . المصدر السابق ١٤٧/٢ ، مادة (بلل) .
المشذب : يقال : رجل مشذّب : أي طويل ، وكذلك الفرس . المصدر نفسه ٤٢/٨ ، مادة (شذب) .

(٢٨٣) النفيّ : ما نفته الحوافر من الحصى وغيره في السير . المصدر نفسه ٣٣٠/١٤ ، مادة (نفي) .

Scanned with CamScanner

• فـلا تقصـرها ولكـن صـوّب(٢٨٤) •

وقال الشاعر في وصف البئر[٢٨٥]:

عاديةُ الجول طموحُ الجمّ(٢٨٦) جبيتْ بجوفٍ حجرٍ هرشمْ(٢٨٧)
تبذل للجار ولابن العمّ وَ إذا الشريبُ كان كالأصمّ(٢٨٨)

• وعفـه اللمّـة كالأجـمّ(٢٨٩) •

وأيضاً قال الشـاعر في وصف اضطراب الـدلاء فوق الماء باضطراب الشحم المستذيب في القدر[٢٩٠]:

تجيلُ دلاءُ القومِ فيها غُثَاءَةً إجالةَ حَمِّ المستذيبِ جاملُهْ(٢٩١)

الأشهب : من الشهب ، والشهبة : لون البياض الذي غلب على السواد . المصدر نفسه ١٥٠/٨ ، مادة (شهب) .

(٢٨٤) القصرة : الصلابة والشدة ، وقيل : قصر الشيء : أخذه . المصدر نفسه ١٥٣/١٢ ، مادة (قعسر) .
وقال ثعلب : " تقصرها : تعازّها " . المجالس ٢١٢/١ .

(٢٨٥) المصدر السابق ٢٠٣/١ .

(٢٨٦) العادية : القديمة ، كأنها المنسوبة إلى عاد . اللسان ٧٢/١٠ ، مادة (عدا) .
الجول : يقال : جول البئر - بالضمّ - : هو كلّ ناحية من نواحي البئر ، وقيل : جانبها . المصدر السابق ٢٤٤/٣ ، مادة (جول) .

(٢٨٧) الهرشم : من الأضداد ، وقيل : هو الحجر الصلب ، وفسّر ابن منظور البيت بقوله : " الصُلب ؛ لأنّ البئر لا تُجاب إلا بحجر صُلب ، ويروى : جُوب لها بجَبَل ، قال ثعلب : معناه رخوٌ غزيرٌ ، أي في جَبَلٍ " . المصدر نفسه ٥٣/١٥ ، مادة (هرشم) .

(٢٨٨) الشريب : صاحبك الذي يشاربك ، ويُوردُ إبله معك . المصدر نفسه ٤٥/٨ ، مادة (شرب) .

(٢٨٩) اللمة : شعر الرأس - بالكسر - إذا كان فوق الوفرة . المصدر نفسه ٢٣٧/١٣ ، مادة (لمم) .
الأجم : أصله الذي لا قرن له . المصدر نفسه ٢٠٥/٣ ، مادة (جمم) .

(٢٩٠) مجالس ثعلب ٢٦٣/١ .

(٢٩١) الغُثاء - بالمدّ والضمّ - : ما يجيء فوق السيل مما يَحمِله من الزَبد والوسخ وغيره . اللسان ١٥/١١ ، مادة (غثا) . الإجالة : الإدارة . المصدر السابق ٢٤٤/٣ ، مادة (جول) .
حمّ : واحدته حَمّة : وهو ما اصطهرت إهالته من الألية والشحم ، وقيل : ما يبقى من الإهالة : أي الشحم المذاب . المصدر نفسه ٢٣٥/٤ ، مادة (حمم) .
جامله : منه الجميل ، وهو : الشحم يُذاب ثم يُجمل ، أي : يُجمع . وقيل : جمله يَجمُله جَمْلاً وأجمله : أذابه واستخرج دُهنه . المصدر نفسه ٢٠٢/٣ ، مادة (جمل) . وقال ثعلب : " الجميل : الشحم المذاب . قال في معناه : أي يضطرب الدلاء فوق الماء فتنحى الطحلب كذا وكذا ، كما يدير المستذيب الشحم في

Scanned with CamScanner

وقال آخر في وصف موضع الماء[٢٩٢]:

ومَنْهَلٍ من الفَلا في أوسَطِهْ(٢٩٣)

مِنْ ذَا وهذاك وذا في مَسْقَطِهْ

ومن خلال تتبعي لمرويات ثعلب الشعرية في هذا الغرض ، تجلّى لي ظهور لون جديد ، يسمى بـ(الوصف الساخر) ، وهو أثر من آثار الروح الشعبية التي سَرَت في القرن الثاني ، وهذا اللون لم يتناول أبو العباس ثعلب منه إلاّ نتفة شعرية قالها الشاعر في وصف الحيوان[٢٩٤]:

عَجِبْتُ لِهِرَّةٍ ذَعرَتْ بَعيري ... فأقْبَلَ كَلْبُنا فرحًا يجُولُ

يُحَاذِرُ شَرَّها جملي ، وكَلْبي ... يُرَجِّي خَيْرَها ماذَا أقُول

وجدير بالذِّكر أنني لمستُ نُدرة النماذج الشعرية التي تأتي في أبواب تقوم على الوصف ، وذلك على الرغم من تَوَجُّه مقطوعاتها الشعرية إلى مضامين متعدِّدة وأغراض أخرى ، كوصف الحرب ضمن مقطوعة في غرض الرثاء ، وقد تمثَّل ذلك في قول الشاعر[٢٩٥]:

أليلتَنَا بذِي حُسُمٍ أنِيري ... إذَا أنتِ انقَضَيْتِ فلا تَحُوري(٢٩٦)

فَإنْ يكُ بالذَّنائبِ طَالَ لَيْلي ... فَقَدْ يُبْكَى مِنَ اللَّيلِ القَصِيرِ

كَأنَّ رِماحَهُم أشْطانُ بِئرٍ ... بَعِيدٍ بَيْنَ جَالَيْها جَرُورِ[٢٩٧]

تَكُبُّ القَوْمَ لِلأذْقَانِ كَبًّا ... وتَأخُذُ بالتَّرَائبِ والنُّحُورِ[٢٩٨]

القدر " . المجالس ٢٦٣/١ .

(٢٩٢) المصدر السابق ٣١٣/١ .

(٢٩٣) المنهل : المشرب ، ثم كثر ذلك حتى سميت منازل السقاء مناهل ، ونقل عن ثعلب : هو الموضع الذي فيه الشرب . اللسان ٣٧٢/١٤ ، مادة (نهل) ، المجالس ٣١٣/١ ، بتصرّف .

(٢٩٤) وردت في المصدر السابق ١٥٠/١ بدون نسبة ، ونسبت إلى أعرابي في : قواعد الشعر ، لأبي العباس ثعلب ، ص٥٢ .

(٢٩٥) مجالس ثعلب ١١٦/١ .

(٢٩٦) حُسُم : موضع بالبادية . اللسان ١٢٢/٤ ، مادة (حسم) .

(٢٩٧) الجالا : جانبا البئر . المصدر السابق ٢٤٤/٣ ، مادة (جول) .
الجرور : البعيدة القعر . المصدر نفسه ١١٨/٣ ، مادة (جرور) .
وقال ثعلب في معناه : " تضطرب الأرشية كما تضطرب الرِّماح " . المجالس ١١٦/١ .

(٢٩٨) عقب ثعلب على هذا البيت بقوله : " يصف الحرب أنها تكبّ القوم " . المصدر السابق .

Scanned with CamScanner

وجماع ما يمكن قوله : إن أبا العباس اهتمّ بوصف الطبيعة الحية بشقّيها (المتحرّكة والصامتة) ، فالمتحرّكة تمثلت في تلك الأوصاف القديمة السائدة منذ العصر الجاهلي ، كوصف الحيوانات ، من الناقة ، والإبل ، والفَرَس ، والذئب ، والسَّبُع ، وغيرها .. وقد تباينت هذه الأوصاف من حيث الكثرة والقلّة ، فمن الحيوانات التي سيطرت على أكثر مرويات ثعلب الشعرية : الناقة ، والإبل . ومنها مالم تلقَ اهتمامًا واسعًا من قِبل ثعلب ، كالضبّ ، والشاة ، والذئب ، والسَّبُع ، والقطاة ، وغيرها ..

هذا ، وقد رأيتُ اهتمام ثعلب بوصف الطبيعة الصامتة كوصف الأشجار ، وخاصة النخلة التي أسرف الشعراء في بيان مزاياها وعيوبها ، وكذلك وصف السّحاب واللّيل اللّذَيْن يُعبّدان آيتَيْنِ من آيات الله في الكون . ومع ذلك لم يقتصر ثعلب في مجالسه على وصف الطبيعة فحسب ، بل تناول وصف الشاعر بدءًا بنفسه ، ثم بغيره من الأشخاص ، وكذلك وصف الحرب والأسلحة والفلاة .

هذا ، وقد أورد قلّة من النماذج الشعرية للموضوعات النادرة في الوصف ، كالبرذون ، والقبر ، والبئر. وإلى جانب ما سبق طرّز مختاراته الواردة في هذا الغرض بلونٍ جديدٍ من الأوصاف التي سرت في القرن الثاني ، ألاَ وهو الوصف الساخر .

ويمكن أن أستنتج مما سبق أنّ اهتمام أبي العباس وكثرة استشهاده بهذا الغرض يرجع لِما ينطوي عليه من ألفاظ لغويّة صعبة وغريبة تحتاج إلى معجم لغوي لفكّ طلاسمها ، والتي يقصد من ورائها غاية تعليمية تخدم مذهبه الشعري .

الغـــزل :

يُعدّ من أهمّ الفنون وأبرز الموضوعات ، وأشدّها تعلّقًا بالقلب ، وأقربها إلى طبيعة الإنسان ، وقد تَرِد في هذا المجال " كلمتان مع الغزل هما النسيب والتشبيب ، وكلها بمعنى واحد "[٢٩٩] ، على الرغم أنّ هناك مَن حاول التفريق بينهما ، ومهما يكن من شيء ، فلا فائدة تُرْجَى من التفريق بينهما ، والأولى اعتبارهما من

(٢٩٩) العمدة في محاسن الشعراء ، نقده وآدابه ، لابن رشيق القيرواني ١١٧/٢..

Scanned with CamScanner

الكلمات المترادفة ، وأخفّها وأكثرها استعمالاً هو الغزل ، فعليها المعوّل .

فهو " يُعدّ من الفنون المطروقة من قبل الشعراء ، حيث تغنوا به ، فاتخذوه حليةً لقصائدهم ، وزينةً لأشعارهم ، فهو يوقظ مشاعر الشاعر ، ويبعث فيه النشاط الروحي ، الذي يسري في جوانحه مسرى الدّم، ويُلهب أحاسيسه شيئًا فشيئًا ، إلى أن يصلَ إلى أوج الانفعال وتأجُّج العاطفة ، فينطلق ذلك على لسانه نغمًا شجيًا "[٣٠٠].

إذاً ... فالغزل يمثل " شعر العاطفة المشبوبة ، والإحساس المرهف ، والشوق الملتهب ، وبين هذا الشوق والهوى الجامح ، يسير الشاعر في طريق تهديه نجمة متلألئة ومضيئة في سماء خياله : هي حبيبته الملهمة ، وهذه النجمة تدله إلى عالم الحب وتملأ عليه حياته ، ولذلك ظهر في ميدان الشعر شعراء أفذاذ سبحت المرأة في بحر أفكارهم ، فقالوا فيها أروع شعرٍ في الغزل ، ولكن لكُلٍّ من هؤلاء الشعراء طريقته في التعبير عن حبه لهذه المرأة "[٣٠١] التي تُعدّ نهرًا يتدفق رقّةً وعذوبة وحناناً وسعادة ، فهي مخلوقة ضعيفة تمتلك صفات حسية ومعنوية ، وهذه الصفات تعرّضت لها قرائح الشعراء ، فظهرت واضحة من خلال إنتاجهم الشعري

وقد حازت مختارات ثعلب الشعرية في هذا الفنّ على مكانة ظاهرة وحظّ عظيم بين الفنون الأخرى[٣٠٢]، وقد قال فيه أغلب الشعراء من اشتهر منهم ومن لم يشتهر .

ومن خلال النظر في الإنتاج الشعري الوارد في (مجالس ثعلب) ، رأيتُ أنّ شعرَ الغزل – والإسلامي منه خاصة – تركّز حول الغزل العذري ، أما الغزل اللاهي

---

(٣٠٠) في تاريخ الأدب الجاهلي ، د. علي الجندي ، ص٤١٣-٤١٤ ، بتصرّف .

(٣٠١) المقدمة في لآلئ الشعر في الغزل (أجمل الأبيات وأشهرها) ، إعداد : مي علوش ، دار المؤلف ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، ص١٠-١١ ، بتصرف .

(٣٠٢) انظر مختارات الغزل في (مجالس ثعلب) : ١/٤-٥ ، ٦ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٢-٣٤ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤-٦٥ ، ٦٦ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧-٩٨ ، ١١٠-١١١ ، ١١٦ ، ١٢٧ ، ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٨٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٨-٢٠٩ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩-٢٣٠ ، ٢٣٦-٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٠ ، ٢٦٢ ، ٣٠٣-٣٠٤ ، ٣١٠ ، ٣١٨-٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٤١/٢ ، ٣٥٨ ، ٣٦٦ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٨٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٨ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦-٤٢٩ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٩١ ، ٤٩٤-٤٩٥ ، ٥١٥ ، ٥١٧ ، ٥١٨-٥١٩ ، ٥٢٥ ، ٥٢٩ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣-٥٣٦ ، ٥٤٢-٥٤٣ ، ٥٥٥ ، ٥٦٠ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩ ، ٥٦٥ ، ٥٧٠-٥٧١ ، ٥٩٧ ،

Scanned with CamScanner

ذي يتجه فيه الشعراء إلى اللهو والعبث ، واتخاذ أكثر من حبيبة ، والحديث عن مغامراتهم الغرامية ، لا أراها ظاهرة على صفحاته إلا من ناحية تصوير الجانب الحسي للمحبوبة .

ولابد التنويه إلى أنّ الدراسة هنا لا تهتم بمناقشة هذين الاتجاهين وأسباب ظهورهما ، وتتبع مؤثراتهما في الشعر العربي عبر العصور ، وإنما تنحصر في قراءة المضمون الشعري للغزل في (مجالس ثعلب) . وسوف أقف على بعض النماذج الشعرية لهذين الاتجاهين .

الاتجاه الأول : الغزل اللاهي (الحسي) :

لم يهتمّ ثعلب في مجالسه بسرد النماذج الشعرية في هذا الاتجاه من الغزل ، والذي يتناول الجانب الحسي للمرأة ، بحيث يمكن التعرف على صفات المحبوبة وملامحها ، كوصف جيدها ، وقدّها ، وعينها ، وثغرها ، من خلال شعر محبّها . وقد اتّضح شيءٌ من ذلك في قلّة من تلك النماذج ، ومنها ما يلي :

قال الشاعر[٣٠٣] :

أسيلة مجرى الدمع خمصانة الحشا ... بَرُودُ الثنايا ذاتُ خَلْقٍ مشرّعب[٣٠٤]

ترى العينَ ما تَهْوَى وفيها زيادةٌ ... من اليُمْنِ إذ تبدو ومِلْهَى لملْعَب[٣٠٥]

كريمةُ حُرّ الوجهِ لم تدعِ هالكًا ... من القَوْمِ هُلْكًا في غدٍ غيرَ مُعْقَب[٣٠٦]

وقال رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ[٣٠٧] :

---

(٣٠٣) المصدر السابق ٥٧٠/٢ .

(٣٠٤) أسيلة : يقال : خدّ أسيل : أي السهل اللين . اللسان ١٠٧/١ ، مادة (أسل) .
خمصانة : يقال : خميص الحشا : أي ضامر البطن . المصدر السابق ١٥٨/٥ ، مادة (خمص) .
مشرعب : الجسيم الطويل . المصدر نفسه ٦١/٨ ، مادة (شرعب) .

(٣٠٥) اليُمن : البركة . المصدر نفسه ٣٢٣/١٥ ، مادة (يمن) ، مجالس ثعلب ٥٧٠/٢ .

(٣٠٦) معقب : من أعقبَ الرجل : إذا مات وترك عقبًا ، أي ولدًا . اللسان ٢١٥/١٠ ، مادة (عقب) .
وقال ثعلب في معناه : " إنه إذا هلك من قومها سيّد قام سيد ، فهي لم تُذَب سيدًا واحدًا لا نظير له ، أي له نظراء من قومه " . المجالس ٥٧٠/٢ .

(٣٠٧) مجالس ثعلب ٣٦٦/٢ .الغُربة - بالضمّ - : بياض صرف . اللسان ٢٧/١١ ، مادة (غرب) .
العين من السحاب : ما أقبل من ناحية القِبلة ، أي قبلة أهل العراق . المصدر السابق ٣٥٩/١٠ ، مادة (عين) .
الجؤذر : ولد البقرة . المصدر نفسه ١٠٣/٣ ، مادة (جذر) .
الجيد : العنق . المصدر نفسه ٢٤٩/٣ ، مادة (جيد) .
رشأ - على فعل بالتحريك - : الظبي إذا قوي وتحرك ومشى مع أمّه ، والجمع أرشاء . المصدر نفسه ١٥٦/٦ ، مادة (رشأ) .

Scanned with CamScanner

قامتْ تأوّدُ في جلبابِها أُصُلاً ... عن غُربةٍ تحت عينِ ذاتِ أمطارِ
فاتعنَ من جُوذرٍ والجيدُ من رشأ ... والفرعُ مثلُ قطوفِ الأعجمِ القاري
بيضاءُ صفراءُ لم تُحنَى على ولدٍ ... إلاّ لأُخرى ولم تقعُدْ على نارِ

وقال الشاعر [٣٠٨]:

وفتاةٍ بيضاءَ ناعمةِ الجسـ ... ـمِ لَعوبٍ ووجهُها كالفتاقِ [٣٠٩]
ولها مبسمٌ تُشبّهُهُ الإغـ ... ـريضَ بَعْدَ الهُدُوّ عذبَ المَذاقِ [٣١٠]

الاتجاه الثاني : الغزل العذري (الوجداني) :

يُعدّ هذا الاتجاه أروع وأرقى أنواع الغزل ؛ لأنه يمتاز بصدقِ العاطفة والصَبابة المتأجّجة ، والاقتصار على محبوبة واحدة ، يتغنى باسمها طوال حياته ، فهو شعرٌ يفيضُ رِقّةً وعُذوبةً ، وألَمًا وعِفّةً ، ويعتمد على المعاني الروحية والنوازع القلبية ، ويشكو ما كان من آلام البُعد وقسوة الحِرمان وتجهُّم الأيام ، ومعاكسة الزمان [٣١١] .

هذا ، وقد طغى عليهم اليأس والتذمّر ، وغلبهم الأسى والألم ، وسيطرت عليهم خيبة الأمل .

ولا شكّ أنّ هذا اللون من الغزل انعكس بوضوح على صفحة الشعر الوارد في (مجالس ثعلب) ، سواء كان هذا الشعر لشعراء منسوبين ، كقيس بن ذريح ، أو لشعراء مشهورين لم ينسبهم ثعلب ، كجَميل بُثَيْنَة ، ومَجْنُون لَيْلَى .

ومن ينظر في الإنتاج الشعري الذي رواه ثعلب في مجالسه ، يجد أنّ الفِراق أو الخوف منه أعطى ذلك الشعر مسحةً حزينةً باكيةً ، ودموعًا غزيرةً ساكبةً ، وعاطفةً صادقةً ، ومشاعرَ متأججةً ، وإحساسًا متوقّدًا . ومن هذه المرويّات التي ظهرت عليها

---

(٣٠٨) مجالس ثعلب ٤٨٠/٢ .

(٣٠٩) الفتاق : انفتاق الغيم عن الشمس ، وقيل : الفتاق : أصل الليف الأبيض يُشبّه به الوجه ؛ لنقائه وصفائه . اللسان ١٢٣/١١ ، مادة (فتق) ، مجالس ثعلب ٤٨١/٢ ، بتصرّف .

(٣١٠) الإغريض : الطلعُ والبردُ ، ويقال : كلّ أبيض طري . وقال ثعلب : " هي أول قطرة تسقط من السحابة المتقطعة . وقيل : هو ما في جوف الطلعة ، ثم شبه به البرد ، لا أن الأغريض أصل في البرد . والأغريض أيضاً : قطر جليل تراه إذا وقع كأنه أصول نبل ، وهو من سحابة منقطعة ، وقيل : هو أول ما يسقط منها " . المجالس ٥٦٥/٢ ، اللسان ٣٧/١١ ، مادة (غرض) .

(٣١١) الأدب العربي وتاريخه في العصرين : الأموي والعباسي ، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، ١٢٢/١ ، بتصرف .

هذه المسحة الحزينة ، ما رأي : قال عُبيدُ الله بْنُ عبد الله[٣١٢] :

ألا من لنفس لا تموتُ فينقضي ... عناها ولا تحيا حياةً لها طعمُ
ألا إن هجران الحبيب تأثُّما ... تجنبت إتيان الحبيب هو الإثمُ
فإن هجرها قد كُنْتَ تزعمُ أنّه ... رشادٌ ألا يا رُبَّما كذب الزَّعمُ

وقال الشاعر[٣١٣] :

إذا ارتحلتَ منَ ساحلِ البحرِ رفقةً ... مشرّقةً هاج الفؤاد ارتحالُها
فإن لم نصاحبها رمينا بأعيُنٍ ... سريعٍ بإفراقِ الدُّموعِ انهلالُها

وقال الأقرعُ القُشَيْري[٣١٤] :

يا حاجةً ما التي قامتْ تودّعُني ... وقد ترقْرقَ ماءُ العين أو دمعا

وهناك قلّة من الشعراء يعبّر الشاعر منهم عمّا في نفسه بتلك الزفرات والآهات التي يخرجها ، وقد التهبت بلواعج الشوق والالتياع ، فهاهو الشاعر يقول[٣١٥] :

* واهـًا لريّا ثُمّ واهـًا واهـًا *

وقد يفترق الشاعر عن محبوبته ، فيعبّر عن مشاعره الفيّاضة وعواطفه الملتهبة من خلال ما ينطلق به لسانه ، فهاهُو الْحَارِثُ بْنُ خَالِدٍ[٣١٦] يخاطب أخاه معبرًا عن لوعة فراقه ، فيقول[٣١٧] :

لَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ يَجْمَعِ اللهُ بَيْنَنَا ... بما شاءَ لا نَزْدادُ إلاّ تَنائيا
أعدُّ اللّيالي إذْ نأيتَ ولم أكُنْ ... بما زلّ من عيشي أعدُّ اللّياليا
أخافُ انْقِطاعَ العَيْشِ دُونَ لِقائِكُمْ ... بأرضٍ ولَوْ مَنّيْتُ نَفْسِي الأَمانِيا
إذا مَا بَكَى ذُو الشّجْوِ أصغَيْتُ نَحْوَه ... وآسيتُه بالشّجْوِ مَا دَامَ باكِيا

---

(٣١٢) مجالس ثعلب ٢٣٦/١ .
(٣١٣) المصدر السابق ٥١٧/٢ .
(٣١٤) ورد البيت ضمن قصيدة في المصدر نفسه ٢٥٥/١ .
(٣١٥) المصدر نفسه ٢٢٨/١ .
(٣١٦) هو : الحارث بن خالد بن العاص ، شاعر غزلي من شعراء قريش ، اشتهر بالغزل لا يتجاوز إلى المدح ولا الهجاء ، وكان ينهج نهج عمر بن أبي ربيعة ، وكان ذا خطر وقدر ومكانة في قريش ، توفي سنة (٨٠هـ) . انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعزّ الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ، تحقيق : ابراهيم البنا ، محمد أحمد عاشور ، محمود عبد الوهاب فايد ، مطبوعات الشعب ، ٣٨٩/١ .
(٣١٧) مجالس ثعلب ٢٤٨/١ ، شعره ، تحقيق : د. يحيى الجبوري ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ط١ ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، ص١٠٨-١٠٩ .

Scanned with CamScanner

هذا ، ورأيت في مختارات ثعلب الشعرية مقطوعة للشاعر العباس الوليد (٣١٨) يخاطب محبوبته سُعدى طالبًا منها أن ترشده إلى السبيل الذي يجمعهما بعد الانشقاق والافتراق ، فيقول (٣١٩):

أسُعْدَةَ هل إليكِ لنا سبيلٌ ... ولا حتّى القيامة من تلاقِ
بلى ولعلّ دارك أن تُواتي ... بموتٍ من حليلك أو فراقِ
فأرجعَ شاملًا وتقرّ عيني ... ويُجمَعَ شملُنا بعد اشتقاقِ

ومنهم من لامه العذال في حبّه ، ولكنه لم يُعطهم بالاً ؛ لأنه ارتاح لقربه من هذه المحبوبة ، فها هو يقول (٣٢٠):

هَوَى صاحبي ريحَ الشَّمالِ إذا غدَتْ ... وأهْوَى لنفسي أنْ تهبَّ جَنُوبُ
فَوَيلي من العُذّال ما يتركونني ... لهمّي وما في العاذلين لَبيبُ
يقولون : لو عزّيتَ قلبكَ لارْعَوَى ... فقلتُ : وهل للعاشقين قلوبُ

وكذلك حال عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ مَعَ عُذَّالِه ؛ إذ يقول (٣٢١):

كتمتُ الهوَى حتّى أضرّ بكَ الكتمُ ... ولامكَ أقوامٌ ولومُهُمُ ظلمُ
ونَمَّ عليكَ الكاشحُونَ وقبلَهُمْ ... عليكَ الهوَى قد نَمَّ لو نفعَ النَّمُّ

وكذلك حال عروة بن حزام حين بلغ بغضه بالوشاة مبلغه ؛ وذلك لأنّ في أيديهم قلبه الذي ينبض ، وكبده التي تحترق ، ولا يبلغ نداؤه لهم ، فهو كنداء الإنسان الأصمّ الذي لا يعقب من ورائه إلا التلهّف والويل ، فهاهو يقول (٣٢٢):

فلَهْفي عَلَى عفراءَ لَهْفٌ كأنّهُ ... على النَّحْرِ والأحْشاءِ حَدُّ سِنانِ

---

(٣١٨) هو : العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، ويقال له (أبو الوليد الأموي) ، استعمله أبوه على حمص ، وولاه المغازي ، وفتح عدة حصون ، وكان فارسًا سخيًا ، ولكنه كان ينال من عمر بن عبد العزيز بجهل ، مات في سجن مروان سنة (١٣٠هـ) . انظر : معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص١٠٤ ، تاريخ دمشق ، لابن عساكر (ت ٥٧١هـ) ، تحقيق وتعليق وتخريج : العلامة أبي عبد الله الجنوبي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ٣٠٦/٢٨ .

(٣١٩) وردت المقطوعة وخبرها في مجالس ثعلب ٤/١-٥ .

(٣٢٠) المصدر السابق ٥١٥/٢ .

(٣٢١) المصدر نفسه ٢٣٧/١ .

(٣٢٢) البيت ورد ضمن القصيدة وخبرها في مجالس ثعلب ٢٤١/١-٢٤٢ ، ولم يرد لها خبر في الديوان ، ص٣٦ ، ٣٩ .

Scanned with CamScanner

ومن الشعراء من يتحسّر على تلك الأيّام التي جمعته بمحبوبته ، كما في قول الشاعر[٣٢٣]:

ألا ليتَ أيّامَ الصّفاءِ جَديدُ ... ودَهْرًا تولّى يا بُثَيْنُ يعودُ

هذا ، ورأيت أنّ الشاعر العذري لم يكن يشعر بأنّ عليه أن يواجه قلب محبوبته وإحساسها بمشاعره وعواطفه فحسب ، بل كان عليه أن يواجه مجتمعه الذي يتسم بصرامة التقاليد ووطأتها ، والتضييق عليه بشعره ، كما هو الحال في تلك القصة التي رواها أبو العباس في مجالسه ، وقد حدثت بين الشاعر قيس بن ذريح وأبيه حين عزم عليه بطلاق زوجه لُبنى ،فكاد يموت ، ثم آلى أبوه : لئن أقامت لا يساكن قيسًا ، فظعنتْ ، فاندفع قيس يقول في قطعٍ شعرية تحمل الأسى واللّوعة لفراق زوجه المحببة إليه[٣٢٤]:

أيا كَبِدًا طَارَت صُدوعًا نَوافِذُا ... ويا حَسْرَتا مَاذا تَغَلْغَلَ في القَلْبِ

فأقسمُ ما عُمْشُ العُيونِ شَوارفٌ ... رَوائِمُ بَوٍّ حَانِياتٌ عَلَى سَقْبِ

تَشَمَّمْنَه لَوْ يَسْتَطِعْنَ ارْتَشَفْنَه ... إذَا سُقْتُه يَزْدَدْنَ نَكْبًا عَلَى نَكْبِ

رَنِمْنَ فَما يَنْحَاشُ مِنْهُنَّ شَارِفٌ ... وَحالَفْنَ حَبْسًا في المُحُولِ وفي الجَدْبِ

.... أستظلّ أو تطلّق لُبْنَى ، فقال : أما إنّه آخر عهدك بي . ولما طلّقها اشتدّ عليه وجُهد وضَمِن ، فلمّا طلقها أتاها رجالُها ليحملوها ، فسأل : متى هُم خارجون ؟ فقالوا : غدًا ، فقال[٣٢٥]:

فَإنّي لَمُقْنٍ دَمْعَ عيني بالبُكا ... حِذارَ الّذي لَمّا يكنْ وهو كائنُ[٣٢٦]

وقالوا غَدًا أو بَعد ذاك بِلَيلَةٍ ... فِراقُ حَبيبٍ لم يَبِنْ وهو بَائِنُ

فما كُنتُ أخْشَى أن تَكُونَ مَنِيّتي ... بِكَفّيَ إلاّ أنّ مَا حَانَ حَائِنُ[٣٢٧]

وندم على طلاقها ندمًا شديدًا ، وجعل يأتي مَنْزِلها ويبكي فيه ، فلامه أبوه

---

(٣٢٣) مجالس ثعلب ٥٢٩/٢ .

(٣٢٤) وردت الأبيات (٢ ، ٣ ، ٥ ، ٨) في مجالس ثعلب ٦٣/١ بدون نسبة ، وانظر بقية الأبيات وخبرها منسوبة له في المصدر السابق ٢٣٦/١-٢٣٧ ، ولم يرد لها خبر في الديوان ، ص٥٨-٥٩ .

(٣٢٥) وردت المقطوعة وخبرها في مجالس ثعلب ٢٣٨/١ ، ولم يَرِد لها خبر في الديوان ، ص١١٣ .

(٣٢٦) رواية صدره في المصدر السابق :* وإنّي لمقنٍ دمع عيني بالبكا *

(٣٢٧) روايته في المصدر نفسه :مَا كنتُ أخشى أن تكون منيّتي ... بكفيك إلاّ أنّ مَا خَانَ خَانُ

Scanned with CamScanner

وأهلُ بيته ، فقال[٣٢٨]:

أمسُّ تُرابَ أرضِكِ يالُبَيْنى ... ولولا أنتِ لم أمسس ترابا

وقال في إتيان منزلِها أيضًا[٣٢٩]:

كَسِفَ السِّلْوُ ولا أزالُ أرى لَها ... رَبْعًا كحَاشِيةِ اليَمَاني المُخْلَقِ[٣٣٠]

رَبْعًا لواضحةِ الجَبينِ غريرةٍ ... كالشَّمْسِ إذْ طَلَعَتْ رَخيمِ المنطقِ[٣٣١]

مَنْ كُنْتُ أعهدُها بِهِ في عِزَّةٍ ... والعَيْشُ صافٍ والعِدَى لم تَنْطِقِ[٣٣٢]

حتَّى إذا نَطَقُوا وآذَنَ فِيهِمُ ... دَاعِي الشَّتَاتِ بِرِحلةٍ وتَفَرُّقِ[٣٣٣]

ج

خَلَتِ الدِّيارُ فَزُرْتُها وكأنَّني ... ذُو حَيَّةٍ مِن سُمِّها لَمْ يَعْرَقِ[٣٣٤]

ومن الشعراء مَن يعبّر عن حالته حين يرى محبوبته خلاسًا على عجل مثل طرف العين ، وقد اتضح ذلك في مقطوعة شعرية قالها سِبَاعُ بْنُ كَوْثَلٍ السُّلَيْمِي[٣٣٥]

---

(٣٢٨) ورد البيت وخبره في مجالس ثعلب ٢٣٨/١ ، ولم يرد لها خبر في الديوان ، ص٥٥ .

(٣٢٩) وردت المقطوعة وخبرها في مجالس ثعلب ٢٣٩/١ ، ولم يرد لها خبر في الديوان ، ص٩٩ .

(٣٣٠) السِّلْوُ : النِّسيان . اللسان ٢٤٧/٧ ، مادة (سلا) . الرَّبْعُ : هنا الدّار . المصدر السابق ٨٤/٦ ، مادة (ربع) . حاشية الثَّوب : جانبه الذي لا هدب فيه . المصدر نفسه ١٣٥/٤ ، مادة (حشا) . الثوب اليماني : نسبة إلى اليمن التي اشتهرت بالثِّياب الحريرية . هامش الديوان ، ص٧٤ . الخَلَقُ : يقال : خَلَق الثوب : بلي . اللسان ١٤١/٥ ، مادة (خلق) . المعنى : " كيف أنساها ولا تزالُ دارُها ماثلة لعيني ، وقد دَرَسَتْ وبَليت كما بليت أطراف الثَّوب الحريري اليماني " . هامش الديوان ، ص٧٤ .

(٣٣١) واضحة الجبين : ناصعة الجبين ، بيضاء جميلة . اللسان ٢٢٨/١٥ ، مادة (وضح) . الغريرة : الشابّة التي لا تجربة لها . المصدر السابق ٣١/١١ ، مادة (غرر) . رخيم : الحسنُ الكلام ، ويقال : امرأة رخيمة الصوت : إذا كانت سهلة المنطق . اللسان ١٢٩/٦ ، مادة (رخم) . المعنى : " إنني لا أزالُ أرى آثار دار الحسناء البيضاء الناصعة الجبين ، البكر الغريرة ، كأنها الشمس وضّاءة إذا أشرقت ، وإن تحدثت كانت عذبة الصّوت ، حلوة المنطق " . هامش الديوان ، ص٧٤ .

(٣٣٢) المعنى : " لقد عرَفتُها تعيش فيه عزيزة ، مُكرّمة ، مُرفّهة ، لا كَدَر يُعكّر صفو عيشها ، وأعداؤها خُرْس ، مكمومة أفواهُهُم ، معقودة ألسنتهم " . المصدر السابق .

(٣٣٣) نطقوا : شدّوا على وسطهم بالنطاق ، والجمع : نُطُق . اللسان ٢٨٩/١٤ ، مادة (نطق) . المعنى : " فلما اكتملت عِدّتهم وشدّوا على أوساطِهم بالنُّطق ، ونادَى فيهم مُنادٍ يدعوهم للتجمع ، فقد حان موعد الرّحيل والفِراق " . هامش الديوان ، ص٧٥ .

(٣٣٤) المعنى : " خلتْ منهم الدِّيار ، وهاأنا اليوم أزورُها بعد رحيلهم ، وسُمُّ الفراق يظلّ في عروقي كمَن لدغته حيّة ولم ينضح بالعرق جسمه دليل برئه وشفائه " . المصدر السابق .

(٣٣٥) هو : كوثل السليمي ، رجل معروف ، وإليه يعزى سباع بن كوثل ، أحد شعرائهم . اللسان ١٢٥/٥ ، مادة (خلس) .

Scanned with CamScanner

في محبوبته (مي) [٣٣٦]:

نظرتُ إلى ميّ خلاسًا عشيّة ... على عجل والكاشحون حضور[٣٣٧]
كذا مثل طرف العين ثمّ اجنّها ... رواقٌ أتى من دونها ستور[٣٣٨]
فقالت : حذار القوم إنّ نفوسهم ... وعيش أخي ، وجدًا عليك تفورُ

ومنهم مَن يتغنى باسم محبوبته فيذكرها في إنتاجه الشعري ، كما هو الحال لدى الشاعر أبي دهبل الجمحي الذي أخذ يُردّد اسم محبوبته (عَمْرٌ) في بيتين ضمن قصيدة رواها ثعلب في مجالسه ، فيقول[٣٣٩]:

يا عَمْرُ حُمَّ فراقُكم عَمْرَا ... ونويتِ منّا النأي وانهجرا[٣٤٠]
يا عمرُ شيخك وهو ذو شرف ... يحمي الذّمار ويكرم الصّهرا[٣٤١]

وكان من شغف الشعراء بالغزل أن جعلوه أول موضوع يبتدئون به قصائدهم ، وقد رأيت هذه المقدمة الغزلية في قلة من مرويات ثعلب الشعرية ، وقد اتّضحت في مطلع قصيدة للشاعر الأقْرَعِ بْنِ مُعَاذٍ القُشَيْرِيّ[٣٤٢] ، التي قال فيها[٣٤٣]:

يا حاجةً ما التي قامَتْ تودّ عَتي ... وقد تَرقْرَقَ ماءُ العينِ أو دمعا

---

(٣٣٦) مجالس ثعلب ٦٥/١ .
(٣٣٧) خلاس : من الخَلس ، وهو الأخذ في نهزة ومخاتلة . اللسان ١٢٥/٥ ، مادة (خلس) .
الكاشحون : من الكاشح : وهو المتولي عنك بودّه . المصدر السابق ٧٠/١٣ ، مادة (كشح) .
(٣٣٨) أجن عنه : أي استتر . المصدر نفسه ٢١٧/٣ ، مادة (جنن) . رواق البيت : مقدّمه ، وقيل : الشقة التي دون العليا ، والجمع أرزوقة . المصدر نفسه ٢٦٦/٦ ، مادة (روق) .
(٣٣٩) مجالس ثعلب ٤٠٨/٢-٤٠٩ ، الديوان ، رواية أبي عمرو الشيباني ، تحقيق : عبد العظيم عبد المحسن ، ص١٠٩ .
(٣٤٠) روايته في المصدر السابق :يَا عمرو حُمَّ فراقكم عَمْرا ... وعزمْتِ مِنّا النّايَ والهَجْرا
(٣٤١) رواية صدره في المصدر نفسه :* يَا عمرو شيخك وهو ذو كرم *
(٣٤٢) هو : الأشيم بن معاذ بن سنان بن عبد الله بن حزن بن سلمة بن قشير ، وقيل : اسمه معاذ بن كليب بن حزن بن معاوية بن خفاجة بن عمرو بن عقيل ، وكان يناقض جعفر بن علية الحارثي اللص ، وكانا متعاصرين في أيام هشام بن عبد الملك ، واستعدت بنو عقيل على جعفر ؛ لدماء كانوا يطلبونه بها ، فأخذ جعفر وقتل ، ولم تعرف السنة التي توفي فيها ، ودار شعره في أغلب الفنون الشعرية ، لقب بالأقرع ؛ لأنه قال في هجاء بني معاوية :

معاوي من يرقيكم إن أصابكم ... شبا حية مِمّا عدا القفر أقرع

انظر : المصدر السابق ، ص٢٤٩-٢٥٠ ، معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٢٩١-٢٩٢ .
(٣٤٣) مجالس ثعلب (٢٥٥/١) ، وسبق ذِكر البيت الأول في المبحث الثالث من هذا الفصل في ص٥٥ .

Scanned with CamScanner

تقول إذ أيقنت مني بمعصية ... لقد عرضت عليك النُصح لو نفعا
ألم تري أنّ دهرًا قد تغيّر بي ... فلم تري فرحًا مني ولا جزعا

اعتنى ثعلب في مروياته الشعرية لهذا الفنّ بذكر الأماكن التي كان للشاعر فيها ماضٍ سعيد تذكره بمحبوبته التي نشأ معها . ومن هذه الأماكن : (وَدَانُ ، وبَطْنُ أُرْنَدَ ، والْهَمْيَانُ ، والْهَمْلانُ ، وسواسُ ، وَادِي الرَّسِّ ، ونَجْرَانُ ...) ، ومن المختارات الشعرية الدالّة على ذلك ، ما يلي : قال الشاعر[٣٤٤] :

وإنّ امرأً أمسى وذونَ حَبيبه ... سَواسٌ فَوادِي الرَّسِّ والهَمْيانِ[٣٤٥]
لَمُعْتَرِفٌ بالنَّأي بَعدَ اقترابِه ... ومَعْذورَةٌ عَيْناه بالهَمَلانِ
فما رِيحُ رَيحانٍ بِمِسْكٍ بِعَنبرٍ ... بِرَنْدٍ بِكافورٍ بِدُهْنَةِ بانِ[٣٤٦]
بأطْيَبَ مِنْ رِيَّا حَبِيبِي لَوَ انَّني ... وجدتُ حَبِيبِي خَالِيًا بِمَكانِ

وقال نصيب[٣٤٧] :

ألا تَسألُ الخَيماتِ من بطنِ أرْنَدٍ ... إلى النَّخْلِ مِن وَدَّانَ ما فَعَلَتْ نُعْمُ[٣٤٨]

وقد يصوّر الشاعر العاشق المحب تجربته القاسية في الحُبّ وما يلقاه من شوق ووجد وهيام ، ومَا يعانيه من ألم الفراق ولوعة البعاد والهجران . ومن الشواهد الشعرية التي رواها ثعلب في مجالسه ودلّت على ذلك، ما يلي : قال العَبّاسُ بْنُ الأَحْنَف[٣٤٩] :

قَدْ كُنْتُ أبكي وأنْتِ رَاضِيَةٌ ... حذارَ هَذا الصُّدُودِ والغَضَبِ
إنْ تَمَّ ذا الْهَجْرُ يا ظَلُومُ – ولا ... تَمَّ – فَمَا لي في العَيْشِ مِنْ أرَبِ[٣٥٠]

---

(٣٤٤) مجالس ثعلب ٥٣١/٢-٥٣٢ .

(٣٤٥) سَواس - بالفتح - : موضع أو جبل . اللسان ٣٠١/٧ ، مادة (سوس) .
الرسّ : واد بنجد أو موضع . المصدر السابق ١٥٠/٦ ، مادة (رسس) .
الهميان : موضع . المصدر نفسه ٩٧/١٥ ، مادة (همي) .

(٣٤٦) الرند : الآس ، وقيل : هو العود الذي يتبخر به . المصدر نفسه ٢٣٦/٦ ، مادة (رند) .
الدهنة : الطائفة من الدهن ، وهو معروف . المصدر نفسه ٣٢٠/٥ ، مادة (دهن) .

(٣٤٧) ورد البيت وخبره في : مجالس ثعلب ٤٤١/٢ .

(٣٤٨) أرْنَد : موضع . اللسان ٩٨/٦ ، مادة (رند) .
ودَّان : من ودن الشيء وَدْنًا وادنه وودّنه : أي قصره . المصدر السابق ١٨٤/١٥ ، مادة (ودن) .

(٣٤٩) مجالس ثعلب ٥١٩/٢ ، الديوان ، ص٥٠ .

(٣٥٠) روايته في المصدر السابق :إن دام الهجر يا ظلوم - ولا دام - فمالي في العيش من أرب

وقال الشاعر[٣٥١]:

بنا من جَوَى الأحزانِ والوَجْدِ لوعةٌ ... تَكادُ لها نفسُ الشفيقِ تذوبُ
ولكنّما أبقى حشاشةَ مُعْوِلٍ ... على ما به غودرْ هناكَ صليبُ

ومن ينظر في مختارات ثعلب الشعرية لهذا الفنّ يلمس تذلّل الشاعر لمحبوبته ، والذي بدا واضحًا من خلال ألفاظه الرقيقة ، ومن هذه المختارات الشعرية التي حملت بين ثناياها سِمَة التذلّل والخضوع ، قول الأعرابي[٣٥٢]:

فديتك يا زينَ البلادِ إنِ العِدَى ... حَمَوكِ فلم يُوجَدْ إليكِ سبيلُ
أراجعةٌ عقلي إليَّ فرائحُ ... مع القومِ لم يكتبْ عليكِ قتيلُ
فلا تقتلي نفسًا وأنتِ ضعيفةٌ ... فإنّ دمي يومَ الحسابِ ثقيلُ
وإنّي لتغدُوني عَوادٍ ورقْبةٌ ... وأهجُرُ من غيرِ القلى فأطيلُ
مخافةَ أن ينمى حديثٌ فتؤخذي ... بذنبي أو يعْبا عليكِ جهولُ
فبيتكِ أعدائي كثيرٌ وشُقّتي ... بعيدٌ وأشياعي لديكِ قليلُ

ومن المُلاحَظ أنّ هناك قلّة من شعراء الغزل العذري في (مجالس ثعلب) لا يقفون عند حدود سِماتهم ، بل يلجؤون إلى وصف محبوباتهم اعتمادًا على بعض الصور الحسّيّة . وقد تجلّى ذلك في قول الشاعر[٣٥٣]:

وعلّقتُ ليلى وهي ذاتُ مُوَصَّدٍ ... ولم يَبْدُ للأترابِ من ثديِها حَجْمُ[٣٥٤]
صغيرَيْنِ نَرْعَى البَهْمَ يا ليتَ أنّنا ... إلى اليومِ لَمْ نَكْبَرْ ولَمْ تَكبَرِ البَهْمُ[٣٥٥]
وليلى مكانَ النَّجْمِ سُحْقًا وهَلْ لَنَا ... من النَّجْمِ إلاّ أنْ يُقابِلَنا النَّجْمُ

هذا ، وقد لفتَ نظري في أغلب مختارات ثعلب الشعرية لهذا الفنّ : شغف الشعراء – أمثال : زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى ، ويَزِيدِ بْنِ الطَّثْرِيَّة ، وذِي الرُّمَّة ، وغيرهم .. – بالوقوف على أطلال وديار محبوباتهم ؛ ليسترجعوا بذلك الذكريات

---

(٣٥١) وردت النتفة وخبرها في مجالس ثعلب ٩٤/١ .

(٣٥٢) المصدر السابق ٤٠٧/٢-٤٠٨ .

(٣٥٣) المصدر نفسه ٥٣٢/٢ .

(٣٥٤) المؤصد : الخِدرُ . اللسان ٢٢٢/١٥ ، مادة (وصد) .
والخِدْرُ : سِتر يُمدّ للجارية في ناحية البيت ، ثم صار كلّ ما واراك من بيتٍ ونحوه . المصدر السابق ٢٦/٥ ، مادة (خدر) .

(٣٥٥) البهم : جمع بهيمة ، وهي أولاد الضأن . المصدر نفسه ١٧١/٢ ، مادة (بهم) .

Scanned with CamScanner

وما تهيّجه في نفوسهم من اللّوعة والبكاء ، ومن هذه المختارات الدالة على ذلك ما يلي : قال يَزِيدُ بْنُ الطَّثْرِيَّة[٣٥٦] :

ألا حيّيا الأطلال والمتطنّبا
وأشعث مهدوم المنـــراة كأنّه
ألا لا أرى عصر المنيفة راجعـا
ولا الحبّ إلاّ قاتلي حين أخلقت
ويوم فراض الوشم أذريت عبرة

ومربط أفلاء وهيما منصب[٣٥٧]
هلالٌ توفّى عدّة الشّهر أحدب[٣٥٨]
ولا كليالينا بتـعشار مطلـب[٣٥٩]
قُواها واضحى الحبل منها تقضّب[٣٦٠]
كما ضيّع السّلك الجمان المثقّب[٣٦١]

وقال الشاعر[٣٦٢] :

دارٌ لنيلى خلقٌ لبيس[٣٦٣]
إلاّ اليعافير وإلاّ العيسُ

ليس بها من أهلها أنيسُ
وبقرٌ ملمّعٌ كنـــوس[٣٦٤]

---

(٣٥٦) مجالس ثعلب ٥٤٢/٢-٥٤٣ ، شعره ، صنعة حاتم الضامن ، ساعدت وزارة الإعلام على نشره ، مطبعة أسعد ، ١٣٩٣هـ ، ص١٩ .

(٣٥٧) الأطلال : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار الديار . اللسان ١٣٤/٩ ، مادة (طلل) . وقال ثعلب : " الأطلال : ما ارتفع وما انخفض ، يكونان جميعًا " . المجالس ٥٤٢/٢ .

المتطنب : وهو حبل الخباء . اللسان ١٤٨/٩ ، مادة (طنب) . وقال ثعلب : " المتطنب : الحبال " . المجالس ٥٤٢/٢ .

الأفلاء : جمع فُلوّ ، كعَدُوّ وأعداء ، وهو المهر الصغير . اللسان ٢٢٥/١١ ، مادة (فلا) .

(٣٥٨) السَّراة : سراة كلّ شيء ما ارتفع منه . المصدر السابق ١٧٧/٧ ، مادة (سرا) . والمراد بقوله : (أشعث مهدوم السراة) : أي الحوض . مجالس ثعلب ٥٤٣/٢ .

(٣٥٩) تعشار : يوم من أيام العرب . مجمع الأمثال ، للميداني ٤٤٣/٢ .

(٣٦٠) أخلقت قواها : رثت وبليت . اللسان ١٤١/٥ ، مادة (خلق) .

القوى : جمع قوة ، وهي الطاقة من طاقات الحبل أو الوتر . المصدر السابق ٢٢٩/١٢ ، مادة (قوا) .

تقضّب : تقطع . المصدر نفسه ١٢٧/١٢ ، مادة (قضب) .

(٣٦١) الجمان : خرز يُبيّض بماء الفضّة . المصدر نفسه ٢٠٦/٣ ، مادة (جمن) .

(٣٦٢) مجالس ثعلب ٣٨٤/٢ .

(٣٦٣) لبيس : يقال : دار لبيس على التشبيه بالثوب الملبوس الخلق . اللسان ١٦١/١٣ ، مادة (لبس) .

(٣٦٤) ملمع : فيه لمع من بياض وسود أو حمرة . المصدر السابق ٢٣٤/١٣ ، مادة (لمع) .

كنوس : الداخلات في الكناس ، وهو موضع في الشجر يكنّ فيه البقر ويستتر . المصدر نفسه ١١٨/١٣ ، مادة (كنس) .

Scanned with CamScanner

وقال الشاعر[٣٦٥]:

ثوت الديار إذا تحمل أهلها ... درست فلم يعلم لها بعدان

وقال الآخر[٣٦٦]:

ألا بانت المنازل قد بلونا ... فلا يبكين عن شزن حزينا[٣٦٧]

وقال النابغة الذبياني[٣٦٨]:

يا دار ميّة بالعلياء فالسند[٣٦٩] ... أقوت وطال عليها سالف الأبد

وفي أحيان يصوّر الشاعر حاله بحال تلك الدّيار التي تشكو غيبة أهلها، فيقول[٣٧٠]:

تشكى إليّ الدار غيبة أهلها ... وبي مثل ما بالدار إذ غيب الأهل

تقول جلا أهلي فأوحشت بعدهم ... فقلت البلى قد جلت مع من يجلو

وقد كان لغراب البين مساحةٌ واسعةٌ في مختارات ثعلب الشعرية لهذا الفنّ، إذ ربط الشاعر بينه وبين رحيل محبوبته، ومن المختارات الشعرية الدالّة على ذلك، ما يلي:

قالَ أحمَدُ بْنُ مَيّة[٣٧١]:

يسُبُّ غُرابَ البَينِ ظُلْمًا مَعاشِرٌ ... وَهُمْ أثَروا بُعْدَ الحَبيبِ عَلى القُرْبِ

وما لِغُرابِ البَيْنِ ذَنْبٌ فأبتَدي ... بِسَبّي غُرابَ البَينِ لكنّهُ ذَنبي

ويا شَوْقُ لا تنفَدْ ويا دَمعُ فِضْ وزِدْ ... ويا حُبُّ راوِحْ بَيْنَ جَنْبٍ إلى جَنْبِ

ويا عاذِلي لُمّي افْتَني ... عَصَيتُكُما حتّى أُغيّبَ في التُّرْبِ[٣٧٢]

إذا كانَ رَبّي عالِمًا بِسَريرَتي ... فما النّاسُ في عَيني بأعظَمَ من رَبّي

---

(٣٦٥) مجالس ثعلب ٢١٨/١ .

(٣٦٦) مجالس ثعلب ٢١٨/١ .

(٣٦٧) الشزن - بضمّتين - : العرض والجانب . وفسّره ابن منظور بقوله : " يريد أنهم حين دهمهم الأمر أقبل عليهم ، وولاهم جانبه " . اللسان ٧٣/٨ ، مادة (شزن) .

(٣٦٨) مجالس ثعلب ٤٣٥/٢ ، وورد بتمامه في الديوان ، ص٦ .

(٣٦٩) العلياء : كلّ مكان مشرف . اللسان ٢٧١/١٠ ، مادة (علا) .
السّنَدُ : بلد معروف في البادية . المصدر السابق ٢٧٣/٧ ، مادة (سند) .

(٣٧٠) مجالس ثعلب ٢١٨/١ .

(٣٧١) المصدر السابق ١٥٦/١ .
أحمد بن ميّة : هو : أحد الظّرفاء . المصدر نفسه .

(٣٧٢) أشار المحقق إلى أنّ هذا الشطر ورد هكذا في الأصل . حاشية المصدر نفسه .

Scanned with CamScanner

وآخر ذكرها في بيتين ضمن قصيدة رواها ثعلب في مجالسه ، فقال[٣٧٢]:

وصاح غُرابُ البينِ وانشقّتِ العصا ... بيَيْنٍ كما شقّ الأديمَ الصوانعُ

ألا يا غرابَ البينِ قد طرتَ بالذي ... أُحاذِرُ من لُبنى فهل أنتَ قائعُ

وقال الشاعر[٣٧٤]:

[نَبّحَ المَنيّمَ في البعادِ سفاهةً] ... والبَيْنُ يَنْعَبُ ظَبْيَهُ وغُرابُهُ

هذا ، وقد لمست ورود الحكمة في سياق الشعر الغزلي الوارد في (مجالس ثعلب) ، فهاهو الشاعر يقول[٣٧٥]:

ما ذاقَ بؤسَ معيشةٍ ونعيمَها ... فيما مضى أحدٌ إذا لم يعشقِ

وإلى جانب ما سبق ، لاحظت أنّ الغرضين (الغزل والفخر) اجتمعا معًا في قصيدة قالها الشاعر[٣٧٦]:

تحسبُ الطَّرْفَ عليها نَجْدَةً ... يَا لَقَوْمي للشَّبابِ المُسْبِكِرْ[٣٧٧]

ج

بدلتُه الشَّمسُ من منيتِه ... بَرْدًا أبيضَ مَسْقُولَ الأُشُرْ[٣٧٨]

ثُمَّ زارتني وصَحْبي هُجَّعٌ ... في خليطٍ بين بُرْدٍ ونمرْ[٣٧٩]

لا يكنْ حبُّكِ حُبًّا قاتلاً ... ليس هذا منكِ مَاوِيٌّ بِحُرْ[٣٨٠]

ومن خلال النظر في منتخبات ثعلب الشعرية الواردة في هذا الغرض ، رأيتُ أنّ أبا العباس ثعلبًا اهتمّ بناحية الغزل العذريّ ، بينما أهمل الغزل

---

(٣٧٢) ورد البيتان ضمن قصيدة في : المصدر نفسه ٢٣٩/١-٢٤١ ، الديوان ، ص٥٦-٥٨ .

(٣٧٤) ورد في المصدر السابق ١٥٥/١ بدون نسبة ، ومنسوبًا إلى الشاعر العباسي (معن بن زائدة) في الأزمنة والأمكنة ، للمرزوقي ٢٥١/٢ .

(٣٧٥) انظر بقية الأبيات في : مجالس ثعلب ٤٦٢/٢ .

(٣٧٦) انظر بقية الأبيات في : المصدر السابق ٣١٨/١-٣٢٠ .

(٣٧٧) الطرف : تحريك الجفون في النظرة . اللسان ١٠٥/٩ ، مادة (طرف) .
النجدة : الشدّة . المصدر السابق ١٩٥/١٤ ، مادة (نجد) .
المسبكر : الممتدّ ، أي : كلّ شيء امتدّ وطال . المصدر نفسه ١١٦/٧ ، مادة (سبكر) .
قال ثعلب : " لا ترفع طرفها من حيائها " . المجالس ٣١٩/١ .

(٣٧٨) المسقول : المصقول . اللسان ٢١١/٧ ، مادة (سقل) .
الأشر : التحزيز الذي في الأسنان . المصدر السابق ١١١/١ ، مادة (أشر) .

(٣٧٩) قال ثعلب في معناه : " أي في قبيلتين ، يعني أنها زارته بالليل " . المجالس ٣١٩/١ .

Scanned with CamScanner

الإباحي الذي يميل إلى الصراحة المكشوفة في التعبير عن العلاقة الخاصة بين الجنسين ، كما أهمل تمامًا ما يعرف بالغزل المذكر الذي شاع في شعر كثير من شعراء العصر العباسي ، ولعل العتيب في ذلك يرجع إلى أمرين :

أولاً : أن أبا العباس اتسم بالاعتدال والخُلق السوي ومجانبة الرذائل والفواحش ، والبُعد عن الخلاعة والمجون .

ثانيًا : وهو الأهم : أن أبا العباس ألف كتابه لغاية تعليمية يقدم فيها للناشئة العلم والأدب نماذج شعرية راقية تصلح للمحاكاة والتمثيل ، فلا يمكن لأبي العباس – وهو المعلم الجليل – أن يدفع تلاميذه إلى السير في طريق المجون والخلاعة .

الهجـــاء :

" غرض من أغراض الشعر ، يقوم على تقبيح صورة فرد أو جماعة ، أو عادة من العادات ، أو مظهر من مظاهر الحياة والوجود ، وهو تعبير عن احتقار الشاعر للمهجُو ، والرغبة في الحطِّ من شأنه والهزء به ، ومسخه ما أمكن إلى ذلك سبيلاً "(٣٨٠).

" وقد عَرَف الإنسان هذه العاطفة منذ نعومة أظفاره ، وعبّر عنها بشتّى الوسائل ، سواء كان ذلك بالإشارة أو الكلمة أو الموقف ... إلخ . ولم يكن هذا التعبير حكرًا على عصر معين أو شعب معين أو مجتمع أو لغة أو أسلوب معين ؛ إنما كان سلوكًا تطوَّرَ مع تطوُّر الحياة ، فعكس خصائص ومفردات البيئة والعصر "(٣٨١).

إذًا ... مهمة شاعر الهجاء هي تجريد المهجو من الصِّفات الحميدة ما أمكنه ذلك ، ووَصْمُهُ بأقبح الصفات ، سواء الخُلقيّة ، كالجُبن ، والكسل ، والفرار ، والبخل ، وغيرها .. أو الخَلقية ؛ كالعَوَر ، والعَرَج ، وغيرها .. ومن الشواهد الشعرية التي رواها ثعلب في مجالسه وحملت بين ثناياها عيوبًا خُلقية ، ما يلي : قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الحَكَمِ (٣٨٢) :

---

(٣٨٠) المعجم المفصل في الأدب واللغة ، د. إميل يعقوب ، د. ميشال عاصي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٢٨١/٢ .

(٣٨١) المقدمة في لآلئ الشعر في الهجاء ، (أجمل الأبيات وأشهرها) ، إعداد : مي علوش ، تدقيق وتصحيح : حجر عاصي ، دار المؤلف ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، ص٥ .

(٣٨٢) مجالس ثعلب ٣٤٧/٢-٣٤٨ .

Scanned with CamScanner

لحا الله قيسًا قيسَ عيلانَ إنّها ... أضاعتْ فروجَ المسلمين وولّت(٣٨٢)

أترجعُ كلبٌ قد حمتْها رماحُها ... وتتْرُكَ قتلى راهطٍ ما أجنّت(٣٨٣)

فشاولْ بقيسٍ في الطّعانِ ولا تكُن ... أخاها إذا ما المشرفيّةُ سُلّت(٣٨٤)

ألا إنّما قيسُ بنُ عيلانَ قملةٌ ... إذا شربتْ هذا العصيرَ تسفّت

وقال الشاعر(٣٨٦):

ما إنْ يزالُ ببغداد يُزاحمُنا ... على البَراذينِ أمثالُ البَراذينِ(٣٨٧)

أعطاهمُ اللهُ أقدارًا ومنزلةً ... منَ المُلوكِ بلا عقلٍ ولا دينِ

ما شئتَ من بغلةٍ سفواءَ ناجيةٍ ... ومنْ فعالٍ وقولٍ غيرِ موزونِ(٣٨٨)ج

أمّا الشّواهد الّتي حملت بين ثناياها عيوبًا خَلقية أو جسدية ، ما يلي :

قال سَهلُ بنُ أبي كَثير(٣٨٩):

أنتَ لو هرّشتَ داو ... دَ على خُبزٍ ولَحمِ(٣٩٠)

أو على رُوسِ نعاجٍ ... صُليتْ في السُّوقِ سُخمِ(٣٩١)

هو : عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، أخو مروان بن الحكم ، شاعر محسن ، شهد يوم الدار مع عثمان بن عفان ﷺ . انظر : تاريخ دمشق ، لابن عساكر ٢٨/٦٨-٧٤ ، الأعلام ، للزركلي ٣/٣٠٥ .

(٣٨٢) لحا الرجل لحوًا : شتمه . اللسان ١٣/١٨٥ ، مادة (لحا) .

الفرج : الثغر المخوف . وقال لبيد :فغدت كلا الفرجين تحسب أنّهُ ... مولى المخافة خلفها وأمامها

المصدر السابق ١١/١٤٦ ، مادة (فرج) .

(٣٨٣) أجنّه : واراه في الجنن ، وهو القبر لتستره الميت . اللسان ٣/٢١٧ ، مادة (جبن) .

(٣٨٤) شاول : يقال : شاوَله وشاول به : دافع . المصدر السابق ٨/١٦٥ ، مادة (شول) .

(٣٨٦) مجالس ثعلب ١/١٤٩ .

(٣٨٧) البراذين ، من الخيل : ما كان من غير نتاج العرب ، وبرذون الفرس : مشى مشي البراذين ، وبَرْذون الرجل : ثقل . اللسان ٢/٥٨ ، مادة (برذون) .

(٣٨٨) السفواء : الخفيفة الناصية . المصدر السابق ٧/٢٠٤ ، مادة (سفواء) .

الناجية : السريعة . يقال :ناقة ناجية : أي سريعة . المصدر نفسه ١٤/٢٠٤ ، مادة (نجا) .

(٣٨٩) المصدر السابق ١/٢٥٨ . لم أعثر على ترجمة له فيما بين يديّ من المصادر والمراجع .

(٣٩٠) هرّشت : من التهريش : وهو التحريش والإغراء . اللسان ١٥/٥٣ ، مادة (هرش) .

(٣٩١) صليت : شويت ، والمصلية : المشوية . المصدر السابق ٨/٢٧٧ ، مادة (صلا) .

السخم : السواد . المصدر نفسه ٧/١٤٢ ، مادة (سخم) .

Scanned with CamScanner

أحـــــرى أن يقطـــــع الـــــزرّ ... يـــــن أو يـــــشجى بعظـــــم
ولـــــه دُهـــــنٌ مـــــن الخَطـــــ ... ـــــار مَغْشُوشٌ بـــشحم(٣٩٢)
ولـــــه عـــــشرون ضرسًـــــا ... لـــيس فيهـــا ضـــرسُ حلـــم
وهـــــو لـــــو دارَكَ لَقْـــــمًا ... قُلْـــــتَ هـــــذا حـــــسنٌ هندمج

وقال سَلَمَةُ بْنُ الخِرِشَبِ(٣٩٣):

قد زُوِّجَتْ أحـــمرَ ضَيَّاطِيًـــا(٣٩٤) ... تحسبهُ إذا مشى خصيًا(٣٩٥)

من طُـولِ مَـا قَـدْ حَالَفَ الكُرْسِيًا

ويُعدّ فنّ الهجاء من الفنون التي لاقت عناية واضحة من قِبل أبـي العبـاس ثعلب ، حيث أكثر من الاستشهاد في مروياته الشعرية بهذا الفنّ الشعري(٣٩٦).

وقد اشتمل شعر الهجاء في (مجالس ثعلب) على جانبَيْن أساسيَّيْن ، هما :

*الهجاء الفردي . * الهجاء الجماعي .

أولاً : الهجاء الفردي :

احتلّ هذا الجانب مساحة واسعة في صفحات شِعر (مجالس ثعلب) ، ومن النماذج الشعرية الدالة على ذلك ، ما يلي :

قال ابْنُ مَنَاذِرَ يهجو مُحَمَّدَ عَبْدَ الْمَجِيدِ(٣٩٧):

---

(٣٩٢) الخطار : العطار ، وهو دهن يتخذ من الزيت بأوفابه من الطيب . المصدر نفسه ٩٩/٥-١٠١ ، مادة (خطر) .

(٣٩٣) مجالس ثعلب ٣٠٩/١ .
هو : سلمة بن عمرو بن حارثة بن طريف بن أنمار بن بغيض بن ريث بن غطفان . (والخُرْشُب معناه : الطويل ، السمين) ، وهو شاعر جاهلي ، شهد الكثير من المواقع ، أشهرها موقعة (يوم الرقم) . انظر : المفضليات ، للمفضل الضبي ٣٤/١ ، اللسان ٤٥/٥ ، مادة (خرشب) .

(٣٩٤) الضياط : المتمايل في مشيته ، وقيل : الضخم الجنبين ، العظيم الاست كالغيطان . المصدر السابق ٧٦/٩ ، مادة (ضيط) .وقال ثعلب : " الضَّياطي : الذي يلزم بيته " . المجالس ٣٠٩/١ .

(٣٩٥) قال ثعلب : " تحسبه خصيًا مما تفحّج من القعود " . المصدر السابق .

(٣٩٦) انظر مرويات الهجاء في (المصدر نفسه) : ٧/١ ، ٨ ، ١٧ ، ١٨ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٢ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣٤٠/٢ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٦ ، ٣٦٣ ، ٣٦٧ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤١٦ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠ ، ٤٤٧ ، ٤٥٥ ، ٤٥٧ ، ٤٦٠ ، ٤٦٣ ، ٤٧٠ ، ٤٩٦ ، ٥١٥ ، ٥١٧ ، ٥١٨ .

(٣٩٧) المصدر نفسه ٣٥٦/٢ .

Scanned with CamScanner

إذا أنـــــت تعلّقـــــت بحبـــــل من أبي السمك
تعلّقـــــت بحبـــــل واهـــــن القـــــوة منثـــــم
ومـــــا يُبقـــــي لكـــــم يـــــا قـــــوم أقلـــــتكم تحكـــــم
وقـــــال الـــــشيخ مـــــا ســـــرجو بـــــه داءُ المـــــرم مـــــن تحـــــت
فخُذْ منْ سلْحِ كيسانِ ومنْ أظفارِ سنّورِ

وقال قُنيعٌ النّصريُّ يهجو مُوسَى بْنَ عَمْرو بْنَ سَعيد بْنَ العَاص(٣٩٨):

كلُّ بني العاصي حمـدتُ عطـاءهم وإنّي لمُوسَى فـي العطـاء لَلائمُ
ولَيسَ بمُعْطٍ نائـلاً وهـو قَاعـدٌ وحَسْبُكَ منْ بُخْلٍ امْرئٍ وهْو قَائمُ
فإنْ يكُ مـن قـوْمٍ كـرامٍ فإنّه ذُنَـابَى أبَتْ أنْ تستوي والمقَادِمُ

وقال الشاعرُ يهجو آخر(٣٩٩):

يَنِسَ مقامُ الشّيخِ أمْرِسْ أمْرِسِ(٤٠٠) إمّا على قَعْوٍ وإمّا على اقْعَنْسِسِ(٤٠١)

ثانيًا : الهجاء الجماعي :

لم يحتلّ هذا الجانب مساحة واسعة في مختارات ثعلب الشعرية ، ومن الشواهد الشعرية الدالة على ذلك ، ما يلي : قال الشاعرُ يهجو قَبيلَةَ طيءٍ(٤٠٢):

وقَدْ عَلِمَ الحيُّ اليَمانُون أنّكُمْ غَريبونَ فيهِمْ لا فُرُوعٌ ولا أصْلُ
يموتُونَ هُزْلاً في السّنينَ وأنْتُمُ يَسارِيعُ مَحْيَاها إذا نبتَ البَقْلُ(٤٠٣)
فإنْ تَثْلُثُوا نَرْبَعْ وإنْ يكُ خامسٌ يَكُنْ سَادسٌ حتّى يُبيركمُ القَتْلُ(٤٠٤)
وإنْ تَسْبَعُوا نَثْمَنْ وإن يك تاسعٌ يكن عَاشِرٌ حتّى يكونَ لنا الفَضْلُ
قضى الله أنّ النّفسَ بالنّفس بيّنَا ولم نكُ نَرْضَى أن نُباونكم قَبْلُ

---

(٣٩٨) وردت المقطوعة وخبرها في المصدر نفسه ٢/٣٩٤-٣٩٥ .
هو : قُنيع جدّ عبد الواحد بن عبد الله بن قُنيع . المصدر السابق ٢/٣٩٤ .
(٣٩٩) المصدر نفسه ١/٢١٣ .
(٤٠٠) أمرس : مصدر مرس الحبل يمرس مرْسًا ، وهو أن يقع في أحد جانبي البكرة بين الخُطّاف والبكرة ، وقيل : أمرسه : أي أعاده إلى مجراه . اللسان ١٤/٥٥ ، مادة (مرس) .
(٤٠١) قعو : من قعا ، أي البكرة ، وقيل : الخشبان اللتان في المحور . المصدر السابق ١٢/١٥٧ ، مادة (قعا) .
اقعنسس : من قعس وتقاعس : تأخر ورجع إلى خلف . المصدر نفسه ١٢/١٥٢ ، مادة (قعس) .
(٤٠٢) مجالس ثعلب ١/١٠٥-١٠٦ .
(٤٠٣) أسارِيع : واحدة الأسروع ، وهي دودة حمراء تكون في البقل ، ثم ينسلخ فتصير فراشة . اللسان ٧/١٧٢ ، مادة (سرع) .
(٤٠٤) البواء : السّواء ، وقيل : فلان بواء فلان ، أي كفؤه إن قتل به . المصدر السابق ٢/١٧٥ ، مادة (بوأ)

فإنْ تشرَبِ الأرطَى دمًا منْ صديقنا ... فلا بُدَّ أن يُسقَى دماءكُم النَّخلُ[١٠٥]

ونحن قتلْنا بالمنيـــح أخاكمُ ... وكيعًا ولا يُوفَى من الفرسِ البغلُ[١٠٦]

وقال الشّاعر يَهْجُو قَبِيلَةَ عُكْلٍ[١٠٧]:

فلا يَضْغَمَنَّ اللّيْثُ عُكْلاً بغِرّةٍ ... وَعُكْلٌ يَشُمُّونَ الفَرِيسَ المُنَيِّبـــا[١٠٨]ج

وقال آخرُ يَهْجُو بني أمية[١٠٩]:

هَيهاتَ ما سَفِهَتْ أُمَيَّةُ رأيَها ... فاستَجْهَلَتْ حُلَمَاءَها سُفَهاؤُهـــا[١١٠]

هذا ، وقد ضَمَّ فنُّ الهجاء في داخله اتجاهيْن ، هما :

*الاتجاه الشخصي * الاتجاه السياسي .

وقد احتلَّ هذان الاتجاهان مكانة رفيعة بين موضوعات الشعر العربي القديم .

ومن خلال النظر في مرويات ثعلب الشعرية ، اتّضح أنها ركزت على الاتجـاه الشخصي ، على الرغم من أهمية الاتجاه السياسي ، وخاصـة فـي العـصريْن : (الأموي والعباسي) .

فالاتجاه الشخصي احتوى في داخله على أربعة جوانب ، هي :

الجانب الأول : هجاء الرسول ﷺ :

---

(١٠٥) الأرطى : شجر ينبت بالرمل . المصدر نفسه ٨٩/١ ، مادة (أرط) .

(١٠٦) المنيح هنا : رجل من أسد من بني مالك . المصدر نفسه ١٣٢/١٤ ، مادة (منح) .
وكيع : صلب غليظ شديد ، وقيل : المتين المحكم . المصدر نفسه ٢٧/١٥ ، مادة (وكع) .

(١٠٧) مجالس ثعلب ٤٣٢/٢ ، وورد عجزه في ٢٥٦/١ بدون نسبة ، ونسب لجرير في الديوان ، دار بيروت - بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، ص١٤ .

(١٠٨) قال آخر عن ثعلب : أنشدني محمد بن سلام قال : " إذا أخذ جرير في هذا المعنى لم يقم له شيء " .
المجالس ٤٣٢/٢ .يضغمن - من الضيغم - : الذي يعض ، وقيل : الأسد مشتق من ذلك . اللسان ٤٨/٩ ، مادة (ضغم) عكل : قبيلة فيهم غباوة وقلّة فهم . المصدر السابق ٢٤٤/١٠ ، مادة (عكل) .
الفريس : ما يفرسه . المصدر نفسه ١٥٤/١١ ، مادة (فرس) .
المنيبا : من النيب ، ويقال : رجل أنيب : أي غليظ الناب ، أي لا يطعم شيئاً إلا كسره . المصدر نفسه ٣٩٦/١٤ ، مادة (نيب) .
قال ثعلب في معناه : " الأسد الذي افترس فريسة أو أثر في شاة من الغنم فرّت الغنم منه كلما شمّته . فيقول : هي تجزع من هجائي إذا هجوتُ غيرهم " . المجالس ٤٣٢/٢ ، ٤٣٣ .

(١٠٩) المصدر السابق ٥٧/١ .

(١١٠) قال ثعلب : " استخفت السّفهاء ، حتى جهلت الحُلماء " . المصدر نفسه ٥٨/١ .

Scanned with CamScanner

وقد تبين ذلك في قول كعب بن زهير – قبل إسلامه –[٤١١]:

ألا أبلغا عنّي بُجَيْرًا رسالةً ... على أيّ شيءٍ ويب غيرك دلّكا[٤١٢]

على خُلُقٍ لَمْ تَلْفَ أمًّا ولا أبًا ... عليه ولَمْ تُدرِكْ عليه أخًا لكا[٤١٣]

سَقَاكَ أبو بكرٍ بِكَأسٍ رَوِيَّةٍ ... وأنهلك المأمورُ منها وعلّكا[٤١٤]

ويُرْوَى في (مجالس ثعلب) :

سقاك أبو بكرٍ بكأسٍ رويّة ... وأنهلكَ المأمونُ منها وعلّكا

الجانب الثاني : هجاءُ عِلْيَةِ القوم ، كالملوك ، وطلبة العلم ، وغيرهم ..

ومن الشواهد الشعرية الدالّة على ذلك ، ما يلي : قال الشّاعرُ يَهْجُو ملكًا[٤١٥]:

أذمّ بغدادَ المُقامَ بِهَا ... مِنْ بَعْدِ ما خُبْرةٍ وتجريبِ

ما عِنْدَ أملاكِهم لمختَبِطٍ ... خَيْرٌ ولا فَرْجَةٌ لمكْرُوبِ[٤١٦]

خَلّوا سبيلَ الغِلا لِغَيْرِهِمُ ... ونافَسُوا في الفُسُوقِ والحُوبِ

يَحتاجُ راجِي النَّوالِ عِنْدَهُمُ ... إلى ثلاثٍ مِنْ بَعْدِ تَعْذِيبِ[٤١٧]

كُنُوزِ قارُونَ أنْ تكونَ لَهُ ... وعُمْرِ نُوحٍ ، وصَبْرِ أيُّوبِ

---

(٤١١) وردت المقطوعة وخبرها في المصدر نفسه ٢/ ٣٤٠ ؛ وورد البيت الأخير في ٢/ ٣٤٠ ، ولم يرد لها خبر في شرح ديوانه ، ص٣-٤ ، مع خلاف في ترتيب الأبيات وروايتها .

(٤١٢) رواية عجزه في المصدر السابق :

* فهَل لك فيمَا قلتُ بالخَيْفِ هَلْ لكَا *

ويب : كلمة مثل ويل ، تقول : وَيْبًا لهذا الأمر : أي عجبًا له . كما تقول : ويب فلان . وحكى عن ابن الأعرابي : ويب فلان - بكسر الباء - ، ورفع (فلان) إلا بني أسد ، لم يزد على ذلك ولا فسره . وحكى ثعلب : ويب فلان - بكسر الباء وكسر النون - ولم يزد . اللسان ١٥/ ٢٩٤ ، مادة (ويب) .

(٤١٣) رواية صدره في شرح الديوان :* على خُلُقٍ لم تُلْفِ أمًّا ولا أبا *

(٤١٤) نبّه ثعلب في مجالسه على رواية أخرى لعجز البيت :

* وأنهلك المأمونُ مِنْهَا وعَلَّكَا *

وروايته في شرح الديوان :

شَربتَ مَع المأمُون كاسًا رَوِيَّة ... فأنهلك المأمُونُ مِنْهَا وعَلَّكَا

(٤١٥) وأنشدها ثعلب ، عن أبي العتاهية في المجالس ٢/ ٥١٧-٥١٨ .

(٤١٦) المختبط : طالب المعروف . اللسان ٥/ ١٢ ، مادة (خبط) .

الفرجة : التفصّي من الهمّ . المصدر السابق ١١/ ١٤٥ ، مادة (فرج) .

(٤١٧) ونبه ثعلب على رواية أخر العجز في قوله : " ويروي : (تقريب) " . المجالس ٢/ ٥١٨ .

Scanned with CamScanner

وقال الشاعر يهجو بعض القراء[٣٠٩]:

يصوم شهب وهو يرضعها ... أحمق حتى ما يبرز به ثغر[٣١٠]

الجانب الثالث : هجاء عامة الناس :

ويعدّ هذا الجانب من أكثر الجوانب التي سيطرت على مختارات ثعلب الشعرية ، ومن هذه المختارات، ما يلي : قال الشاعر يهجو آخر[٣١١]:

يا قوم مالي وأبا ثويب ... كنت إذا أتوته من غيب

يسدّ عطفي ويسبّ ثوبي[٣١٢] ... كالسد ريشة بسرقيب

وقال الشاعر يهجو آخر[٣١٣]:

لو كنت ضبيًا عرفت قرابتي ... وكان زنجيًا غليظ المشافر[٣١٤]

وقال آخر يهجو شخصًا ما[٣١٥]:

تراه كأن الله يجدع أنفه ... وأذنيه إن مولاه ثاب له وفر[٣١٦]

---

(٣٠٩) ورد في المصدر السابق ٤٤٧/٣ بدون نسبة ، ونسبه المحقق لعبد الله بن همام السلولي يهجو به العلماء . حاشية المصدر نفسه .

(٣١٠) رضع : من رضع الصبي وغيره ، يرضع مثل ضرب يضرب ، لغة نجدية . اللسان ١٦٥/٨ ، مادة (رضع) . الفويق : جمع أفواق ، وهو جمع فَوَق - بالتحريك - ، وفَيق : جمع فَيقة ، وهو سعد اللبن الذي يجمع بين الحلبتين . المصدر السابق ٢٥٣/١١ ، مادة (فوق) .

ثغر - بالفتح والضمّ والتحريك - : زبدة في أطباء الشاة والبقر والمعزة . وإنما ذكر الثغر في البيت للمبالغة في الإرضاع ، والثغر لا يبزّ . المصدر نفسه ٢١/٣ ، مادة (ثغر) .

(٣١١) مجالس ثعلب ١٦٢/١-١٦٣ .

(٣١٢) عطفي : من العِطف : الرداء والطيلسان ، وكلّ ثوب تعطفه : أي ترتدي به ، فهو عِطف . اللسان ١٩٣/١٠ ، مادة (عطف) .

(٣١٣) ورد في مجالس ثعلب ١٠٥/١ بدون نسبة ، ونسبه المحقق للفرزدق يهجو أيوب بن عيسى الضبي . وضبّة هو ابن أدبن طابخة . حاشية المصدر السابق ١٠٥/١ .

(٣١٤) وذكر المحقق أن البيت يورد كذا عند النحاة ، وصواب الرواية : غليظًا مشفرة . حاشية المصدر نفسه .

(٣١٥) ورد في المصدر نفسه ٣٩٦/٢ بدون نسبة ، ونسبه المحقق لخالد بن الطيفان . حاشية المصدر نفسه

(٣١٦) البيت في رواية التحوين : (وعينيه) ، يستشهدون به على إضمار الفعل بعد حرف العطف ، ويقولون : الكثير : ويفقأ عينيه . ويستشهدون به علماء البلاغة في هذه الرواية أيضًا . حاشية المصدر نفسه ٣٩٦/٢ .

ثاب : رجع وعاد . اللسان ٥١/٣ ، مادة (ثوب) . الوفر - بالفتح - : المال والمتاع الكثير الواسع . المصدر السابق ٢٤٩/١٥ ، مادة (وفر) .

Scanned with CamScanner

وإلى جانب ما سبق ، لاحظتُ من خلال اختيارات ثعلب الشعرية أن الهجاء في الغالب يلحق بالرجال ، فقلّة منهم مَن هجا المرأة ، فهذا واحد منهم يهجو امرأة بقصر عُنقها ، فيقول(٤٢٦):

كأنّ مَهْوَى قُرْطِها المعقوب(٤٢٧) عَلَى دَبَاة أو عَلَى يَعْسُوب(٤٢٨)

ومنهم مَن يهجو زوجه ، فلا يرد عليها السلام ، فيقول(٤٢٩):

سلامُ اللهِ يا مَطَرًا عَلَيها ولَيسَ عَلَيكَ يا مَطَرُ السَّلامُ(٤٣٠)

وأيضًا لاحظت أن الخلاف الشخصي قد يدفع الشاعر إلى هجاء رجال من أهله وعشيرته الأقربين ؛ إذْ هجا الشاعر ابن عمٍّ له ؛ لأنه لم يحسن قرى ضيفه ، فيقول(٤٣١):

مسيخٌ مليخٌ كلحم الحُوارِ فَلا أنْتَ حُلْوٌ ولا أنْتَ مُرّ(٤٣٢)

وآخر يهجو ابن عمّه بالكسل والخمول ، فيقول(٤٣٣):

---

(٤٢٦) مجالس ثعلب ٥٨٠/٢ .

(٤٢٧) القرط : الذي يعلق في شحمة الأذن ، وقيل : نوع من حلي الأذن معروف . اللسان ٧٣/١٢ ، مادة (قرط) . المعقوب : من العقب - بالتحريك - : العصب الذي تعمل منه الأوتار ، وقيل : العقاب : خيط صغير يدخل في خرقي القرط يُشدّ به . المصدر السابق ٢١٩/١٠ ، مادة (عقب) . وقال أبو العباس : " المعقوب : الذي عُمِل بالعقب " . المجالس ٥٨٠/٢ .

(٤٢٨) الدباة : واحدة الدبى ، وهو صغار الجراد . اللسان ٢١٥/٥ ، مادة (دبي) .
اليعسوب : ذكر النحل وأميرها . المصدر السابق ١٤٣/١٠ ، مادة (عسب) .

(٤٢٩) مجالس ثعلب ٧٤/١ ، ٤٧٤/٢ .

(٤٣٠) جاء المنادى المفرد العلم (يا مطر) منادى منونًا فسبيله أن ينصب ؛ لأنه إذا نوّن زال عنه البناء ، وسبيله أن يرجع إلى أصله ، وهذا يُعدّ من الضرورة الشعرية . الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، للأنباري ٣١١/١ . وقال ثعلب : " قال : ربما قالوه وردّوه إلى أصله . وقالوا : أراد يا مطراه " . المجالس ٧٤/١ .

(٤٣١) المصدر السابق ١٩٨/١ .

(٤٣٢) مسيخ من الناس : الذي لا ملاحة له ، وقيل : من اللحم الذي لا طعم له . اللسان ٧١/١٤ ، مادة (مسخ) . وقال ثعلب : " الذي لا طعم له " . المجالس ١٩٨/١ .
المليخ : الفاسد . اللسان ١٢٠/١٤ ، مادة (ملخ) .

(٤٣٣) ورد في مجالس ثعلب ١٢٦/١ بدون نسبة ، وورد منسوبًا إلى ثلاثة أشخاص ، وهم : (الشماخ) في ديوانه ، ص٣٨٩ ، والكامل في اللغة والأدب ، لأبي العباس المبرد ١٦١/١ ، أمالي ابن الشجري ، لهبة الله بن علي الحسيني العلوي (ت ٥٤٢هـ) ، تحقيق ودراسة : د. محمود محمد الطناحي ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، ٢٥٠/٢ ، وينسب إلى (ابني أخويه جبار بن جزء) في الخزانة ، للبغدادي ٢١٢/٨ ، وورد البيت الأول منسوبًا لـ(الجميح) في أراجيز العرب ، منقحة ومصححة على النسخة الأصلية ، لمحمد توفيق البكري (ت ١٣٥١هـ) ، مكتبة الثقافة الدينية ، ص١١٨ .

Scanned with CamScanner

رُبَّ ابن عمّ لسُلَيْمَى مُشْمَعِلّ طبّاخ ساعات الكَرَى زادَ الكَسِلْ

هذا ، وقد لاحظت هجاء الأب في قول الشاعر الذي يخاطب آخر فيقول له[٤٣٤]:

أبوك الذي نُبِّئْتُ يَحْبِسُ خَيْلَهُ غداةَ النَّدى حتّى يجفَّ لها البَقْلُ[٤٣٥]

ولقد كان الهجاء دائمًا قرين المدح ، فإذا كان هناك من يستحق المدح ، كان هناك من يستحق الهجاء ، وقد اجتمع الغرضان معًا في قِلَّةٍ من النماذج الشعرية التي رواها أبو العباس ثعلب في مجالسه ، ومن ذلك :

قول الشّاعر يَمْدَحُ بَنِي مَازِنٍ ويَهْجُو قَوْمَه[٤٣٦]:

لو كُنْتُ من مازنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إبِلي بَنُو الشَّقِيقَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانا[٤٣٧]

إذا لقامَ مَقَامي مَعْشَرٌ خُشُنٌ عِنْدَ الحَقِيقَةِ إنْ ذُو لُوثَةٍ لانا[٤٣٨]

قومٌ إذا الشَّرُّ أبْدَى نَاجِذَيْه لَهُمْ طَارُوا إلَيْه زَرَافَاتٍ ووُحْدَانا[٤٣٩]

المشمعل : السريع الماضي ، والميم زائدة ، يقال : اشمعل فهو مشمعل . اللسان ١٣٤/٨ ، مادة (شمعل) .

الكرى : النعاس ، وقيل : النوم . المصدر السابق ٦٠/١٣ ، مادة (كرا) ..

(٤٣٤) مجالس ثعلب ١٤١/١ .

(٤٣٥) قال أبو العباس في معناه : " هذا يحمّقه ؛ لأنّ النّدى إذا وقع على البَقْل تأكله الإبل فتموت ، فيقول : أبوك ليس صاحب خَيْل ، فمنها ظنّ أنّه يضرّ الخيل ، وليس يضُرُّها ، إنما يضرّ الإبل . وإذا وقع النّدى على هذا البقل بعد جفافه يُسمّى النَّشْر " . المصدر السابق .

(٤٣٦) وردت في المصدر نفسه ٤٠٥/٢-٤٠٦ بدون نسبة ، وقال المحقق في الحاشية : هذه أول مقطوعة اختارها أبو تمام في الحماسة ، وهي لقريط بن أنيف العنبري . حاشية المصدر نفسه ٤٠٥/١ .

(٤٣٧) الشقيقة : اسم جدّة النعمان ، وقيل عن ابن الكلبي : هي بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان . اللسان ١١٣/٨ ، مادة (شقق) .

الشقيقة عند المحقق : هي بنت عباد بن زيد بن عمرو بن ذهل بن شيبان . ورواها أبو تمام : بنو اللقيطة ، وهي أم حصين بن حنيفة من بني قرارة ، ولا صلة لها بذهل بن شيبان . حاشية مجالس ثعلب ٤٠٥/٢ .

(٤٣٨) لوثة : استرخاء وحمق . المصدر السابق ٢٤٩/١٣ ، مادة (لوث) .

(٤٣٩) الزرافة - بالفتح - : الجماعة من الناس . المصدر نفسه ٢٧/٧ ، مادة (زرف) .

الوحدان - بالضمّ - : جمع الواحد ، ويقال أحدان أيضًا ، يجوز أن يعني أفرادًا ، وهو أجوَد ؛ لقوله : (زرافات) ، وقد يجوز أن يعني به الشجعان الذين لا نظير لهم في البأس . المصدر نفسه ١٦٥/١٥ ،

Scanned with CamScanner

لا يسألون أخاهم حين يندبهم
لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة
كأن ربك لم يخلق لخشيته

في النائبات على ما قال برهانا
ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
ومن إساءة أهل السوء إحسانا
سواهم من جميع الناس إنسانا(٤٤٠)

ولم يقف الأمر عند ذلك فحسب ، بل اشترك هذا الفنّ مع غرض الفخر في نتفة شعرية من الرجز رواها أبو العباس ثعلب في مجالسه للشاعر الذي يقول(٤٤١):

ومَنْ رَمَيْنا عزّهُ تبركعا(٤٤٢) على استه رَوبَعَةً أو رَوْبَعا(٤٤٣)

ومن خلال النظر في الإنتاج الشعري الذي رواه ثعلب في مجالسه ، لمست ظهور لونٍ جديدٍ من الهجاء يسمى " بـ(الهجاء الساخر) : الذي اقترب في معانيه من المستوى الشعبي ، بحيث يستهدف إضحاك الناس على المهجوّ وسُخريتهم منه . وهو في هذا يعتمد على فنّ أصيل في رسم شخصية المهجو من ناحية معنوية أو جسمية ، ولكنه ليس رسمًا تصويريًا ، بل هو رسم (كاريكاتيري) – يبعث على الضحك . ويستعين الشاعر في هذا النوع الأصيل من الهجاء بكُلّ معارف عصره ، وبجميع عناصر الفكاهة والهزل الشائعة بين الناس "(٤٤٤) . وهذا اللون من الهجاء يحتاج إلى مُخيِّلة خصبة نشطة تعرف كيف تُجَسِّم شخصية المهجو في صورة لافتة ومثيرة للنظر . وقد رأيت ذلك في قصيدة حملت بين ثناياها هجاء لاذعًا لجارية قبيحة المنظر ، وشمل هذا الهجاء الجانب الحسي والجسدي لها ، فهاهو الشاعر يقول(٤٤٥):

مادة (وحد) .

(٤٤٠) ذكر المحقق البيت الذي بعده في الحماسة ، وهو تمام المقطوعة : فليت لي بهم قومًا إذا ركبوا شدوا الإغارة فرسانًا وركبانا حاشية مجالس ثعلب ٤٠٦/٢ .

(٤٤١) المصدر السابق ٦٤/١ .

(٤٤٢) تبركعا : يقال : بركع الرجل على ركبتيه : إذا سقط عليهما . وقيل : البركعة : القيام على أربع . اللسان ٧٢/٢ ، مادة (بركع) .

(٤٤٣) الرّوبع : داء يأخذ الفصال . اللسان ٨٨/٦ ، مادة (ربع) . وقال ثعلب : " الرّوبع : وجع يأخذ في القوائم فيُقْعِد " .المجالس ٦٤/١ .

(٤٤٤) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، د. محمد مصطفى هداره ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص٤٣٣ .

(٤٤٥) انظر بقية الأبيات في : مجالس ثعلب ٧٤/١-٧٥ بدون نسبة ، ونسبها المحقق لإسماعيل بن عامر ، وهو شاعر مخضرم من شعراء الدولتين ، يقولها في هجاء أم ولده ، وتروى أيضا لأبي الغطمش الحنفي . المصدر السابق ٧٤/١ .

Scanned with CamScanner

لهـا وجـه قـرد إذا زيّنـت ... ووجـه كبيض القطا الأبرش[116]
ولـدى يجـول على بطنها ... كقربـة ذي الثلّـة المعطـش[117]
وفخـذان بينهمـا نفنـف ... تجيـز المحامـل لا تخـدش[118]
وسـاق بخلخالهـا خـاتم ... كـساق الدجاجـة أو أحمـش[119]
لهـا ركـب مثـل ظلّـف الغـزال ... أشـدّ اصـفرارًا مـن العشمش
وأرسـح مـن ضفـدع غثّـة ... تحيّـرُ فـي مأجـلي مرعـش[120]
منيـت بزمـردة كالعصـا ... ألـصّ وأخبـث مـن كنـدش[121]
تحب النساء وتـأبى الـرجـال ... وتمـشي مـع الأخـبث الأطيش

ومن التطورات أيضًا اعتماد الشاعر على أسلوب الحوار في الهجاء ، وقد رأيت ذلك في قول الشاعر[122] :

أتانا فلم نفرح بطلعة وجهه ... طُروقًا وصلّى كفّ أشعث
فقلنا : أمن قبر خرجت سكنته ... ساغب[123]

(116) الأبرش : الذي فيه ألوان وخط ، والجمع : البُرْش . اللسان ٦٢/٢ ، مادة (برش) .
(117) الثلة - بالفتح - : جماعة الغنم وأصوافها . المصدر السابق ٣٦/٣ ، مادة (ثلل) .
المعطش : الذي حطشت إبلهم أو غنمهم . المصدر نفسه ١٩٢/١٠ ، مادة (عطش) .
(118) البيت وتاليه فيهما إقواء .
نفنف : يقال : نفنف الهوى : أي كلّ شيء بينه وبين الأرض مهوى . اللسان ٣٢٩/١٤ ، مادة (نفنف) .
(119) أحمش : من الحمش - بالفتح - : الدقيق الساق والقوائم ، أي ساقها أدقّ من ساق الدجاجة . ويقال : حمّشت قوائمه وحمُشَت : دقّت . المصدر السابق ٢٢٣/٤ ، مادة (حمش) .
(120) الرسح : خفة الإليتين ولصوقهما . وقيل : رجل أرسح : أي قليل لحم العجز والفخذين ، والأرسح : الذي لا عجز له . المصدر نفسه ١٤٩/٦ ، مادة (رسح) .
الماجل - بفتح الميم - : مستنقع الماء ، والجمل المآجل . المصدر نفسه ٦٠/١ ، مادة (أجل) ، مجالس ثعلب ٧٥/١ .
مرعش - بفتح الميم والعين - : بلدة في الثغور من كور الجزيرة ، وقيل : بلدة من بلاد الثغور بين الشام وبلاد الروم . اللسان ٧٥/٦ ، مادة (رعش) . مجالس ثعلب ٧٥/١ ، بتصرّف .
(121) مُنيت : يقال : منيت بكذا وكذا : أي ابتليت به . اللسان ١٣٩/١٤ ، مادة (مني) .
زمردة - بفتح الزاي وكسرها ، وتشديد الميم المفتوحة - ، وهي بالفارسية : (زنمردة) يراد به المرأة المترجلة أو الصخابة السليطة . المصدر السابق ١١٧/١٣ ، مادة (كندش) .
الكندش : الطقعق ، وهو طائر معروف بالرقة ، وقيل : اسم لصّ معروف بالرقة ، وقيل : اسم لصّ معروف . المصدر نفسه . وقال ثعلب : " الكندش : الطقعق " . المجالس ٧٥/١ .
(122) المصدر السابق ٦٩/١-٧٠ . وورد عجز البيت الأول في ٦٨/١ .
(123) ساغب : من سَغِب الرجل يَسغَب : جاع . اللسان ١٩٣/٧ ، مادة (سغب) .

Scanned with CamScanner

فقال : أصابتني من العام لزبة

لك الويل أم أدمنت جمر الغضا
وهنت فلم أنكر على أم صاحب

ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب ، بل اعتمد على أسلوب الزجر والإفحام ، وقد رأيت ذلك في قول الشاعر يهجو آخر[٤٥٤]:

اسكُتْ ولا تَنْطِقْ فأنْتَ خَيَّابُ[٤٥٥]
إنْ صَدقَ القَومُ فأنْتَ كَذَّابْ

كلُّك ذو عيب وأنْت عيَّابْ
أوْ نَطَقَ القَوْمُ فأنْتَ هَيَّابْ

أو سكتَ القَومُ فأنْتَ قَبْقَابُ[٤٥٦]
أو قَدَّمُوا يوماً فأنْتَ وجَابُ[٤٥٧]

هذا ، وقد رأيت في مختارات ثعلب الشعرية نوعًا من المناظرة الشعرية التي دارت بين شاعرين ، هما : (الكروّسُ[٤٥٨] ، وعَوْفٌ الْهُجَيْمِيُّ[٤٥٩]) ، وقد اتضحت هذه المناظرة الهجائية في الآتي :

قالَ الكروّسُ الْهُجَيْمِيّ يهجو شخصًا اسمُهُ (عوفٌ)[٤٦٠]:

لَوْ كانَ عَوفٌ مُجْرِبًا لعَذَرْتُهُ
ولكِنَّ عَوْفًا ذو حَلِيبٍ وَرَاسِبِ[٤٦١]

لَدى رَوضَةٍ قَرْحَاءَ بَرْقَاءَ جَادَهَا
من الدَّلْوِ الوَسْمِي طَلٌّ وهاضِبُ[٤٦٢]

---

(٤٥٤) مجالس ثعلب ٥٩٤/٢ .
(٤٥٥) خَيَّاب : القِدْح الذي لا يورى ، ويجوز أن يكون فَعَّالاً من الخيبة . اللسان ١٨٦/٥ ، مادة (خيب) .
القدح والقداحة : الحجر الذي لا يقدح به النار . المصدر السابق ٣٣/١٢ ، مادة (قدح) .
(٤٥٦) قبقاب : الكثير الكلام مُخْلَطه . المصدر نفسه ٦/١٢ ، مادة (قبب) .
(٤٥٧) قدموا : تقدموا ، أي المضيّ ، وهو الإقدام . المصدر نفسه ٤٣/١٢ ، مادة (قدم) .
وجَاب : من الوجب : الجبان ، أو الأحمق . المصدر نفسه ١٥٥/١٥ ، مادة (وجب) .
(٤٥٨) لم أعثر على ترجمة له فيما بين يديّ من المصادر والمراجع .
(٤٥٩) هو : شيخ من بني الهجيم ، نزل عند الكروّس فأكرمه وأحسن قِراه ، فغدا يهجوه . مجالس ثعلب ٦٧/١ .
(٤٦٠) انظر بقية الأبيات وخبرها في المصدر السابق ٦٧/١-٧٠ .
(٤٦١) المجرب : الذي من جربت إبله . اللسان ١٠٩/٣ ، مادة (جرب) .
(٤٦٢) في هذا البيت وبعده إقواء .
الروضة القرحاء : التي بَدا نبتها ، أو التي في وسطها نوّر أبيض . وقريحة كلّ شيء : أوّله . اللسان ٥٩/١٢ ، مادة (قرح) ، مجالس ثعلب ٦٨/١ . برقاء : يقال : روضة برقاء : أي فيها لونان من النبت ، ويقال للجراد إذا كان فيه بياض وسواد . اللسان ٦٧/٢ ، مادة (برق) . الدَّلو : أراد به نوء الدَّلو ، وهو من مطر الخريف . المصدر السابق ٢٩٤/٥ ، مادة (دلو) . الوسمي : المطر في الربيع ؛ لأنه يسم الأرض بالنبات ، فيصير فيها أثرًا في أوّل السنة . المصدر نفسه ٢١٤/١٥ ، مادة (وسم) .
وأشار المحقق إلى أنّ الشاعر أراد القول : إنه قد جاءها أول المطر وآخره . حاشية مجالس ثعلب ٦٧/١ . الطل : أخف المطر وأضعفه . اللسان ١٣٨/٩ ، مادة (طلل) . الهاضب : يقال : هضبت

[illegible] إذا [illegible] بالغ [illegible] طارب[٤٦٤]

[illegible] أنها سورة في رأسه ذات صالب[٤٦٥]

[illegible] عوفا ، وكان مُفحما ، فقال : اللهم إني لا أقول الشعر ، وقد [illegible] ، فقال له رجل عليه : قم رأم حاجتي ، قال الشاعر ، فقال[٤٦٦] :

[illegible] من جار الأوابد لا [illegible] من الناس حقٌ في الذلة واجب[٤٦٧]

[illegible] إلى الجبرة الأولين لا بد آيب

[illegible] على فريع الأساود ومطوّة سميع برزّ الكلب والكلب ناضب[٤٦٨]

[illegible] إنها ليستنشي ذرا قلّ حاطب[٤٦٩]

ويكاد الوعد والشعر من الوسائل التي تو عّد بها الشعراءُ أعداءهم، ولم أقف على شيء من ذلك إلا من خلال قول الشاعر[٤٧٠] :

الرسماء : أي دام مطرها أوانًا لا يقلع . المصدر السابق ٦٨/١٥ ، مادة (هضب) .

(٤٦٤) الحمش : سبق تفسيرها في المبحث الثالث من هذا الفصل ، ص٧٣ .

وعلق ثعلب بقوله : " إذا كثر الذبّ كثر الذهاب " . المجالس ٦٨/١ .

(٤٦٥) أشار المحقق إلى أنّ المراد بقوله : غذاها البحر ، أي : مرجت بماء البحر . حاشية المصدر السابق .

عقارا : الخمر ، وسميت بذلك لأنه يعقر العقل . وقيل : عقار الخمر : أي خيار ما يُرعى من نبات الأرض ويصعد عليه بمنزلة الدار ، وهو معمول (شارب) . اللسان ٢٦٦/١٠ ، مادة (عقر) .

عانة : بلد بين الرقة وهيت ، مُشرفة على الفرات ، معروفة بالخمر . المصدر السابق ٣١٠/١٠ ، مادة (عنن) .

الصالب : الرعدة . المصدر نفسه ٢٦٦/٨ ، مادة (صلب) .

(٤٦٦) وردت المقطوعة في مجالس ثعلب ٦٩/١ .

(٤٦٧) الثوى : ما التوى من الرمل ، وقيل عن الأصمعي : متقطع الرملة . اللسان ٢٦٠/١٣ ، مادة (لوى) .

النزالة - بالكسر - : الضيافة . المصدر السابق ٢٣٧/١٤ ، مادة (نزل) .

(٤٦٨) الفُرُع : جمع الفرع ، وهي الحية التي تمعط جلد رأسه . المصدر نفسه ٧٥/١٢ ، مادة (فرع) .

الأساود : جمع أسود . المصدر نفسه ١٠٣/١ ، مادة (أسد) .

الرزّ : الصوت الخفي . المصدر نفسه ١٤٥/٦ ، مادة (رز) .

ناضب - بالضاد المعجمة : أي بعيد ، يعني يسمع صوته عن بُعد . المصدر نفسه ٢٧٧/١٤ ، مادة (نضب) .

(٤٦٩) نبّه ثعلب على رواية أخرى (يستنشي) ، فقال : " يرويه (يستثلي) و (يستشري) جميعًا " . المجالس ٦٩/١ . والبيت فيه إقواء .

استنشى : يقال : نشي - بكسر الشين - واستنشى ، وتنشى ، والتنشى ، أي : شمّ ريحًا طيبة . اللسان ٢٦٥/١٤ ، مادة (نشا) . وبرواية (يستشري) : من شرى ، يقال : شرى الفرس في سيره واستشرى ، أي : نجّ . المصدر السابق ٧١/٨ ، مادة (شرى) .

(٤٧٠) مجالس ثعلب ٤٧٣/٢ .

Scanned with CamScanner

لست إذا لزعبلة[٤٧٠]

إنّ لم أغيّر بكنّتي[٤٧١]

إنّ لم أساو بالعسول .....[٤٧٢]

وقد رأيت في مختارات ثعلب الشعرية المتناثرة في مجالسه قلّة من القصائد المسفّة ، والتي نترفّع عن ذكرها ، وهذه القلّة لا تكاد تُذكَر ؛ مما يجعل تأثيرها على كلّ الشواهد الشعرية غير وارد .

إذًا ، من خلال ما سبق يمكن القول : إنّ الهجاء عند أغلب شعراء (مجالس ثعلب) ليس حِرفةً أو وسيلة لتخويف المهجو إذا لم يُعطِه ما يرضيه ، وإنما هو ناتج عن حالات نفسيّة معقّدة يفرضها ظرف معيّن .

هذا ، وقد لمستُ سيطرة الاتجاه الشخصي على أكثر المختارات الشعرية ، وقد تضمّن هذا الهجاء أربعة محاور تمثلت في هجاء الرسول ﷺ ، وعُلْيَة القوم ، وعامّة الناس ، والمرأة .. وهذه المحاور لم تكن مسيطرة على صفحات الشعر الوارد في (مجالس ثعلب) ، بعكس المحور الثالث ، فقد كان مسيطرًا بصورة لافتة للنظر ، وهذا المحور تمثّل في هجاء عامّة الناس – سواء كانوا أفرادًا أو جماعات – ، وإلى جانب ذلك ظهر الهجاء الساخر ، وهجاء الأب ، والمناظرات الهجائية . وقد تخلّل إنتاج الشعراء في المجالس بعض الأمور التي تمثلت في الحوار ومشاركة الأغراض الشعرية الأخرى ، كالفخر ، والمدح ..

إذًا ، استنتجت : أنّ أهم ما يميز أكثر شعر الهجاء في (مجالس ثعلب) خلوّه من آثار الفحش والإسفاف والإباحية ، وغير ذلك من مظاهر التدنّي والانحطاط التي كانت شائعة في العصر العباسي ؛ نتيجة لتأثّره بالعناصر الأجنبية ، كالفُرْس ، واليونان . وقد يرجع السّبب في ذلك إلى أخلاق أبي العباس الراقية والملتزمة ، وإلى ارتباطه بالغاية التعليمية للمجالس ، على نحو ما ذكرت في غرض الغزل .

---

(٤٧٠) زعلبة : كثير ، وقيل اسمان . اللسان ٣١/٧ ، مادة (زعبل) ، مجالس ثعلب ٤٧٣/٢ ، بتصرّف .

(٤٧١) ورد هكذا في المصدر السابق ٤٧٣/٢ .

(٤٧٢) البكلة : الحال والخِلقة . اللسان ١٣٤/٢ ، مادة (بكل) . وقال ثعلب : " البكلة : الحال والخلط ، بكل عليه وبكله : إذا خلط . وقال : كذا يُنشد ، وهو صدر بيتٍ وبيتٌ " . المجالس ٤٧٣/٢ . وأشار المحقق إلى أنّ البيت الواحد من مسدس الرجز ذي التفاعيل الستّ ، وبذلك ينتهي الشطر الأول بالياء الأولى من (أغير) . حاشية المصدر السابق .

Scanned with CamScanner

المديح :

فنّ من فنون الشعر الغنائي ، يقوم على إعجاب الشاعر بالممدوح – سواء كان فردًا أو جماعةً – ، فيعدّد مناقبه ويذكر فضائله وأخلاقه الكريمة .

ويُعدّ المديح من أهمّ الموضوعات التي تناولها الشعر العربي على مرّ العصور ، فاحتلّت مكانةً باسقة في التراث الشعري عامّة ، وفي مرويات ثعلب الشعرية خاصة[٤٧٣] .

ومن المعروف " أنّ الإنسان بطبيعته ميّال إلى التقدير والاحترام ، فهو يحب سماع كلمات الإطراء والمدح ، خصوصًا إذا كان أهلاً لذلك ، والشعراءُ أقدرُ الناس على التعرّف على خفايا النفس الإنسانية ، فهم يبحثون عن الصفات الحميدة التي تتوفر في ذلك الممدوح ؛ ليعلنوها على الملأ "[٤٧٤] . وهذه الصفات والقيم التي يختارها عادة ما تكون : الكرم ، والشجاعة ، وتحمّل الديات ، وقضاء الحاجات ، وعراقة الأصل .

● ومن مختارات ثعلب الشعرية التي حملت بين ثناياها قيمة القوّة ومالها من الغلبة والقدرة على قضاء الحاجات وتحمّل الديات ، ما يلي : قال الشاعر[٤٧٥] :

لا يَنْكُلُونَ الأَرْضَ عِنْدَ سُؤَالِهِمْ ... لتَطَلُّبِ العِلاَّتِ بالعِيدانِ[٤٧٦]

بَلْ يَبْسُطُونَ وُجُوهَهُمْ فَتَرَى لَهَا ... عِنْدَ السُّؤَالِ كَأَحْسَنِ الأَلْوَانِ

وَإِذَا دُعُوا لِنُزَالِ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ ... سَدُّوا فِجَاجَ الأَرْضِ بالرُّكبانِ[٤٧٧]

---

(٤٧٣) انظر مرويات المديح في (المصدر نفسه) : ١٧/١ ، ٢١-٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٨-٤٩ ، ٥٩ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ ، ١٠٠-١٠١ ، ١٠٦ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٩٤-١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢١١ ، ٢٣٥-٢٣٦ ، ٢٥٧ ، ٢٧٢ ، ٣١٨ ، ٣٣٩/٢ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧٩ ، ٣٩٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٥ ، ٤١٤-٤١٥ ، ٤٢٥-٤٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٩٢ ، ٥١٠ ، ٥٣٢-٥٣٣ ، ٥٤٠ ، ٥٤٧ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٧٠ ، ٥٧٨ ، ٥٨٨ ، ٥٩٦ .

(٤٧٤) شعراء بني قشير في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي ، د. عبد العزيز الفيصل ٢٣٥/١ .

(٤٧٥) مجالس ثعلب ٣٤٤/٢ .

(٤٧٦) العِلاّت : من العِلّة ، وهو الحدث الذي يشغل صاحبه عن حاجته ، ويقال عِلّة لكلّ معتلّ أو معتذر وقولهم (على علاّته) : أي على كلّ حال . اللسان ٢٦١/١٠ ، مادة (علل) .

(٤٧٧) فجاج : من الفجّ ، وهو الطريق الواسع بين جبلين ، وقيل : هو أوسع من الشِّعب . المصدر السابق ١٣٠/١١ ، مادة (فجج) .

Scanned with CamScanner

قَوْمٌ إذا نزل الغريبُ بدارهم ... ردُوهُ ربَّ صواهلٍ وفيلِ[٤٧٨]

وقال الشاعر[٤٧٩]:

ضَخْمٍ تُعلَّقُ أشناقُ الدّيات بِهِ ... إذا العِنُونَ أُمِرَّت فوقَهُ حَمَلا[٤٨٠]

وقالَ الشاعر[٤٨١]:

قومٌ عَوادِيَ ، مُلْكُ النّاسِ كان لهمْ ... والشّمسُ إذْ ذاك لمْ تطلعْ ولا القمرُ[٤٨٢]

● ومن المختارات الشعرية التي حملت بين ثناياها قيمة الكرم والجود والسخاء ، ما يلي :

قال الشاعر[٤٨٣]:

يَسْقُطُ الطّيْرُ حَيْثُ يَنْتَثِرُ الْحَـ ... ـبُّ وتُغْشَى مَنَازِلُ الكُرَمَاءِ

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلاَ الْخَوْ ... فِ وَلَكِنْ يِلَذُّ طَعْمَ العَطَاءِ

وقال عَلْقَمةُ[٤٨٤]:

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنَعْمَةٍ ... فَحُقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ

---

(٤٧٨) الصّواهل : جمع الصّاهلة ، مصدر على فاعلة بمعنى الصّهيل ، وهو الصّوت ، كقولك : سمعتُ رواغي الإبل . المصدر نفسه ٢٩٩/٨ ، مادة (صهل) .

(٤٧٩) مجالس ثعلب ٤٤٤/٢ .

(٤٨٠) أشناق الدّيات : اختلاف أجناسها ، نحو بنات المخاض وبنات اللبون والحقاق والجذاع ، كلّ جنس منها شَنَقٌ . اللسان ١٤٧/٨ ، مادة (شنق) . وقال ثعلب : " الأشناق : دون الديات " . المجالس ٤٤٤/٢ .

(٤٨١) المصدر السابق ٤٤٠/٢ .

(٤٨٢) قال ثعلب في معناه : " يقول : كان مُلكهم قبل أن تُخلقَ الدّنيا " . المصدر نفسه .

(٤٨٣) المصدر نفسه ٤٨/١-٤٩ .

(٤٨٤) المصدر نفسه ٧٨/١ ، الديوان ، بشرح الأعلم الشنتمري ، حققه : لطفي الصقال ، درية الخطيب ، راجعه : د. فخر الدين قباوة ، دار الكتاب العربي - حلب ، ص٤٨ .

خبطت : يقال : خبطه بخير : أي أعطاه من غير معرفة بينهما . اللسان ١٣/٥ ، مادة (خبط) .

شأس : أخو علقمة الشاعر . المصدر السابق ٦/٨ ، مادة (شأس) .

الذّنوب : الحظّ والنّصيب ، وقيل : الدلو التي يكون الماء دون ملئها أو قريبًا منه ، وقيل : الدلو العظيمة . المصدر نفسه ٤٧/٦ ، مادة (ذنب) ، مجالس ثعلب ٧٨/١ ، بتصرف .

وقال الشاعر (٤٨٥):

منى يأته يعشو إلى ضوء ناره ... [تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ موقدِ]

أو يمدح الشاعر ممدوحه إعجابًا بشخصه وليس رغبة في التكسُّب ، وقد اتضح ذلك في قول كعب بن زُهَير (٤٨٦):

مُهَنَّدٌ من سُيوف الله مسلُولُ ... إنَّ الرَّسُولَ لسيفٌ يُستضاءُ به

ببطن مكَّةَ لمَّا أسلموا زُولُوا ... في عُصْبةٍ من قُريشٍ قال قائلُهم

لدَى اللِّقاء ولا مِيلٌ مَعازيلُ ... زالُوا فما زالَ أنكاسٌ ولا كُشُفٌ

وقد يسمع الممدوحُ إطراءً من الشاعر ، فتهشُّ نفسه وتجود له بالكثير من المال . وقد اتضح ذلك في قول رُؤْبَةَ بْنِ العَجّاجِ يَمْدَحُ بِلالَ بْنَ جَرِيرٍ (٤٨٧):

إنِّي وقد تعنى أمورٌ تعتني ... على طريق العُذْرِ إن عذرتني (٤٨٨)

فلا وربِّ الآمنات القُطَّنِ (٤٨٩) ... ما آيبٌ سِرُّكَ إلاَّ سرَّني (٤٩٠)

سِرًّا فإنَّ عرَّكَ أمرٌ عرَّني (٤٩١) ... ما الحِفظُ أمْ ما النصحُ إلا أنَّني

أخوكَ والرَّاعي لما استرعيتني ... إنِّي وإنْ لَمْ ترتَعِ كأنَّني

أراكَ بالغَيْبِ وإنْ لَمْ ترَني ... من غَشٍّ أو وَنًى ثانٍ لا أني

* عَنْ رفدكم خَيرًا بكلِّ مَوْطِنٍ *

ومن ينظر في الإنتاج الشعري لشعراء المجالس ، يرى مقطوعة شعرية

---

(٤٨٥) مجالس ثعلب ٣٩٩/٢ . وورد بتمامه في الديوان ، مع رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني ، شرح أبي سعيد الحسن السكري (ت ٢٧٥هـ) ، دار صادر - بيروت ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، ص٥١ .

(٤٨٦) وردت المقطوعة وخبرها في مجالس ثعلب ٣٤٢/٢ ، ولم يرد لها خبر في شرح ديوانه ، ص٢٣ .

(٤٨٧) وردت القصيدة الرجزية وخبرها في مجالس ثعلب ٤١٣/٢-٤١٥ ، ولم يرد لها خبر في الديوان ، ص١٦٢ .

(٤٨٨) عنى : يقال : عنى الأمرُ يعنني واعتنى : نزل . اللسان ٣١٦/١٠ ، مادة (عنى) .

(٤٨٩) الآمنات القطن : يعني بها : الحمام القاطنات مكة . المصدر السابق ١٤٥/١٢ ، مادة (قطن) .

(٤٩٠) روايته في الديوان :* مَا آلَبَ سِرُّكَ إلاَّ سَرَّنِي *

(٤٩١) روايته في المصدر السابق :* شُكرًا وإن عَرَّكَ أمرٌ عَرَّنِي *

عرَّني : يقال : عرَّه بمكروه يُعِرُّ عَرًّا : أصابه به ، والاسم العُرَّة ، وعرُّه : أي ساءه . اللسان ٩١/١٠ ، مادة (عرر) .

Scanned with CamScanner

لامرأة تمدح ابنها إعجابًا به ، فتقول[٤٩٢]:

لو ظَمِئَ القومُ فقالوا مَنْ فتى ... يُخلِفُ لا يَرْدَعُه خوفُ الرَّدى
فيبعثُوا سعدًا إلى الماءِ سُدَى ... في لَيْلَةٍ بيداؤها مثلُ العَمى
بِغَيْرِ دَلْوٍ ورِشاءٍ لاستَقَى ... أمرَدَ يَهْدي رأيُه رأيَ اللَّحَى

ومن يجول في بستان شعر المديح المتناثر في صفحات (مجالس ثعلب) ، يرى في داخله اتجاهين، هما : *المدحُ الفرديّ *المدحُ الجماعيّ .

أولاً : المدحُ الفَرْديّ :

يركِّز فيه الشاعر على محاسن الشخص الممدوح وفضائله ، وقد انعكست أشعّة هذا المدح بكثرة على صفحة الشّعر الوارد في (مجالس ثعلب) ، ومن ذلك قَوْلُ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَذْلَمِيّ يَمْدَحُ شخصًا اسمه (سعد)[٤٩٣]:

يا سَعْدُ غَمَّ الماءَ وِردٌ يَدْهَمُه[٤٩٤] ... يَوْمَ تَلاقَى شَاوُه ونَعَمُه

ج

واخْتَلَفَتْ أَمْرَاسُهُ وقَيِّمُه[٤٩٥] ... فإنَّمَا أَنْتَ أَخٌ لا نَعْدَمُه
فَأَبْلِنَا مِنْكَ بَلاءً نَعْلَمُه ... يَدُكَ مِدْمَاكَ الطَّوِيِّ قَدَمُه
لَمْ يَلْقَ بُؤْسًا لَحْمُهُ ولا دَمُه ... فَقَامَ وثَّابٌ نَبِيلٌ مَحْزِمُه
لم يَتَجَشَّأْ مِنْ طَعَامٍ يِبْشِمُه[٤٩٦] ... ولَمْ تَبِتْ حُمَّى بِهِ تُوصِّمُه[٤٩٧]

---

(٤٩٢) سبق ذِكرها وتخريجها وشرح مفرداتها في المبحث الأول من هذا الفصل ، ص٨٨ .
(٤٩٣) مجالس ثعلب ١٩٤/١-١٩٥ .
(٤٩٤) غم الشيء يَغُمُّهُ : علاه ، وقيل : غممته : غطيته فانغمّ . اللسان ٨٩/١١ ، مادة (غمم) .
يدهمه : يقال : دهم الشيء : أي كثير . المصدر السابق ٣١٨/٥ ، مادة (دهم) .
(٤٩٥) أمراسه : سبق تفسيرها في المبحث الثالث من هذا الفصل ، ص٦٧ .
قيمه : من القيم - بكسر فتح - : جمع قامه مثل تاره وتير ، والقامة : البكرة التي يستقي عليها . اللسان ٢٢٦/١٢ ، مادة (قوم) .
(٤٩٦) جشا وتجشا وتجشو : بمعنى تنفس المعدة عند الامتلاء . المصدر نفسه ١٤٨/٣ ، مادة (جشا) .
يبشمه : من البَشَم ، تُخَمَة على الدَّسَم . المصدر نفسه ٩٢/٢ ، مادة (بشم) .
(٤٩٧) وصمته الحمى وتوصم : ألمته فتألم . المصدر السابق ٢٢٦/١٥ ، مادة (وصم) .

Scanned with CamScanner

وقولُ ثُمامَةَ بنِ المحبّرِ السّدوسيِّ[٤٩٨] يمدح شخصًا غنيًّا[٤٩٩]:

لا رَبَّ مُلتاثٍ يجرُّ كساءَه ... نَفَى عنه وجْدانُ الرّقين العزائما[٥٠٠]

وقولُ الشاعرِ يمدح شخصًا ما[٥٠١]:

إحياكَ ربُّكَ أيُّها الوَجْهُ ... ولِغيرِكَ البَغضاءُ والنُّجْهُ[٥٠٢]

ثانيًا : المدح الجماعي :

يشيد فيه الشاعر بمناقب ومحاسن ذوي الممدوح أو قبيلته ، وقد انعكس شيءٌ يسير من أشعّة هذا المدح على صفحة الشعر المروي لأبي العباس ، ومن ذلك قول طفيل الغنوي يمدح بني جعفر[٥٠٣]:

جزى اللهُ عنّا جعفرًا حين أشرقَتْ ... بنا نعلُنا في الواطئين فزلّت

بَوا أن يمنُّونا ولو أنّ أمّنا ... تُلاقي الذي يَلْقَوْن منّا لَمَلّت

فذو المالِ موفورٌ وكلُّ معصَّبٍ ... إلى حَجراتِ أدفأَتْ وأظلّت

وقولُ الشاعرِ يَمْدَحُ قَوْمًا[٥٠٤]:

رقاقُ النِّعالِ طيّبٌ حُجْزاتِهِمْ ... يُحَيَّوْنَ بالرَّيْحانِ يومَ السَّباسبِ[٥٠٥]

---

(٤٩٨) لم أعثر على ترجمته في المصادر والمراجع التي بين يديّ .

(٤٩٩) مجالس ثعلب ٥٧٨/٢ .

(٥٠٠) مُلتاث : الأحمق الجبان . اللسان ٢٤٩/١٣ ، مادة (لوث) .

يجرُّ كساءه : أي هو صافي الثياب والنعمة . حاشية مجالس ثعلب ٥٧٨/٢ .

الوجدان : المصدر منه وجْدًا وجِدة وجودًا ووجْدانًا . اللسان ١٥٦/١٥ ، مادة (وجد) .

وقال ثعلب : " الرقين جمع الرقة ، والرقة : الذهب والفضة . قال : وتقول [العرب] : " وجْدانُ الرّقين : يغطي أقنّ الأفين " . المجالس ٥٧٨/٢ . وقيل : معناه : أنّ المال يغطي العيوب ، وفسّره ابن الأعرابي : ينفي عنه كثرة عزائم الناس فيه أنه أحمق مجنون . اللسان ١٩٥/١٥ ، مادة (ورق) .

(٥٠١) مجالس ثعلب ١٧٣/١ ، اللسان ٢٠٤/٤ ، مادة (نجه) .

(٥٠٢) النُّجْهُ : استقبالك الرجلَ بما يكره ، ورَدُّك إيّاه عن حاجته . وقيل : هو أقبح الردّ . المصدر السابق .

(٥٠٣) وردت المقطوعة وخبرها في المصدر السابق ٣٩٣/٢ ، ولم يرد لها خبر في الديوان ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد ، دار الكتاب الجديد، ص٥٧ .

(٥٠٤) مجالس ثعلب ٢٠٠/١ .

(٥٠٥) قال ثعلب في معناه : " إنهم أعفاء . ويوم السباسب : عيدٌ لهم " . المصدر السابق .

Scanned with CamScanner

وقولُ امرأةٍ من كِنانَةَ تَمْدَحُ قريشًا[٥٠٦]:

لولا قريشٌ هلكتْ معَدُّ
* ولَمْ يَزَلْ يوطأُ منّا خَدُّ *

واستلاق مال الأضعف الأشد

والحق أنّ من ينقّب في الشعر العربي عامّة ، وشعر (مجالس ثعلب) خاصّة ، يرى كثيرًا من مدائح الشعراء على مَرّ العصور ، ومن أبرز هذه المدائح التي ظهرت جَلِيّةً في المجالس ، ما يلي :

أ / المدائـــح النبويـــة :

هي تلك التي قيلت في مدح النبي ﷺ وآل بيته الكرام ، وقد ظهرت بوضوح في قِلّة من المختارات الشعرية التي أوردها أبو العباس ثعلب في مجالسه ، والتي تمثّلت في الآتي :

● مقطوعة لكَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ ، قالها في مدح حبيبنا محمد ﷺ ، وتُعدّ من أروع عيون الشعر العربي ، وهي[٥٠٧]:

إنّ الرَّسُولَ لسيفٌ يُستَضَاءُ بِهِ ... مهنّدٌ من سُيوف الله مَسْلُولُ
في صُحْبَةٍ منْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهم ... ببطنِ مكّةَ لمّا أسْلَمُوا زُولُوا
زَالُوا فَمَا زَالَ أنكاسٌ ولا كُشُفٌ ... لَدَى اللِّقَاءِ ولا مِيلٌ مَعَازِيلُ

● ونتفة شعرية قيلت في مدح شخص من آل بيته ، وهو الحسن بن علي ﷺ حين ناحت عليه الجن[٥٠٨]:

مسحَ الرَّسولُ جبينَهُ ... فله بريقٌ في الخدُود
أبَواهُ من عُليا قُرَيْـ ... ـشٍ جدُّهُ خيرُ الجدُود

ب/ المدائـــح السياســـية :

هي تلك التي اتّجه الشعراء فيها إلى مدح الولاة والخلفاء والأمراء ؛ كمدح الكميت لآل البيت ، ومدح ابن الرقيات لآل الزبير ، ومدح أشجع السلمي للخليفة

---

(٥٠٦) وردت المقطوعة وخبرها في المصدر نفسه ٢/٤٤٢-٤٤٣ .
(٥٠٧) سبق ذكرها وتخريجها ؛ ص٧٨.
(٥٠٨) وردت النتفة وخبرها

هارون الرشيد وغيرهم بأسمى الفضائل الحميدة ، والصّفات الحسنة . وقد ظهر شيءٌ من هذه المدائح في مختارات ثعلب الشعرية ، ومن ذلك قولُ عُبيدِ اللهِ بنِ الرّقيّات يَمدحُ مُصْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ[٥٠٩]:

إنّما مُصْعَبٌ شِهابٌ مِنَ اللـ ... ـهِ تَجَلّت عَنْ وَجْهِهِ الظّلماءُ

وقول الكميت يمدح بني أميّة[٥١٠]:

هَلُمَّ إلى أُمَيّةَ إنّ فيها ... شِفاءَ الوَارِياتِ من الغَلِيلِ[٥١١]

وقولُ أشْجَع السُّلَمِي يِمْدَحُ الخليفةَ (هارون الرشيد)[٥١٢]:

قَصرٌ عليه تحيّةٌ وسلامُ ... أَلقَتْ عليه جَمَالَها الأيّامُ[٥١٣]

قَصرٌ سُقُوفُ المُزْنِ دون سُقُوفِه ... فيه لأغلامِ الهُدَى أغلامُ

يُثْنِي عَلَى أيّامِكَ الإسلامُ ... والشّاهِدَانِ الحِلُّ والإحرامُ[٥١٤]

وعلى عدوّك يا ابن عَمّ محمدٍ ... رَصَدَانِ: ضَوْءُ الصُّبْحِ والإظلامُ

فإذا تَنَبّهُ رُعتَهُ وإذَا هُدا ... سَلّتْ عليه سُيوفَكَ الأحلامُ[٥١٥]

وقولُ الفَضْلِ بْنِ العَبّاس اللّهْبِيِّ[٥١٦] يمدح خليفةً[٥١٧]:

هلاّ سألتَ وأنتَ خيرُ خليفةٍ ... عَن حَوزِ غايتِنا وبُعدِ مَدانا

أهلُ النّبوّةِ والخِلافةِ والتُّقَى ... اللهُ أكرَمَنَا بِهِ وحَبانَا

---

(٥٠٩) المصدر السابق ١٧/١ ، الديوان ، تحقيق وشرح : د. عزيزة فوّال بابتي ، دار الجيل - بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ، ص٤٤ .

(٥١٠) مجالس ثعلب ٤٩٢/٢ ، شعره ٦٤/٢ .

(٥١١) الواريات : من الورى : وهو داء يصيب الرجل والبعير في أجوافها . اللسان ٢٠٠/١٥ ، مادة (ورى)

(٥١٢) وردت المقطوعة وخبرها في مجالس ثعلب ٣٧٩/٢ ، وورد البيتان (٤ ، ٦) في ٣٨٠/٢ ، ولم يرد لها خبر في : أشجع السلمي حياته وشِعره ، د. خليل بنيان الحسون ، دار المسيرة ، بيروت ، ص٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٥١٣) رواية عجزه في المصدر السابق :
* نشرت عليه جمالها الأيّام *

(٥١٤) روايته في المصدر نفسه :
أثني على أيّامك الأيّام ... والشّاهدان الحِلّ والإحرامُ

(٥١٥) روايته في المصدر نفسه :
فإذا تنبّه رعتَه وإذا غفا ... سلّت عليه سُيوفك الأحلام

(٥١٦) هو : أبو عتبة ، الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب ، شاعر قريش من فصحاء بني هاشم ، كان يقال له : الأخضر ، ويُسمى اللّهبي نسبة إلى أبي لهب ، وكان شديد السّمرة ؛ لأنّ جدته حبشية ، وأم الفضل آمنة ابنة أبي العباس بن عبد المطلب ، توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة (٩٥هـ) . انظر : معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٣٠٩-٣١٠ ، الأعلام ، للزركلي ١٥٠/٥ .

(٥١٧) مجالس ثعلب ٥٣٢/٢-٥٣٣ .

Scanned with CamScanner

حَوْضُ النَّبِيِّ وحَوْضُنا مِنْ زَمْزَمِ ... ظُلِمَ امْرُؤٌ لَمْ يُرْوِهِ حَوْضُنا

عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنَّنا أَعْيانُهُمْ ... مَنْ قَامَ يَمْدَحُ قَوْمَهُ اسْتَثْنانا

وَلَنَا أَسَامٍ مَا تَلِيقُ بِغَيْرِنَا ... وَمَشَاهِدٌ تَهْتَزُّ حِينَ تَرَانَا

وَيَسُودُ سَيِّدُنَا بِغَيْرِ تَكَلُّفٍ ... هَوْنًا وَيُدْرِكُ تَبْتَلٌ مَوْلانا[٥١٨]

ومن الملاحظ أنّ هناك شعراء جمعوا في إنتاجهم الشعري بين المدح الجماعي والفردي ، كأنْ يمدح قومًا ثم يخصُّ منهم شخصًا بعينه . وهذا الأمر لمسته في مقطوعة للشاعر خارجة بن فليح المكّي[٥١٩] حين جمع بين مدح آل الزبير ، وخصَّ منهم أبا بكر ووالده ، فقال[٥٢٠]:

ما تَدَلَّكَ الشَّمْسُ إلاَّ حَذْوَ مَنْكِبِهِ ... فِي حَوْمَةٍ تَحْتَهَا الْهَامَاتُ والْقَصَرُ[٥٢١]

آلُ الزُّبَيْرِ نُجُومٌ يُسْتَضَاءُ بِهِمْ ... إِذَا دَجَا اللَّيْلُ مِنْ ظَلْمَائِهِ زَهَرُوا[٥٢٢]

قَوْمٌ إِذَا شُومِسُوا لَجَّ الشِّمَاسُ بِهِمْ ... ذَاتَ الْعِنَادِ ، وَإِنْ يَاسَرْتَهُمْ يَسَرُوا[٥٢٣]

خَصَّ الْمَدِيحُ أَبَا بَكْرٍ وَوَالِدَهُ ... وَعَمَّهُمْ مِنْكَ إِنْ غَابُوا وَإِنْ حَضَرُوا

وقد يمدح الشاعر نفسه باستجابته لكُلّ مهمّةٍ يُنَادَى فيها ، فيقول[٥٢٤]:

لَبَّيْكُمَا لَبَّيْكُمَا ... هَا أَنَذَا لَدَيْكُمَا

وهذا هو المدح في مختارات ثعلب الشعرية ، حيث اشتمل على معاني القوة والسيادة والكرم والسخاء ، واحتوى في داخله على مدائح نبوية وسياسية ، وحمل

---

(٥١٨) هتل : مثل تهلل : أشرف وتلألأ . اللسان ٨٣/١٥ ، مادة (هتل) .

(٥١٩) خارجة بن فليح المكّي ، مولى أسلم ، حجازي شاعر مجيد كثير الشعر . الورقة ، لابن جراح (ت ٢٩٦هـ) ، تحقيق : د. عبد الوهاب عزام ، عبد الستار فراج ، دار المعارف ـ مصر ، ط٢ ، ص٧٤ .

(٥٢٠) وردت المقطوعة وخبرها في مجالس ثعلب ٢٣٥/١ـ٢٣٦ .

(٥٢١) دلكت الشمس : زالت عن كبد السماء . اللسان ٢٩٠/٥ ، مادة (دلك) .
حذو : إزاء . المصدر السابق ٦٩/٤ ، مادة (حذا) .
القصر - بالتحريك - : جمع قصرة ، وهي أصل العنق ، وقيل : القصر : أعناق الرجال والابل . المصدر نفسه ١١٧/١٢ ، مادة (قصر) .

(٥٢٢) زهروا : أضاءوا . المصدر نفسه ٦٩/٧ ، مادة (زهر) .

(٥٢٣) الشماس : المعاداة والمعاندة . المصدر نفسه ١٣١/٨ ، مادة (شمس) .

(٥٢٤) مجالس ثعلب ١٢٩/١ .

Scanned with CamScanner

بين ثناياه محورَيْن أساسَيْن ، هما : المدح الفردي والجماعي . وكذلك لمست أنّ الشعراء لم يكن هدفهم من المدح التكسب وبغية العطاء ، بل كان هدفهم يَكمُن في موهبة التعبير عن إعجابهم الصادق تجاه ما يرون من مواقف تدفعهم إلى قول ذلك المديح .

ولا شكّ في أنّ عنصر المبالغة الذي ظهر في بعض النماذج الشعرية الآنفة الذكر وغيرها من أشعار المديح الواردة في (مجالس ثعلب) ، بل في الشعر العربي عامّة ، يُعدّ المعول التعبيري الذي يقوم عليه هذا الفنّ .

الفخـــر :

يماثل هذا الغرض المدح في كونه قائمًا على الإشادة بفضائل الذات أو الجماعة ، والتغني بالأمجاد .

ويُعدّ غرض الفخر من أغراض الشعر العربي الغنائي ، الملتصق بشخصية الشاعر ؛ وذلك لأنه يُعبّر عن مظهر من مظاهر إعجاب الشّاعر بنفسه أو بقومه ، فيتحدّث بما لديهم من الشّجاعة والبطولة وحصافة الرّأي والفصاحة والبلاغة .... وغيرها من الصّفات الحميدة .

والنّفس الإنسانيّة مفطورة على حُبّ الظّهور والنّزوع إلى التفوّق والاقتدار ، وهذا الفنّ لم يحتلّ مكانة واسعة في مرويّات ثعلب الشّعرية[٥٢٥] .

هذا ، ويبدو أنّ شعر الفخر كأنّه دفاع عن النّفس بصورة عامّة ، فالإنسان حين يشعر بأنّ ظلمًا وقع عليه أو على من يودّه ، تتملّكه حينئذٍ رغبة جامحة في دفع ذلك الظلم ، وقد يكون هذا الدفاع بعدّة وسائل :

*الفخر الفردي *الفخر الجماعي *الحماسة التي تشحذ الهمم وتثير النفوس

أولاً : الفخر الفردي (الذاتي) :

يقتصر فيه الشاعر على مدح نفسه ، فيركّز على بعض القيم الأخلاقية

---

(٥٢٥) انظر مرويات الفخر في (المصدر السابق) : ١/٧ ، ٩ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٦٦ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٧٣ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣٤٣/٢ ، ٣٤٤ ، ٣٦٧ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٨١ ، ٤٢٣ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٦ ، ٤٧١ ، ٤٨٧ ، ٤٩٨ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٤٤ ، ٥٦٧ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ .

Scanned with CamScanner

الأصيلة التي تُعدّ أعمدةً يتكئ عليها أغلب الشعراء في فخرهم بأنفسهم ، وقبيلته كحفظ الجار ، والعزة ، والأنفة ، والشجاعة ، والصبر على حوادث الدهر ، ومكارم الأخلاق ، وغير ذلك .. وعلى الشاعر أن يكون صادقًا متجردًا عن مظاهر الكذب والزيف ، ويمثّل الحقائق الواقعة أصدق تمثيل . ومن الدرر الشعرية التي استخرجت من كنوز الشعراء ، ما يلي : قال الأقرع يفتخر بصبره وقدرته على تحمل حوادث الدّهر وملمّاته[٥٢٦]:

يا حَاجَةً ما الَّتي قامَتْ تُوَدِّعُني ... وقَدْ تَرَفَّرَقَ ماءُ العَيْنِ أو سَمَحا
تَقُولُ إذْ أيْقَنَتْ مِنِّي بِمَعْصِيَةٍ ... لَقَدْ عَرَضْتُ عليكِ النُّصْحَ لو نَفَعا
أَلَمْ تَرَيْ أنَّ دَهْرًا قد تَغَيَّرَ بي ... فَلَمْ تَرَيْ فَرَحًا مِنِّي ولا جَزَعا
فإنْ هَلَكْتُ وَرَيْبُ الدَّهْرِ مُتْلِفَةٌ ... فَلَمْ أَكُنْ عَاجِزًا نِكْسًا ولا وَرِعا[٥٢٧]

وقال برذعُ بنُ عَدِيٍّ الأَوْسِيّ[٥٢٨] يفتخرُ بِخِصالِهِ الحميدة[٥٢٩]:

نعمْ أبيهَا لا تقولُ خليلتي ... ألا إنَّه قدْ خانَني اليومَ برذعُ
واحفظُ جاري أنْ أخالطَ عرسَهُ ... ومَولايَ بالنُّكراءِ لا أتطلَّعُ
وأبذلُ ما لي دُونَ عرضي إنَّه ... على اليُسرِ والإعدامِ عرضي ممنَّعُ
وإنِّي بحمدِ اللهِ لا ثَوبَ عاجزٍ ... لبستُ ولا من خزيةٍ أتقنَّعُ

وقال الشاعرُ يَفْتَخِرُ بِعِزّتِهِ وأنفته[٥٣٠]:

وإنِّي لَمِكْرَامٌ لِمُكْرِمِ نَفْسِهِ ... وأَبْتَذِلُ المَرْءَ الَّذي لا يَصُونُها
متى ما تَهِنْ نَفْسِي عَلَى مَنْ أوَدُّه ... أَهِنْهُ وَلا يُكْرِمْ عَلَيَّ مُهِينُها

وقال الشاعرُ يفتخرُ بشجاعته[٥٣١]:

فَمَا زَالَ سَوْطِي في قِرَابِي ومِحْجَنِي ... وما زِلْتُ مِنْهُ فِي عَرُوضٍ أَذُودُها[٥٣٢]

---

(٥٢٦) المصدر نفسه ٢٥٥/١ ، وورد البيت الأول في ، ص٥٥ ، ووردت الأبيات (١ ، ٢ ، ٣) في ، ٥٩ .
(٥٢٧) الورع - بالتحريك - : الهيوب الجبان . اللسان ١٩٤/١٥ ، مادة (ورع) .
(٥٢٨) هو : برذع بن زيد بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر الأنصاري الأوسي ، شهد أحدا أو ما بعدها ، وهو ابن أخي قتادة ، وهو شاعر ، قال ابن ماكولا : بأن برذع متأخر الإسلام . انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير ٢٠٨/١ .
(٥٢٩) مجالس ثعلب ٢١٠/١ .
(٥٣٠) المصدر السابق ١٨٩/١ .
(٥٣١) المصدر نفسه ٣١٤/١ .
(٥٣٢) قِرابي : جمع قِرْب ، ويقال : قراب السيف : أي غمده . اللسان ٥٥/١٢ ، مادة (قرب) .

Scanned with CamScanner

وقال الشاعر يفتخر بنفسه[٥٣٣]:

وإني إذا ما المَوْتُ لم يكُ دُونَهُ ... قِدَى الشِّبْرِ أحمِي الأنفَ أن أتأخرا[٥٣٤]

ثانيًا : الفخر الجماعي :

يركِّز فيه الشاعر على الفخر بأحساب قومه وأنسابهم العريقة وبعزتهم ومنعتهم ، وكذلك الفخر بشجاعتهم ، وقدرتهم على مجابهة الصعاب ... وغيرها من تلك المحامد والمحاسن .

ومن الشواهد الشعرية التي رواها أبو العباس ثعلب لبعض الشّعراء ، أمثال : سَلامَةَ بنِ جَنْدَل[٥٣٥]، وزَفَر الكِلابِيّ[٥٣٦]، وغيرهما ، ما يلي : قال سَلامَةُ بْنُ جَنْدَل[٥٣٧]:

مِنَّا نَحُلُّ إذَا هَبَّتْ شَآمِيَةٌ ... بِكُلِّ وَادٍ حَطِيبِ البَطْنِ مَجْدُوبِ[٥٣٨]

شِيبِ المَبَارِكِ مَذْرُوسٍ مَدَافِعُهُ ... هَابِي المَرَاغِ قَلِيلِ الوَدْقِ مَوْظُوبِ[٥٣٩]

المحجن : من حجن العُود يحجنه حجنًا ، وحَجَّنه : عطفه ، والحَجن : اعوجاج الشيء . المصدر السابق ٤٧/٤ ، مادة (حجن) .

العروض من الإبل : التي لم تُرَض ، وقال شمر في هذا البيت : أي في ناحية أداريه وفي اعتراض . المصدر نفسه ١٠٤/١٠ ، مادة (عرض) . وقال ثعلب في معناه : " ضربته بالأمس فكأنه تأدّب فكفاني أنْ أضربَه اليوم " . المجالس ٣١٤/١ .

(٥٣٣) المصدر السابق ٩٢٧/١ .

(٥٣٤) قدى : يقال : قدى رُمْح - بكسر القاف - : أي قدره . اللسان ٤٦/١٢ ، مادة (قدا) .

(٥٣٥) هو : سلامة بن جندل ، شاعر جاهلي قديم ، وهو من فرسان تميم المعدودين ، ويُعدّ من أشهر وصّافي الخيل ، وعدّه ابن سلام في الطبقة السابعة من فحول الجاهليين . انظر : طبقات فحول الشعراء ، ٥٥/١ ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ٢٧٢/١ ، ٢٧٣ ، المؤتلف والمختلف ، للآمدي ، ص٤٢ .

(٥٣٦) هو : أبو الهذيل ، زفر بن الحارث بن عمرو بن معاذ أو معان ، بن يزيد بن عمرو الكلابي ، كان كبير قيس في زمانه ، وفي الطبقة الأولى من التابعين ، من أهل الجزيرة ، وكان من الأمراء ، سمع عائشة ومعاوية ، سكن البصرة ، وشهد وقعة صفين مع معاوية ، وشهد مرج راهط مع الضحاك بن قيس ، فلما قُتل الضحاك هرب إلى قرقيسا ، ولم يزل متحصّنًا بها حتى مات في بضع وسبعين . انظر : المؤتلف والمختلف للآمدي ، ص١٢٩ ، الخزانة ، للبغدادي ١٣٧٢/٢ .

(٥٣٧) مجالس ثعلب ٢٢٨/١-٢٢٩ ، وورد عجز البيت الأخير في ٢٣٠/١ ، الديوان ، د. فخر الدين قباوة ، المكتبة العربية ، حلب ، ط١ ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م ، ص١١٩-١٣٢ .

(٥٣٨) شآمية : تأتي من نحو الشمال . اللسان ٧/٨ ، مادة (شأم) ، مجالس ثعلب ٢٢٨/١ .
حطيب البطن : كثير الحطب . اللسان ١٥٤/٤ ، مادة (حطب) .
مجدوب : من الجَدْب ، أي : المَحْل ، نقيض الخصب . المصدر السابق ٨٧/٣ ، مادة (جدب) .
وقال ثعلب في معناه : " يعني لا شيء فيه إلا الحطب ، أي : نقيم على دار الحفاظ إذا أجدب فنزل ، ونصبر على الجدب حتى يأتي المطر ، ويكون مجدوبًا مذمومًا ومعيبًا " . المجالس ٢٢٨/١-٢٢٩ .

(٥٣٩) المبارك : جمع مبرك ، وهو موضع بروك الإبل . اللسان ٨٧/٢ ، مادة (برك) .
أشار المحقق إلى أنّ الشاعر أراد به الوادي كله . حاشية مجالس ثعلب ٢٢٩/١ .

Scanned with CamScanner

يُقَلِّلُ مَحْبِسَيْهَا أَنْ تُرَتِّعَهَا ... ولو تَعَادَى بِبُكْءٍ كُلُّ مَحْسُوبِ(٥٤٠)
حَتَّى تَرُكْنَا وَمَا تُثْنَى ظَعَائِنُنَا ... يَأْخُذْنَ بَيْنَ سُمُوكِ الخَطِّ فَالُوبِ(٥٤١)

وقال زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الكِلابِيُّ(٥٤٢):

وقد يُنْبِتُ المَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى ... وتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَا(٥٤٣)
ولَمْ تَرَ مِنِّي نَبْوَةً قَبْلَ هَذِهِ ... فَرَارِي وتَرْكِي صَاحِبِيَّ وَرَائِيَا(٥٤٤)
أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِنْ أَسَأْتُهُ ... بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحُسْنَ بَلائِيَا

المدافع : المجاري والمسايل . اللسان ٥/٢٧٤ ، مادة (دفع) . وقال ثعلب في معناها : " مدافع الماء إلى الأودية ، وهي بطون الأودية ، وفيها يبقى الكلأ " . المجالس ١/٢٢٩ .

هابي المراغ : يقال : هابي التراب ، أي : صار ترابها هابيًا . اللسان ١٥/١٧ ، مادة (هبا) . وقال ثعلب : " وهابي المراغ : يرتفع ترابه " . المجالس ١/٢٢٩ .

الودق : المطر ، شديدة وهينة . اللسان ١٥/١٨٢ ، مادة (ودق) . وقال ثعلب : " قليل الودق : لم يصبه مطر " . المجالس ١/٢٢٩ .

موظوب : من وظب ، ويقال : رجل موظوب : إذا تداولت ماله النوائب . اللسان ١٥/٢٣٩ ، مادة (وظب) .

(٥٤٠) تعادى : يقال : تعادى القوم على نصرهم ، أي : توالوا وتتابعوا . المصدر السابق ١٠/٧١ . مادة (عدا) .

البكء : يقال : بكأت الناقة والشاة تبكأ بكأ : وهي ناقة بكئ إذا قلّ لبنها . المصدر نفسه ٢/١٣٠ ، مادة (بكأ) .

وقال ثعلب : " قوله : يقال : محبسها أدنى لمرتعها ، أي : محبسها على الجدب أدنى لأن ترتع ؛ لأنها إذا حالفت قومًا ذلّت ، ولم يرعوها إلا ما أرادوا . ولو تعادى ببكء : أي : لو ذهبت ألبانها كلها " . المجالس ١/٢٢٩ .

(٥٤١) الخط : موضع بالبحرين مشرف على البحر . اللسان ٥/١٠١-١٠٢ ، مادة (خطط) .
اللوب : جمع لابة ، وهي الحَرة ، الأرض ذات الحجارة السود . المصدر السابق ١٣/٢٤٨ ، مادة (لوب)

وقال ثعلب في معناه : " أي حتى تركنا أعزاء تذهب ظعائننا حيث شاءت لا تُمنع " . المجالس ١/٢٢٩

(٥٤٢) المصدر السابق ٢/٣٦٧ ، الديوان ، ضمن مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد (٣٣) ، ذو القعدة ١٤٠٧هـ - ربيع الأول ١٤٠٨هـ ، السنة الحادية عشرة - تموز ، كانون الأول ١٩٨٧م ، ص٢٥٩ .

(٥٤٣) رواية صدره في المصدر السابق :
* فقد ينبت المرعى على دمن الثرى *
الدمن : ما ينبت من الكلأ الذي يرى له خضارة وهو وبيء المرعى ، منتن الأصل ، وقيل : هو الموضع الذي يلتبد فيه السرقين ، وكذلك ما اختلط من البعر والطين عند الحوض . اللسان ٥/٣٠٤ ، مادة (دمن) .
الحزاز : الوجع . المصدر السابق ٤/١٠٥ ، مادة (حزز) .

(٥٤٤) رواية صدره في الديوان :
* فلم ترضَ مني نبوة قبل هذه *

Scanned with CamScanner

وقال الشاعر[٥١٥]:

[illegible]	من رؤس فيفا ، أو يروس صماد[٥١٦]
لمعتصم من ثم وقع سيوفنا	ضربا بكل مهند جعد[٥١٧]
وأنه لا يرعى قبيل بطنا	خضر الرمادة آمنا برشاد

وقال الشاعر[٥١٨]:

إذا لم تذد ألبانها عن فحولها	مريئا لهم منها بأسنافنا دم

وقال الشاعر[٥١٩]:

فكفى بنا فضلاً على من غيرنا	حب النبي محمد إيانا

وإذا نظر القارئ في الإنتاج الشعري الوارد في (مجالس ثعلب) لفن الفخر ، وجد من الشعراء من جمع بين الفخر بمناقبه ومناقب قومه ، ومنهم من افتخر بقومه ، وإن هذه الأمثلة محبوسة من أجل ضيوفه ، ثم ذكر أنه وقومه يتصفون بالسيادة والحلم ، فإذا أوردوا إليهم فإنهم لا يتهالكون على سرعة شربها ، وقد اتضح ذلك في قوله[٥٢٠]:

[illegible]	فيها معاد وفي إنائها كرم[٥٢١]
[illegible]	فلا تلوموا لما تأتي به الضرم[٥٢٢]
[illegible]	لم يكتف الضيف مني حين جئتها[٥٢٣]

---

(٥١٥) مجالس ثعلب ٢ /٤٩٢ .

(٥١٦) فيفا : موضع ، وقيل : الصحراء الملساء . اللسان ١١ /٢٥٢ ، مادة (فيف) . صماد : صلد من غلظ الجبل وتواضع وانضمان وبعد فيه من الشجر . المصدر السابق ٣ /٢٥١ ، مادة (صمد) .

(٥١٧) جعد : جيد جعد ، ويقال : سيف جعد : أي صارم . المصدر نفسه ٣ /١٥٢ ، مادة (جعد) .

(٥١٨) مجالس ثعلب ٢ /٥١٤ .

(٥١٩) مجالس ثعلب ٢ /٥٤٣ .

(٥٢٠) المصدر السابق ٢ /٥٥٢ ، ٥٥٣ .

(٥٢١) الهيمة : الخمرة من الإبل . اللسان ١٥ /٣٣٩ ، مادة (هيم) .

الصفة : بالضم الدكان المتخذ من الطين . الكثيرة : الجن . والشد الحطبة : لم يكن إلا مالبس وهبت معلقة ضم لهب شررات والنار بذرء ضيفها عن كثرة نسلها . المصدر السابق ٤ /٥٠١ ، مادة (صفا) .

[illegible] : بضم الصاد وفتح الراء المشددة : الخمر . وقيل : هي من العشرين إلى الخمسين . وقيل : هي التي تعتق سبع سنين . اللسان ٤ /٤٤٠ ، مادة (صرر) .

(٥٢٢) الضرم : بفتح الضاد وسكون الراء : الجوع الشديد . المصدر نفسه ٦ /١٥٤ ، مادة (ضرم) .

Scanned with CamScanner

لا يَتَمَنَّ السَّيْفُ عِنْدَ الْحَقِّ أَسْرَتَها ... ولا يبيتُ على أعتاقِها الوَدَعُ
تَسْلَفُ الْجَارَ شُرْبًا وَهْيَ حَائِمَةٌ ... والماءُ لَزِنٌ بكُمِّ العَيْنِ مُلْتَقِعُ
ولا تُسَقَّهُ عِنْدَ الوِرْدِ عَطْشَتُها ... أحلامُنا ، وشَرِيبُ السُّوءِ يَسْطَرِعُ
في كُلِّ نَثٍّ أَقَادَ الجِمْدَ نُقْحِمُهَا ... ما يُشْتَرَى الجِمْدُ إِلَّا دونَهُ قُحَمُ[٥٥٧]

ولم يقف الأمر عند ذلك فحسب ، بل اشترك هذا الفنّ مع غرض الهجاء في قصيدة رواها أبو العباس في مجالسه للشاعر الذي يقول[٥٥٨]:

لا تزجُرِ الفتيانَ عَنْ سُوءِ الرَّعَهْ[٥٥٩] ... يا ربِّ هَيِّجْا هِيَ خَيْرٌ من دَعَهْ
في كلِّ يومٍ هامتي مُقَزَّعَهْ[٥٦٠] ... قانعةٌ ولَمْ تَكُنْ مُقَنَّعَهْ[٥٦١]
نحنُ بنو أمِّ البنينَ الأربعَهْ[٥٦٢] ... نَحْنُ خِيَارُ عامرِ بن صَعْصَعَهْ
العاطِمُونَ الجِفْنَةَ المُدَعْدَعَهْ[٥٦٣] ... والضَّارِبِينَ الْهَامَ تَحْتَ الخَيْضَعَهْ[٥٦٤]

يا واهبَ المالِ الجزيلِ مِنْ سَعَهْ ... إِلَيْكَ جاوَزْنَا بِلاداً مَسْبَعَهْ
إذا الفَلاةُ أوحَشَتْ في المَعْمَعَهْ ... يُخْبِرُكَ عَنْ هَذَا خَبِيرٌ فَاسْمَعَهْ
مهلاً أبيتَ اللَّعْنَ لا تأكُلْ مَعَهْ ... إِنَّ اسْتَهُ من بَرَصٍ ملمَّعَهْ[٥٦٥]
وإنَّه يُدْخِلُ فيها إصْبَعَهْ ... يُدْخِلُها حتى تُوارِي أَشْجَعَهْ[٥٦٦]

---

(٥٥٧) قال ثعلب : " يقول : لا يحلف ألا يذبح منها لأحد " . المجالس ٢٥٧/١ .
(٥٥٨) التسليف في البيت الإقراض . ويرى المحقق أنه من السلفة - بالضمّ - ، وهي اللهنة يتعجلها الرجل قبل الغداء ، ويقال : سلف القوم تسليفا وسلف لهم . اللسان ٢٣٣/٧-٢٣٥ ، مادة (سلف) .
حائمة : عطشى كما أشار المحقق . حاشية مجالس ثعلب ٢٥٧/١ . اللزن : الضيق الذي لا ينال إلا بعد مشقة . اللسان ١٩٥/١٣ ، مادة (لزن) .
بكوت العين : قلّ ماؤها . المصدر السابق ١٣٠/٢ ، مادة (بكا) .
(٥٥٩) الشريب : سبق تفسيرها في هذا المبحث من هذا الفصل ، ص٥٠ .
(٥٥٧) النث : نشر الحديث . اللسان ١٨٧/١٤ ، مادة (نثث) .
(٥٥٨) انظر بقية الرجز في مجالس ثعلب ٣٨١/٢-٣٨٢ .
(٥٥٩) الرّعه : حالة الأحمق التي رضَى بها . المصدر السابق ٣٨١/٢ .
(٥٦٠) مقزّعة : الرقيق الناصية . اللسان ٩٦/١٢ ، مادة (قزع) .
وقال ثعلب في معناه : " أنا أقاتِل في كلّ يوم وأقاتل " . المجالس ٣٨١/٢ .
(٥٦١) قانعة : ذات قناع ، أي المغطي رأسه . اللسان ٢٠٣/١٢ ، مادة (قنع) .
(٥٦٢) سبق ذكره والتوجيه النحوي له في مجالس ثعلب ٣٧٤/٢-٣٧٥ .
(٥٦٣) المدعدعه : المملوءة . المصدر السابق ٣٨١/٢ ، اللسان ٢٦٣/٥ ، مادة (دعع) .
(٥٦٤) الخيضعة : أصوات الحرب . مجالس ثعلب ٣٨١/٢ .
(٥٦٥) ملمّعة : فيها لمع من سواد وبياض وحمرة . اللسان ٢٣٤/١٣ ، مادة (لمع) .
(٥٦٦) أشجعه : من الأشاجع ، وهي : رؤوس الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف . المصدر السابق

Scanned with CamScanner

وقيما يطلب شيئا أطعمه .

ثالثًا : الحماسة :

لها محلّ واسع في الشعر العربي عامّة ، بينما لم تكن لها تلك المكانة في شعر (مجالس ثعلب) خاصّة ، والحماسة تُعدّ من أصدق الأشعار وأقواها وأشدّها أثرًا في النفوس وأهيجها ؛ لأنّ غالب الشعراء من الفرسان الذين خاضوا غمرات القتال وعلّمت الكلوم أبدانهم ، " ولا نشطط إذا قلنا إنّ الحماسة أهم موضوع استنفذ قصائدهم ، فقد سعّرتهم الحروب ، وأمدّها شعراؤهم بوقود جزل من التغني ببطولتهم ، وأنهم لا يرهبون الموت ، فهم يتراموں عليه تحت ظلال السيوف والرماح ، مدافعين عن شرف قبائلهم وحماها . ويرتفع هذا الغناء ، بل قُلْ هذا الصياح في كلّ مكان ، بحيث يُخيّل إلينا أنّه لم يكن هناك صوت سواه .... ونحسّ في هذه الحماسة أثر الموجدة الشديدة والحقد البالغ على خصومهم ، فهم دائمًا يتعرضون لهم ، يهدّدونهم ويتوعّدونهم انتقامًا مروّعًا ، وكان أشدّ ما يهيجهم أن يُقتل منهم قتيل ، فحينئذٍ تهيج القبيلة ويهيج شعراؤها هياجًا لا حدّ له ، فإذا ثارت لنفسها وشفت غلّها وحقدها ، أخذ شعراؤها ينشدون أناشيد النصر "[٥٦٧] .

إذًا ، فهذه الحماسة تشحذ الهمَم وتُهيّج النفوس وتثيرها ، وهي متصلة بفنّ الفخر ، " وقد اتّفق مؤرخو الأدب أن يجعلوا الفخر والحماسة بابًا واحدًا ؛ لما بينهما من الاتصال الوثيق ؛ لأن الحماسة ما هي إلا فخر الفارس ببطولته وذكر وقائعه ... إلخ . فلا يمكن أن يفصل الفخر عن الحماسة ؛ لأنهما وُجِدا توأمَيْن متلازمَيْن "[٥٦٨] . وقارئ المجالس يقف على بعض الشواهد الشعرية التي تتدفق كالبركان الثائر حماسةً وانتفاضًا وتفاخرًا ، وغير ذلك من المشاعر والأحاسيس التي تجتمع في ذات صاحبها لتخلق فيه شعورًا قويًّا ضدّ أعدائه .

ومن الشواهد الشعرية التي رواها أبو العباس ثعلب لبعض الشعراء في الحماسة ، أمثال : عَبْدِ العَزِيزِ الأَزْوَرِيّ[٥٦٩] وابْنِ الإِطْنَابَةِ وغيرهما ، ما يلي :

٢٧/٨ ، مادة (شجع) .

(٥٦٧) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ، د. شوقي ضيف ، ص٢٠٢-٢٠٣ .

(٥٦٨) أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، حياتهم ، آثارهم ، نقد آثارهم ، د. بطرس البستاني ، طبعة جديدة منقحة ، مشروحة ، مفهرسة ، دار مارون عبود ، ١٩٧٩م ، ص٤٦ .

(٥٦٩) لم أعثر على ترجمة له فيما بين يديّ من المصادر والمراجع ، سوى أنه أخو ضرار بن الأزور ، وضرار صحابي ، فارس وشاعر مخضرم ، وهو الذي قتل مالك بن نويرة بأمر من خالد بن الوليد ، قتل يوم اليمامة ، ومات سنة (١١هـ) . انظر : الأغاني ، للأصفهاني ٢٠/١٣ .

Scanned with CamScanner

قال عبدُ العزيزِ الأزوَري[٥٧٠]:

تَقولُ جَميلةُ فَرَّقتَنا
تَرَكتَ القِداحَ وعَزفَ القِيانِ
وكَرَّ المحبِّرِ في غَمرَةٍ
فيا ربِّ لا أُغيِّبَنَّ بَيعَتي

وقالَ ابنُ الإطنابةِ[٥٧٣]:

أبَتْ لي عِفَّتي وأبَى بَلائي
وإعطائي عَلَى الإعدامِ مالي
وقَولي كُلَّما جَشَأَتْ وجاشَتْ
لأُدفَعَ عَنْ مآثِرَ صالِحات

وقالَ الشّاعر[٥٧٤]:

فَلَمّا التَقَى الحيَّانِ واشتَجَرَ القَنَا
تَبَيَّنَ لي أنَّ القَماءَةَ ذِلَّةٌ

وقالَ الشّاعر[٥٧٦]:

وصرّحتَ أهلك شتّى شلالا[٥٧١]
والخمرَ تصليةً وابتهالا
وشدّي على المشركين القتالا[٥٧٢]
فقد بعتُ أهلي ومالي بدالا

وأخذي الحمدَ بالثّمنِ الرّبيحِ
وإقدامي عَلَى البَطَلِ المُشيحِ
مكانكِ تُحمَدي أو تستريحي
وأحمي بَعدُ عَن أنفٍ صَحيحِ

نَزالاً وأسيابُ المنايا نَزالُها
وأنَّ أعِزّاءَ الرِّجالِ طِوالُها[٥٧٥]

---

(٥٧٠) مجالس ثعلب ٤٢٣/٢ ، شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام ، د. وفاء السنيوني، ص٤٠٦-٤٠٧ ، مع خلاف في الترتيب والرواية ، وورد منسوباً للشاعر ضرار الأزوري .
قال ثعلب معقبًا : " هذا رجل هرب عن أخيه ، وجعله ابن أمّه ؛ لأنه أخصّ من ابن الأب " . المجالس ٤٥٩/٢ .

(٥٧١) روايته في شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام :
وقالت جميلة بدّرتنا وطرّحت أهلك شتى شلالا
الشّلال - بالكسر - : القوم المتفرقون . اللسان ١٢٤/٨ ، مادة (شلل) .

(٥٧٢) روايته في شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام :
* جعلتُ القِداح وعزفَ القِيان *
المُحبّر : فرس ضرار بن الأزور الأسدي . اللسان ١٣/٤ ، مادة (حبر) .

(٥٧٣) روايته في شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام :وكري المحبر في غمرة عنر المشركين أريدُ القتالا وردت المقطوعة وخبرها في مجالس ثعلب ٦٦/١-٦٧ .

(٥٧٤) المصدر السابق ٣٤٣/٢-٣٤٤ .

(٥٧٥) القماءة : الذل والصغر والاحتقار . اللسان ١٨٥/١٢ ، مادة (قما) .

(٥٧٦) مجالس ثعلب ٢١٨/١ .

Scanned with CamScanner

فما أسلموها عنوة عن مودّةٍ ولكن بحدّ المرهفات استقالها[٥٧٧]

وقال الآخر[٥٧٨]:

لقينا بهم أطفالهم وكهولهم عليهم سرابيلُ الحديدِ المُسرَّدِ[٥٧٩]

ومن خلال النظر في ما سبق ، يمكن القول : إنّ أبا العبّاس تناول العديد من الشواهد الشعرية التي تحمل نبرة القوّة والفخامة المعبّرة عن الفخر والحماسة بصدقٍ وصراحة .

ولا شكّ أنّ في هذه الشواهد نوعًا من الإسراف والمبالغة ، إلا أنّ ذلك لم يطغَ على كلّ الشواهد الواردة في هذا الفنّ .

الرثـــاء :

" هو البكاء على الميت ، وتعداد مناقبه ، وإظهار التفجّع على فراقه "[٥٨٠].

فهو من ألصق الفنون الشعرية بالنفس الإنسانية ؛ لأنه يعبّر عن تجربة الحزن والأسى واللّوعة والألم الّتي تنتاب الإنسان حين يفقد قريبًا له أو عزيزًا لديه .

ويُعدّ هذا الفن من الموضوعات التي لم تَنَلْ مكانة واسعة في مرويّات ثعلب الشعرية ، والذي رواه لا يكاد يمثّل إلاّ النزر اليسير من الشعر العربي[٥٨١].

وقد يعبّر الشّاعر في (مجالس ثعلب) عن الخسارة الفادحة التي نزلت به وبغيره ممّن كان الفقيد ملاذًا لهم ، فهاهو المُهَلْهِلُ بْنُ رَبِيعَةَ يرثي أخاه كُلَيبًا الذي قُتِل غدرًا في حربِ البسوس ، فيقول[٥٨٢]:

أودَى الخيارُ من المعاشرِ كلّهم واستَبَّ بعدَكَ يا كُلَيبُ المَجلسُ

---

(٥٧٧) العنوة : المودة ، وفسّر البيت بمعنى التسليم والطاعة بلا قتال . اللسان ٣١٤/١٠ ، مادة (عنا) . وقال ثعلب : " أخذه عنوة : طاعة وعن غير طاعة " . المجالس ٢١٨/١١ .

(٥٧٨) المصدر السابق ١٦٦/١ .

(٥٧٩) المُسرَّد : من السّرد : الحلق . اللسان ١٦٦/٧ ، مادة (سرد) .

(٥٨٠) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، للسيد أحمد الهاشمي ٢٦/٢ .

(٥٨١) انظر مرويات الرثاء في (مجالس ثعلب) : ٣٨/١ ، ٨٨ ، ٩٥ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٥ ، ١٥٧ ، ٢٠١ ، ٢١٨-٢١٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧-٢٤٨ ، ٢٦٤ ، ٣٤٤/٢ ، ٣٦١ ، ٤٢١ ، ٤٣٩ ، ٤٦٢ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٦١ ، ٥٧٤ ، ٥٨١ ، ٥٨٤-٥٨٥ .

(٥٨٢) انظر بقية الأبيات في : المصدر السابق ٥٨٤/٢-٥٨٥ ، وورد عجز البيت الأول في ٣٧/١ ، ووردت الأبيات (١ ، ٢ ، ٥ ، ٦) في : الديوان ، إعداد وتقديم : طلال حرب ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م : ص٤٤ .

Scanned with CamScanner

ومنهم من يصوّر حالته عند سماعه نعي إنسان قريب إليه ، فيعبر عن ذلك المشاعر الصادقة التي تعتمر عادة في داخله من الحرقة والألم ، فيتعرض لمحاسن خصاله الحميدة ، وهذا ما رأيته عند الشاعر قطن بن نهشل في رثاء أخيه جندب ، إذ قال (٥٨٣) :

وقال الشاعر (٥٨٤) :

بكتْ عيني وحقّ لها بكاها ... وما يُغْنِي البُكَاءُ ولا العويلُ

---

(٥٨٢) مجالس ثعلب ٢١٨/١-٢١٩ .

(٥٨٣) تضعضع : من الضعضعة : الخضوع والتذلل . اللسان ٤٤/٩ ، مادة (ضعع) .

(٥٨٤) أضلع : أفعل من الضلع ، وهو بالتحريك : الاعوجاج خلقة يكون في المشي من الميل ، ومنه قولك : (لأقيمن ضلعك) . المصدر السابق ٥٥/٩ ، مادة (ضلع) .

(٥٨٥) النجوى : الجماعة يتناجون ويتبارون . المصدر نفسه ٢٠٦/١٤ ، مادة (نجا) .

(٥٨٦) مجالس ثعلب ٣٤٤/٢ .

(٥٨٧) المصدر السابق ٨٨/١ .

Scanned with CamScanner

وقد حفل الشعر العربي الوارد في (مجالس ثعلب) باتجاهات من الرثاء ، ظهرت بوادرها منذ فجر الجاهلية ، واستمرت على مرّ العصور حتى العصر العباسي الأول ، وقد عدّت عليها النّدب والنّواح وتعداد فضائل المرثي والإشادة بمناقبه وصفاته الحميدة . وقد تمثلت هذه الاتجاهات في الآتي :

١/ رثاء النفس .

٢/ رثاء الأهل (الأخ - الأبناء) .

٣/ رثاء عامة الناس .

٤/ رثاء الشباب .

وسوف أقف على بعض النماذج الشعرية لهذه الاتجاهات :

أولاً : رثـــاء النّفـــس :

يعدّ أروع ما قيل في فنّ الرثاء ؛ إذ يعبّر عن مرحلة الوداع ، وقد اقتصر فيه أبو العباس على قول الشاعر عروة بن حزام ، حين رثى نفسه قبل موتـــه رثـــاءً رقيقاً صدر عن قريحة متألّمة ذاقت مرارة الألم واللوعة ؛ فهاهو يقول[٥٨٩] :

من كان من أمّهاتي باكيًا أبدًا ... فاليـــوم إنّي أراني اليوم مقبوضا[٥٩٠]

يسمعنيه فإنّي غيرُ سامعه ... إذا عـــلوتُ رقاب القوم مغروضا

ثانيـــاً : رثـــاء الأهـــل :

حين يفقد الشّعراءُ عزيزًا لديهم من أهليهم ، فإنّ ذلك ينعكس مباشـــرةً علـــى مشاعرهم ، فتجدها جياشة ملؤها الأسى والحسرة واللوعة لفراقهم ، وقد انطلقـــت بهـــا ألـــسنتهم فـــي أبيـــات شـــعرية رائعـــة .

- وهذا ما سأتي عليه في الصفحات الآتية - ومن خلال النظر في مختارات ثعلب الشعرية ، اتّضح أنّ شجرة هذا الاتجاه من الرثاء تمثلت في عدّة فروع ، هي :

أ / رثـــاء الأخ :

الأخ هو سند أخيه وعونه على الأعداء ، ونصيره في كلّ الملمّات ، والفجيعة فيـــه إلى جانب أنها مصابٌ جللٌ في شقيق عزيز على النّفس ، تهدّ ركنًا أصيلاً وســـندًا مكينًـــا

---

(٥٨٩) وردت المثلثة وخبرها في المصدر نفسه ٢٤٣/١ ، ولم يرد لها خبر في الديوان ، ص٣٦ ، ٣٩ .

(٥٩٠) رواية صدره في المصدر السابق :

* من كان من أخواتي باكيًا *

Scanned with CamScanner

يُستند إليه في كلّ الحوادث والخطوب . وقد حظي هذا الفرع باهتمام أبي العلاء ، حيث روى العديد من الشواهد الشعرية فيه ، ومن ذلك ، ما يلي :

قال النابغةُ الذُّبيانيُّ يرثي أخًا له من أمّه[٥٩١] :

لا يَهْنِئُ النّاسَ ما يزعمون من كَلَإٍ ... وما يَمُنُّون من أهلٍ ومالِ
بعدَ ابنِ عاتكةَ الثّاوي على أبَوي ... أضحى بِلَدْدةَ لا عَمٌّ ولا خالُ
سهلُ الخليقةِ مشّاءٌ بأفدحِه ... إلى ذُرى المَجْدِ حمّالُ الثّقالِ
حسبُ الخليلين نأيُ الأرضِ بينهما ... هذا عليها وهذا تحتها بالِ

وقال كَعْبُ بْنُ سَعْدٍ الغَنَوِيّ[٥٩٢] في رثاء أخيه[٥٩٣] :

ألا مَن لقبرٍ لا يزالُ يَهُجُّه ... شمالٌ ومسيافُ العشيّ جَنُوبُ[٥٩٤]
به هرمٌ يا لَهْفَ نفسي مَن لها ... إذا حدثتْ للنائباتِ خُطُوبُ
تقولُ سُلَيمى : ما لجسمكَ شاحبًا ... كأنّكَ يَحْميكَ الشَّرابَ طبيبُ

ب/ رثاء الأبناء :

الابن سند أبيه ، فهو قطعة منه ، وفلذّة كبده ، ومهجة فؤاده ، وعضده اليمين ، والركن الذي يتكئ عليه حين تمرّ به الخطوب والشدائد ، وبفقده تسودّ الدنيا أمام ناظريه ، وتندكّ الأرض من تحت قدميه ، وتتّقد في داخله لوعة الألم وحرقة الفراق . وقد استطاع الشاعر أن يعبّر عن هذه الفجيعة بتلك الزفرات والآهات التي انطلق بها لسانه مصوّرًا معاناته في أبيات شعرية رائعة .

وبالنظر في مختارات ثعلب الشعرية ، اتّضح محدوديّة هذا الجانب من الرثاء ، ومن هذه المختارات التي رواها ثعلب في مجالسه ، ما يلي : قال الشاعرُ يرثي

---

(٥٩١) المصدر نفسه ١١٤/١ ، الديوان ، ص٢١٠-٢١١ .

(٥٩٢) هو : كعب بن سعد بن عمرو الغنوي ، من بني غني ، شاعر مخضرم ، ويعدّ شعره من النقي الحر الذي يستشهد به أهل اللغة ، وكان له أخ يدعى (المغوار) ، قُتِل في حرب ذي قار ، ورثاه كعب بقصيدة تُعدّ من أشهر مراثي العرب ، وعدّه ابن سلام من طبقة المراثي . انظر : طبقات فحول الشعراء ٢١٢/١-٢١٣ ، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، لأبي زيد القرشي (ت ٢٣٠ هـ) ، حققه وضبطه وزاد في شرحه : علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر - القاهرة ، من سلسلة ذخائر التراث الأدبي ، ط١ ، ١٩٢/٢ .

(٥٩٣) مجالس ثعلب ١١٥/١ .

(٥٩٤) يهجه : يهدمه . اللسان ٢١/١٥ ، مادة (هجج) .
مسياف : يقال : ريح مسياف ، أي : تقطع كالسيف . المصدر السابق ٣١٩/٧ ، مادة (سيف) .

أبناءه[٥٩٥]:

سقى الله فتيانا ورائي تركتهم ... بحاضر قنّسرين من سهل القطر[٥٩٦]
ثووا لا يريدون الرّواح وغالهم ... من الموت أسبابٌ جرين على قدر[٥٩٧]
يذكّرنيهم كلّ خيرٍ رأيته ... وشرٌ ، فما أنفكّ منهم على ذكر[٥٩٨]

وقال أبو حبّال في رثاء ابنه (حبال)[٥٩٩]:

فلو لا حبالٌ لم تُنخ بي مطيّتي ... بأرضٍ بها الحمّى ببرْدٍ وصَالب
وقائلة أزداك ، والله ، حبُّهُ ... بنفسي حبالٌ من خليلٍ وصاحب

ثالثاً : رثاء عامّة النّاس :

قد يرثي الشاعر غيره من الأشخاص الذين يمثلون الطبقة العادية من المجتمع ، فيسكب عليهم ما تجود به نفسه من مشاعر جيّاشة وعواطف صادقة تمسّ شغاف القلب . وقد أكثر أبو العباس ثعلب في مختاراته الشعرية من هذا الاتجاه في الرثاء . ومن النماذج الشعرية التي قيلت فيه ، ما يلي :

قال الشاعرُ يرثي شَخصًا يكنّى بأبي مِسْحَل[٦٠٠]:

إذا ما المنايا قاسمتْ يا ابن مِسْحَلٍ ... أخًا واحدٍ لم يُغْطَ نِصفًا قسيمُها[٦٠١]
وأبى بلا قَسْمٍ وآبتْ بِقَسْمِهِ ... إلى قَسْمِها ، لاقتْ قسيمًا يَضيمُها[٦٠٢]

وقال الشاعرُ يرثي آخر[٦٠٣]:

---

(٥٩٥) المصدر السابق ٢٠١/١ .
(٥٩٦) قنّسرين - بكسر أوّله وتشديد النون المفتوحة أو المكسورة - : كورة بالشام . اللسان ٢٠٠/١٢ ، مادة (قنسر) .
(٥٩٧) ثووا : من ثوى : أي أقام في قبره . المصدر السابق ٥٧/٣ ، مادة (ثوا) .
(٥٩٨) الذِّكر - بالضمّ والكسر - : التذكر ، وقال الفراء : الذكر مكسور الذال : ما ذكرته بلسانك وأظهرته ، والذكر مضموم الذّال : بالقلب . المصدر نفسه ٣٦/٦ ، مادة (ذكر) .
(٥٩٩) وردت النتفة وخبرها في مجالس ثعلب ٩٥/١ .
الصالب : يقال : الصالب من الحمى : أي الحارة غير النافض ، تذكّر وتؤنث ، ويقال : أخذته الحمى بصالب ، وأخذته حمى صالب ، والأول أفصح ، ولا يكادون يضيفون . اللسان ٢٦٦/٨ ، مادة (صلب) .
(٦٠٠) مجالس ثعلب ٥٦١/٢ .
(٦٠١) قال ثعلب في معناه : " إذا أخذت المنايا أخا رجل لم يكن له سواه ، لم يعدِلْ هذا الميت ، وقد أخذته وصار في حيّزها ، ولم يعدلني ذلك الأخ في المصيبة بهذا الميت ؛ لفضل هذا الميت على أخيه " . المصدر السابق .
(٦٠٢) قال في معناه : " والمنيّة في مقاسمتها بيني وبينه ظالمة لي . دعا على المنية ، فقال : " لاقتْ قسيمًا يضيمُها " أي يغلبُها " . المصدر نفسه .
(٦٠٣) المصدر نفسه ٤٦٢/٢ .

Scanned with CamScanner

الكثير من الدّرر الشعرية لهذا الفنّ باعتباره موضوعا مستقلا
الـدّرر الـشعرية التـي نثرهـا أبـو العبـاس ثعلب في مجالسه
ما قاله النابغة الجعدي من جيّد الشعر وبليغه ، المتمثّل في بيتين من الحكمة
، وقد قال الرسول ﷺ لما سمعهما : لا فضّ الله فاك ، وبالفعل بقي المتضمنة
طيلة عمره لم تنفض له سنّ ، والبيتان هما[٦١١] :

ولا خَيرَ في حِلمٍ إذا لم يكنْ لهُ بَوادِرُ تحمي صفوَهُ أن يكدّرا
ولا خَيرَ في جَهلٍ إذا لم يكن له حَليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصدرا

ومن روائع الحكمة المتضمّنة للعديد من المعاني اللطيفة المبنية على
الملاحظة والتجربة الصادقة ، وتدلّ على ثقافة الشاعر واحترام العقل والأخذ
بأحكامه ، ما يلي : قال عُرْوَةُ بْنُ أُذَيْنَةَ[٦١٢] :

لقد علمتْ وما الإشراف مِنْ خلقي أنّ الذي هو رِزقي سوفَ يأتيني[٦١٣]
أسعى له فيعنّيني تطلّبُهُ ولو قعدتُ أتاني لا يُعَنّيني[٦١٤]

وقال مَاجِدُ الأَسَدِيّ[٦١٥] :

وللدّهرِ ألوانٌ فكُنْ في ثيابِهِ كَلَبْستِهِ يوماً أجَدَّ وأخلَقا
فكُنْ أكيَسَ الكَيْسَى إذَا كُنْتَ فيهِم وإنْ كُنتَ في الحمقَى فكُنْ أنتَ أحمقا
ولا تسأمَنْ جَوْبَ البِلادِ مَعَ الدُّجا فإنّك ..... أخرقا[٦١٦]

---

(٦١١) وردت النتفة وخبرها في مجالس ثعلب ٥٩٥/٢ ، ولم يرد لها خبر في شعره ، ص٧٣ .

(٦١٢) وردت النتفة وخبرها في مجالس ثعلب ٤٣٣/٢ ، ٤٣٤ ، ولم يرد لها خبر في شعره ، تحقيق : يحيى الجبوري ، دار القلم ، الكويت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص٣٨٥-٣٨٦ .
هو : أبو عامر بن يحيى بن الحارث بن مالك بن يعمر ، شاعر حاذق ناسك ، عالم فقيه محدث ، وفد على هشام بن عبد الملك ، أمر له بجوائز ، وتوفي عام (١٣٠هـ) . انظر : الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ٥٧٩/٢-٥٨٠ ، المؤتلف والمختلف ، للآمدي ، ص٦٩ ، الأعلام ، للزركلي ٢٢٧/٤ .

(٦١٣) رواية عجزه في الديوان :* لقد علمت وما الإسراف مِن خُلقي *

الإشراف : الحرص . اللسان ٦٢/٨ ، مادة (شرف) .

(٦١٤) رواية عجزه في الديوان :* لو جلست أتاني لا يعنيني *

(٦١٥) مجالس ثعلب ٤٣٤/٢ ، شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام ، د. وفاء السمدوني ، ص٦٣١ . لم أعثر على ترجمة له فيما بين يديّ من المصادر والمراجع .

(٦١٦) ورد هكذا في مجالس ثعلب ٤٣٤/٢ .

Scanned with CamScanner

وقال الشاعر[٦١٧]:

ولا خير فيمن ليس يومن فجعة ... ولا يستفيم الدهر فينا خلائقه
وإن نبتت ذكرى فلا خير عندهُ ... وإن شئت فاجعلهُ خليلاً تصادقه
ومن قرن السوء ليس بواجد ... له راحةً ما عشت حتى تفارقه

وقال الشاعر[٦١٨]:

ترى الرجل الضعيف فتزدريه ... وفي أثوابه أسدٌ مزير[٦١٩]
ويعجبك الطرير فتبتليه ... فيخلف ظنك الرجل الطرير[٦٢٠]

وقال الشاعر[٦٢١]:

إذا عاش الفتى مائتين عامًا ... فقد ذهب اللذاذة والفتاءُ

وقد يخالط الحكمة شيءٌ من النصح والإرشاد ، وهذا ما رأيته عند الشاعر (بشّار بن بُرْد) الذي ضمّن الحكمة عنده شيئًا من النصح بأخذ الأمر بالمشورة وبالحزم وبالعزم والمضيّ فيه ، وهو من جيد الشعر وأبلغه وأقصده ، ويدلّ على ثقافة الشاعر ، فهاهو يقول[٦٢٢]:

إذا بلغ الرأيُ المشورةَ فاستعنْ ... برأي نصيحٍ أو مشُورةِ حازم
ولا تجعل الشورى عليكَ غضاضةً ... مكانُ الخوافي نافعٌ للقوادم

وقال الشاعرُ[٦٢٣]:

يا أيُّها المتحلِّي غيرَ شيمتهِ ... ومَنْ خليقتُهُ الإفراطُ والملَقُ[٦٢٤]
عليك بالقصدِ فيما أنتَ قائلُه ... إنّ التخلُّقَ يأتي دونه الخلُقُ
ولا يُواتيكَ فيما نابَ من حدَثٍ ... إلاّ أخو ثقةٍ فانظُرْ بمَنْ تثقُ
يا جُمَلُ إنْ يَبْلَ سربالُ الشَّباب فما ... يَبْقى جَديدٌ على الدُّنيا ولا خَلَقُ[٦٢٥]

---

(٦١٧) المصدر السابق ٥٤٦/٢ .
(٦١٨) المصدر نفسه ١٣٤/١ .
(٦١٩) مزير : الشديد القلب القويّ النافذ . اللسان ٦٥/١٤ ، مادة (مزر) .
(٦٢٠) الطرير : ذو الطرة والهيئة الحسنة والجمال ، وقيل : هو المستقبل من الشباب . المصدر السابق ١٠٢/٩ ، مادة (طرر) .
(٦٢١) المصدر السابق ٢٧٥/١ .
(٦٢٢) المصدر نفسه ٤٦٦/٢١-٤٦٧ .
(٦٢٣) المصدر نفسه ٢٤٨/١-٢٤٩ .
(٦٢٤) الملق : الود واللطف الشديد . اللسان ١٢٤/١٤ ، مادة (ملق) .
(٦٢٥) سربال : القميص والدّرع . المصدر السابق ١٦٢/٧ ، مادة (سربل) .

Scanned with CamScanner

وإنّما النّاسُ والدُّنيا على سَفَرٍ ... فناظرٌ آجلاً منهم ومُنطلقِ

ومن الشعراء من يتّجه في نفسه وأفكاره إلى الله ، ويؤمن بأن الله وحده لا يشرك به أحد ، فهو يعلم أنّ كل ما في الدنيا هالك إلا وجهه ، وكل امرئ صائر إلى يوم الحساب ، إمّا إلى جنّة أو نار ، وأنّ الموت باب هو داخلُهُ لا محالة ، مهما طال الزمن أو قَصُر ، ومن الشواهدُ الشعرية الدالّة على ذلك ، ما يلي :

قال الشاعر[٦٢٦]:

* وما أحدٌ إلا إلى الله راجعُ *

وقال الشاعر[٦٢٧]:

أرى علل الدُّنيا عليّ كثيرةً ... وصاحبُها حتى يموتَ عليلُ

وقال الشاعر[٦٢٨]:

تلبّث من الموت الذي هو واقعٌ ... وللمَوْتِ بابٌ أنتَ لابدَّ داخلُه

وقال الشاعر[٦٢٩]:

في كلّ بلوى تصيبُ المرءَ عافيةٌ ... إلا البلاءَ الذي يُدْنِي من النّارِ

ذاكَ البلاءُ الذي ما فيه عافيةٌ ... من العذاب ولا سَتْرٌ من العارِ

هذا ، وقد تلعب الحكمة دورًا هامًا في تشكيل النسيج التعبيري ، وذلك في قلّة من موضوعات الشعر العربي التي تناولها ثعلب ضمن مختاراته الشعرية ، فوقفت على الحكمة مثلاً في سياق شعر الافتخار ، وذلك عندما روى أبو العباس قصيدة للشاعر مالك بن عامر ، ومنها هذه النتفة التي اتّضحت فيها الحكمة[٦٣٠]:

كأنّ الفتى لم يعشْ ليلةً ... إذا صار رمسًا على صَوْأرِ

وأطولُ عمر الفتى فتنةٌ ... فأطولُ بعُمْرِكِ أو أقصرِ[٦٣١]

---

(٦٢٦) مجالس ثعلب ١٩١/١ .
(٦٢٧) المصدر السابق ٤٤٣/١ .
(٦٢٨) المصدر نفسه ٢٨٩/١ .
(٦٢٩) المصدر نفسه ٢٠٩/١-٢١٠ .
(٦٣٠) انظر بقية الأبيات في المصدر نفسه ١٥١/١-١٥٣ .
(٦٣١) علق ثعلب بعده بقوله : " أي : وإن قلّ النّاس وما أطول عمره وما أقصره ، فمصيره إلى الموت

وكذلك وقفتُ على الحكمة في سياق الرثاء ، وقد اتضح ذلك في قول النابغة الذبياني ، حين عبّر عن ريب الزمان والمنون في قوله[٦٣٢]:

حسبَ الخليلين نأيَ الأرض بينهما ... هذا عليها وهذا تحتها باني

ثانيًا : الزهد : " هو ذلك الفنّ الذي يعبر فيه الشاعر عن قناعته والاكتفاء بحاجته والرضى بما لديه من القليل ، والانصراف عن ملذات الدنيا وشهواتها ، ونهي النفس عن زينة الحياة وفتنتها ..

ولقد كان للإسلام أثرٌ واضحٌ في رواج هذا الفن ؛ وذلك لأنّ الدين الإسلامي يحثُّ على الورع والزهد والقناعة والبساطة في كُلِّ شيء "[٦٣٣].

وقد تناول أبو العباس ثعلب في مجالسه العديد من أروع آيات شعر الزهد ، ومن الروائع الشعرية التي تمتاز بالسهولة والسلاسة والعبارة الليّنة والنبرة الهادئة ، ما يلي :

قال رجلٌ من طَيْءٍ في الوَعْظِ[٦٣٤]:

لَعَلَّ مَنِيَّتِي ... يَلِيَّي إلى أعرافِها قد تدلت

أجِزْها فقد طالَ الثواءُ وملّت ... فقد تملأ السفينة خالد

مَعاناً ولا الأجبالُ معا تمنّت ... جزها فما كانت لها قارةُ الحمى

بظُلْمٍ فلَمْ أصْبِرْ عليه فقرّت ... وما طوحت بي قلّةٌ عنْ عشيرة

وأيهاتَ عن أوطانها حوثُ حلّت ... تحنُّ إلى الفردوسِ والشّيرُ دونَها

وقال آخرُ مُناجيًا نَفْسه ، مخاطبًا قَلْبَه[٦٣٥]:

خيرٌ لنفسك أمْ ما فيه تأخيرُ ... تأتي أمورٌ فلا تدري أعاجِلُها

فبينما العُسْرُ إذْ دارتْ مياسيرُ ... فاستقدرِ اللهَ خيرًا وارضينَّ به

إذْ صار في الرَّمْسِ تعفُوهُ الأعاصيرُ ... وبينما المرءُ في الأحياءِ مغتبطًا

وذو قرابَته في الحيِّ مَسْرُورُ ... يبكي عليه غريبٌ ليس يعرفه

والدهر أيّما حالٍ دهاريرُ[٦٣٦] ... حتى إذا لم يكن إلاّ تذكّرُه

---

(١٣٢) سبق ذكر البيت وتخريجه ضمن مقطوعة في المبحث الأول من هذا الفصل ، ص٢٠ .

(١٣٣) موسوعة أروع ما قيل في الشعر العربي ، إعداد : يحيى شامي ، دار الفكر العربي - بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٣م ، ٨/١ .

(١٣٤) مجالس ثعلب ٥٦٦/٢ .

(١٣٥) وردت المقطوعة وخبرها في المصدر السابق ٢٢٠/١-٢٢١ .

(١٣٦) الدهاريز : أول الدهر في الزمن الماضي . اللسان ٣١٤/٥ ، مادة (دهر) .

Scanned with CamScanner

وقد يجمع الشاعرُ فنَّ الشكْوَى مَعَ الافتخارِ بالنفس ، وذلك في قوله[٦٦٤]:

وَدَّ رجـــالٌ مـــن تمـــيمٍ وغيـــرُهم ... من التَّيم لو أخزى ولو اضعضعوا
ومـــا ذاكَ مـــن جُـــرمٍ إليـــهم أتيتُـــه ... ولا حَـــسَدٍ عنّـــي لهـــم يتطلّـــعُ
ولكـــنَّ رزقَ اللهِ عـــبءٌ رأيتُـــه ... ثَقيلاً عَلى من لَيس بالـرزقِ يقنعُ
ولو فقـــدتْ تَـــيْمٌ مَقَـــامي ومَـــشْهَدي ... وخُطَّ لأوصـــالي مـــن الأرض أذرعُ
ونابتْهُمُ إحدى مُلِمَّاتِ دَهْرِهم ... تَمنَّى حَيَاتي من يعقُّ ويَقْطَعُ

ثالثـــاً : النصـــح والإرشـــاد :

قد يُسْدي الشعراء النصائح الرشيدة والمواعظ الهادفة للشباب وعامّة الناس من واقع تجاربهم .. والنماذج الشعرية الواردة في هذا الفن محدودة[٦٦٥] ، ومن هذه النماذج ما يلي :

قال امْرُؤُ القَيْسِ ينصحُ هِندًا[٦٦٦] :

يـــا هنـــدُ لا تَنْكحـــي بُوهـــةً ... عليـــــه عَقيقَتُـــــه أحْـــسبا
مُرِسَّـــعةً بَـــينَ أرْباقِـــه ... بِـــــه عَـــسَمٌ يَبْتَغـــي أرْنَبـــا
لِيَجْعَـــلَ فـــي ســـاقِه كَعْبَهـــا ... حـــــذارَ المَنِيَّـــــةِ أنْ يَغْطَبـــا
ولَـــستُ بِخَزْرافَـــةٍ فـــي القُعـــودِ ... ولَـــــسْتُ بِطَيَّاخَـــــةٍ أخْـــدَبا
ولَســـتُ بِـــذي رَثْيَـــةٍ إمَّـــرٍ ... إذَا قِـــيدَ مُستَـــكْرَهًا أصْـــحَبا

وقال ذُؤَيْبُ بْنُ كَعْبٍ ينصحُ أباه[٦٦٧] :

يا كَعْبُ إنَّ أخَاكَ مُنْحَمِقٌ ... فاشْدُدْ إزَارَ أخِيكَ يا كَعْبُ

ومن الشعراء من ينصح آخر باختيار أرباب النمار من النساء ، فهاهو

الحجاف - بتقديم الحاء المضمومة - : هو أن يقع عليه المشي والقيء من التخمة . المصدر السابق ٤٤/٤ ، مادة (حجف) . إذا ، كلّ من الحجاف والجحاف معناهما واحد .
القبص - بالفتح والتحريك - : وجع يصيب الكبد من أكل التمر على الريق وشرب الماء عليه . المصدر نفسه ١٠/١٢ ، مادة (قبص) ، مجالس ثعلب ١٨٣/١ .
(٦٦٣) القمص - بالكسر والضمّ - : الجماعة المترافقون في السفر . اللسان ١٨٩/١٢ ، مادة (قمص) .
(٦٦٤) مجالس ثعلب ٢١٠/١ .
(٦٦٥) انظر عزوبات النصح والإرشاد في (المصدر السابق) : ٨٢/١ ، ١٠٣ ، ٤١١/٢ ، ٤١٢ .
(٦٦٦) المصدر نفسه ٨٢/١ ، الديوان ، ص١٢٨-١٢٩ .
(٦٦٧) [illegible]

يقول[٦٦٨]:

عليك بأرباب النمار فإنّني ... رأيتُ صميمَ الموتِ في النُّقَبِ الصُّفرِ[٦٦٩]

رابعـًا : الاعتـذار :

" يأتي عادةً لإظهار الندم على فعل حدث ، أوحال وقعت ، ويريد المعتذر أن يبرئ نفسه ؛ لينجوَ من اللوم ، أو يحاول إصلاح الحـال بتفـسير أو شـرح معقول لها ، لكي يرجع الأمور إلى مجراها العادي "[٦٧٠] . ونماذج ثعلب في هذا الفنّ محدودة[٦٧١] ، وما ورد أغلبه مُوجَّه إلى أشخاص معيّنين لهم مكانة عند هؤلاء الشعراء ، ومن هذه النماذج : استشهاده بنتفة شعرية لـم يـنصّ ثعلب على قائلها ، وهي للشاعر (النابغة الذبياني) باعتبار أنّه أوّل من نبغ في فنّ (الاعتذاريات) ، حيث يقول معتذرًا إلى (النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ)[٦٧٢]:

ما إنْ أتيتُ بشيءٍ أنْتَ تكرهُهُ ... إذَنْ فلا رَفَعَتْ سَوْطي إليَّ يدي[٦٧٣]

إذَنْ فعاقبني ربّي مُعاقبةً ... قَرَّتْ بها عينُ مَن يأتيك بالحَسَدِ

وقال الآخر[٦٧٤]:

أعزز عليَّ بأنْ تكونَ عليلا ... وأنْ يكونَ لكَ السّقَـامُ نَزِيلا

هذا أخٌ لكَ يشتكي ما تشتكي ... وكذَا الخَليلُ إذَا أحَبَّ خَلِيـلا

خامسًا : الاستعطـاف :

هو أنْ يَستدرَّ الرَّجلُ عطفَ وشَفَقَةَ الآخر ؛ لكي يتجاوز عنه في أمرٍ ما . وقد أورد أبو العباس ثعلب نزرًا يسيرًا من الشواهد الشعرية الواردة فيه ، والتي تمثلت في الآتي :

---

(٦٦٨) المصدر السابق ١١٨/١ .

(٦٦٩) النمار : " من النُّمرة : الجُبّة القصيرة ، تلبسها الإماء ، فأمره بالإماء وترك الحرائر " . المصدر نفسه .

النقب : جمع نقاب ، وهو القناع يوضع على مارن الأنف . اللسان ٣٣٢/١٤ ، مادة (نقب) .

(٦٧٠) في تاريخ الأدب الجاهلي ، د. علي الجندي ، ص٤٠٥ .

(٦٧١) انظر مرويات الاعتذار في (مجالس ثعلب) ٣٠٢/١ ، ٣٨٨/٢ ، ٥٣٢ .

(٦٧٢) المصدر السابق ٣٠٢/١ ، الديوان ، ص٢٠-٢١ .

(٦٧٣) رواية صدره في المصدر السابق :

• ما إن ندبتُ بشيءٍ مِمّا أتيتُ بهِ •

(٦٧٤) المصدر السابق ٣٣٢/٢ .

قال الشاعر[٦٧٥]:

أرسلني أبا عُمير على أيّـ ـة حالٍ أثاقلٌ أم خفوت[٦٧٦]

وقالَ الآخر[٦٧٧]:

فأحسِنْ وأجمِلْ في أسيرِك إنّهُ ضعيفٌ ولَمْ يأسرْ كأيّاكَ آسرُ

هذا ، وقد يخالط الاستعطاف شيئًا من الهجاء . وقد اتضح ذلك في قول الشاعر[٦٧٨]:

هَلاَّ عطفتَ عَلَى ابنِ أمِّك مَعْبَدٍ والعامريُّ يقوده بصفاد[٦٧٩]

وذكرت من لبنِ المُحلَّقِ شَرْبةً والخيل تعدو بالصَّعيد بَداد[٦٨٠]

هَلاَّ فوارسَ رَحْرحانَ هجوتمُ عُشرًا تَناوحُ في سَرارةِ وادِ[٦٨١]

لا تأكل الإبلُ الغراث نَباتَهُ بَلْ لا يقُومُ عِمادُهُ لِعمادِ

سادسًا : التأنيب :

" يقال أنَّبَ الرَّجُل تأنيبًا : عَنَّفَه ولامَه ووبَّخَه ، وقيل : بكَّته . والتأنيبُ : أشدُّ العَذْل ، وهو التَّوبيخ والتَّثْريب "[٦٨٢] . ولم يروِ أبُو العَبّاسِ ثعلبُ فيه إلاَّ قولَ الشاعرِ[٦٨٣]:

أيا بارِحَ الْجَوْزاءِ مالَكَ لا تَرَى عيالَكَ قَدْ أمْسَوْا مَراميلَ جُوَّعا

---

(٦٧٥) المصدر نفسه ٥٥٢/٢ .

(٦٧٦) الثاقل : الذي أثقله المرض . اللسان ٣٠/٣ ، مادة (ثقل) .
الخفوت : المهزول . المصدر السابق ١٠٩/٥ ، مادة (خفت) .

(٦٧٧) مجالس ثعلب ١٣٣/١ .

(٦٧٨) المصدر السابق ٤٥٩/٢ .
قال ثعلب : " هذا رجل هرب عن أخيه ، وجعله ابن أمّه ؛ لأنّه أخصّ من ابن الأب " . المصدر نفسه ٤٥٩/٢ .

(٦٧٩) صفاد - بالكسر - : جبل أو غل يوثق به . اللسان ٢٤٩/٨ ، مادة (صفد) .

(٦٨٠) المحلق : هو من الإبل الموسوم بحلقة في فخذه أو في أصل أذنه . المصدر السابق ٢٠١/٤ ، مادة (حلق) .
بداد : متبدده ومتفرّقه . المصدر نفسه ٣٤/٢ ، مادة (بدد) .

(٦٨١) عشرًا : أي كالعشر ، وهو شجر له نور مشرق حسن المنظر . المصدر نفسه ١٥٩/١٠ ، مادة (عشر) . وقال ثعلب : " العشر : نبتٌ حسن المنظر مُرّ المذاق " . المجالس ٤٥٩/٢ .
سرارة الوادي : وسطه ، وأفضل موضع منه . اللسان ١٦٨/٧ ، مادة (سرا) .

(٦٨٢) المصدر السابق ١٦٨/١ ، مادة (أنب) .

(٦٨٣) مجالس ثعلب ٤٢٢/٢ .

Scanned with CamScanner

من خلال النظر في مختارات ثعلب الشعرية ، لاحظت أنّ أبا العباس كان يريد أن يلفت نظر القارئ العربي إلى ذلك التراث الأخلاقي ، وما يحمله من مضامين اجتماعية راقية ، وهذه المضامين مُمثّلة في العتاب ، والاعتذار ، والشكوى ، والاستعطاف ، والنصح ، والإرشاد ، والتأنيب . وقد أوردتُ لكُلّ منها العديد من النماذج الشعرية .

هذا ، إلى جانب أنّ هذه المضامين اتّسمت بصدقها وصفائها وبُعدها عن كلّ ما يخدش الدّين والحياء .

الحنيـــن :

هو أمر فُطِرَ عليه البشر جميعًا ، يستوي في ذلك ساكن القصر أو ساكن الكوخ ، فهو يُعدّ من أصدق ما قالته العرب ؛ لِما يفيض من صبابة وحزن ورِقّة .

ويتّصل هذا الفنّ اتّصالاً وثيقًا بالطابع الغالب على الشعر في (مجالس ثعلب) ، فلا شكّ أنّ هناك علاقة وطيدة تجمع بين الفنون الشعرية التي تناولها ثعلب في مجالسه آنفًا ، مثل : وصف الليل ، والغزل ، وتباعد الأحبة ، ومفارقة الأهل والأوطان ... وغير ذلك ، وبين السمة الوجدانية الغالبة والمسيطرة عليها . وقد تبرز ظاهرة الحنين في اشتياق الشاعر إلى أهله وخِلاّنه ، وهذا ما رأيته في قولِ الزّبير[٦٨٤] :

لَيْتَ شِعْري وللّيالي صُرُوفٌ ... هَلْ أُرَى مَرَّةً بَقِيعَ الزُّبَيرِ
ذَاكَ مَغْنًى أَلَذُّهُ وقَطِينٌ ... تَفْرَحُ النفسُ أنْ تَرَاهُمْ بِخَيْرِ

وقول الشاعرِ[٦٨٥] :

ولا وَصْلَ إلاّ أنْ يُقَرِّبَ بَيْنَنا ... قَلائِصُ في آبَاطِهِنَّ سَفَاءُ[٦٨٦]

وأيضًا تبرز في اشتياقه إلى تلك الأماكن التي قضى فيها الشاعر أيّام صباه

---

(٦٨٤) المصدر السابق ٣٦٢/٢ .
هو : عامر بن صالح بن عبد الله بن عروة بن الزبير بن العوام ، ولد في المدينة ، وسكن بغداد ، وهو فقيه عالم بالحديث والأنساب وأيام العرب وأشعارها . انظر : تاريخ بغداد ، للبغدادي ٢٣٤/١٢ ، الأعلام ، للزركلي ٢٥١/٣ .

(٦٨٥) مجالس ثعلب ٨٧/١ .

(٦٨٦) السَّفاء - بالمدّ - : الطيش والخِفّة ، وقيل : انقطاع لبن الناقة . وقال ابن منظور في تفسيره : " أي في عقولهنّ خفّة ، استعارة للبن ، أي فيه خِفّة " . اللسان ٢٠٤/٧-٢٠٦ ، مادة (سفا) . وقال ثعلب : " سفه : وهو الخفّة والسرعة " . المجالس ٨٧/١ .

Scanned with CamScanner

وشطرًا من شبابه ، فالشوق إليها يكون شديدًا ، فهاهو يزيد بن الطثرية يقف على آثار ديار محبوبته ، والتي بَعُدَ عهده بها ، فيقول[٦٨٧]:

ألا حيِّيَا الأطْلالَ والمُتَطَنِّبَا ... ومَرْبِطَ أفلاءٍ وخَيْمًا مُنَصَّبَا
وأشْعَثَ مَهْدُومَ السُّرَاةِ كأنَّهُ ... هِلالٌ تَوَفَّى عِدَّةَ الشَّهْرِ أحْسَبَا
ألا لا أرى عَصْرَ المُتَيِّفَةِ راجِعًا ... ولا كَلَيَالِينَا بِتَغْشَارَ مَطْلَبَا
ولا الحبَّ إلاَّ قَاتِلي حِينَ أخْلَقَتْ ... قُوَاهَا وأضْحَى الحَبْلُ مِنْهَا تَلَصَّبَا
ويَومَ قِرَاضِ الوَشْمِ أذْرَيْتُ عَبْرَةً ... كما ضَيَّعَ السِّلْكُ الجُمَانَ المُثَقَّبَا

وهذا آخرُ يحنّ إلى نجد ، فيتذكّر أيّامه الحلوة ، وماضيه السعيد ، ويحمل عليها تارة علّه ينساها ، أو يُسلّي نفسه بأنها لا تصلح مُقامًا له ، إلاّ أنه يرجع ويؤكد بأنه لا يوجد مكان يحتضنه سواها ، فها هو يقول[٦٨٨]:

ذَرَانِي مِنْ نَجْدٍ فَإنَّ سَنِينَهُ ... لَعِبْنَ بِنَا شِيبًا وشَيَّبْنَنَا مُرْدَا
سَقَى اللهُ نَجْدًا كَيْفَ يَتْرُكُ ذَا الغِنَى ... فَقِيرًا وجِلْدَ القَوْمِ تَحْسَبُهُ عَبْدَا

وكذلك قال الشاعرُ في حنينه إلى الكُنَاسَة[٦٨٩]:

ألا لَيْتَ شَوقًا بالكُنَاسَةِ لَمْ يَكُنْ ... إلَيها لحاجِ المسلمين طَرِيقُ

ويمكن القول جملة : إنّ أهم ما يُميِّز مختارات ثعلب الشعرية في موضوع الحنين هو ذلك النبع المتدفق من المشاعر والأحاسيس الإنسانية بكُلِّ ما فيها من شوقٍ وألم والتياع .

التحسّر :

" هو التَّلَهُّفُ ، والحسرَةُ : أشدّ الندم ، حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب الذي لا منفعة فيه "[٦٩٠] . ويحمل هذا الموضوع الكثير من اللّوعة والحرقة التي يكتوي بها فؤاد الشاعر ، ويُعدّ من أقلّ الموضوعات التي تناولها أبو العباس ثعلب في مختاراته الشعرية ، حيث اقتصر على قول الشاعر الذي يتحسّرُ على ضياع أيّامه

---

(٦٨٧) سبق ذِكرها وتخريجها وشرح مفرداتها في المبحث الأول من هذا الفصل ، ص٧٤-٧٥ .
(٦٨٨) مجالس ثعلب ١/١٤٧-١٤٨ ، وورد البيت الأول في ١/٢٦٦ .
(٦٨٩) المصدر السابق ٢/٤٣٠ .
(٦٩٠) اللسان ، لابن منظور ٤/١١٦ ، مادة (حسر) .

Scanned with CamScanner

وشبابه[٦٩١]:

فليت غدا يكون غرار شهر ... وليت اليوم أيامًا طوالا[٦٩٢]

إذًا ، على الرغم من قلّة ما ورد في هذا الموضوع من نماذج شعرية ، إلا أنّ ذلك لم يمنع من القول : إن أبا العباس كان يحمل في جُعبته فيضًا من المشاعر والأحاسيس الجيّاشة ، التي انعكست بوضوح في اختياره لشعر هذا الفنّ .

الخلاصة العامة للأغراض الشعرية :

وفي نهاية المطاف ، يمكن القول جملة : إنّ أبا العباس قدّم نماذج كثيفة جدًا من شعر الوصف الذي احتوى على الكثير من الألفاظ اللغوية الغريبة والحوشية العويصة ، التي تحتاج إلى معاجم وقواميس لفكّ طلاسمها وتفسير مضامينها ، وهذا الغرض يُعتبر من أكثر الأغراض الشعرية التي حازت على اهتمام ثعلب وعنايته ؛ لتلاؤمه مع مقصده التعليمي ، وأيضًا تناول شعر الغزل بكلّ ما فيه من رقّة وعذوبة .

هذا ، وقد قدّم نماذج وفيرة من شعر القيم الأخلاقية والشيم المثالية من خلال موضوعات الفخر ، والرثاء ، والحكمة ، والزهد ، والإخوانيات .. وذلك بالإضافة إلى تأكيد هذه القيم من خلال نماذج الشعر في بعض الموضوعات التقليدية ، كالمدح ، والهجاء .

وفي كُلّ ذلك حاول ثعلب أن يؤكّد على محورَيْن يخدمان الهدف الأساسي لـ(مجالس ثعلب) ، وهذان المحوران ، هما :

المحور الأول : تثقيف طلابه وتعليمهم الأخلاق السامية البعيدة كل البعد عن آثار الفُحش والإسفاف وجميع المظاهر المخلّة بالأخلاق السليمة .

المحور الثاني : حرصه الدؤوب على السموّ بالذوق الفني لناشئة الشعر .

ولا شكّ في أنّ ما سبق أعطى الكتاب الآنف الذِّكر قيمةً عظيمةً ومَنْزِلة سامية على مَرّ العصور .

---

(٦٩١) مجالس ثعلب ١٩٦/١ .

(٦٩٢) قال ثعلب في معناه : " غرار شهر : مثل شهر " . المصدر السابق .

Scanned with CamScanner

وشبّابه[١٩١]:

قليـــت غـــدًا يكـــونُ غـــرار شـــهرٍ ولَيـــتَ اليـــومَ أيّامـــا طـــوالا[١٩٢]

إذًا ، على الرغم من قِلّة ما ورد في هذا الموضوع من نماذج شـعرية ، إلا أنّ ذلك لم يمنع من القول : إن أبا العباس كان يحمل في جُعبته فيضًا مـن المـشاعر والأحاسيس الجيّاشة ، التي انعكست بوضوح في اختياره لشعر هذا الفنّ .

الخلاصة العامة للأغراض الشعرية :

وفي نهاية المطاف ، يمكن القول جملة : إنّ أبا العباس قدّم نماذج كثيفـة جدًا من شعر الوصف الذي احتوى على الكثير من الألفـاظ اللغويـة الغريبـة والحوشية العويصة ، التي تحتاج إلى معاجم وقواميس لفكّ طلاسـمها وتفـسير مضامينها ، وهذا الغرض يُعتبر من أكثر الأغراض الشعرية التي حازت علـى اهتمام ثعلب وعنايته ؛ لتلاؤمه مع مقصده التعليمي ، وأيضًا تناول شعر الغزل بكلّ ما فيه من رقّة وعذوبة .

هذا ، وقد قدّم نماذج وفيرة من شعر القيم الأخلاقية والشيم المثالية من خلال موضوعات الفخر ، والرثاء ، والحكمة ، والزهد ، والإخوانيات .. وذلك بالإضافة إلى تأكيد هذه القيم من خلال نماذج الشعر في بعـض الموضـوعات التقليديـة ، كالمدح ، والهجاء .

وفي كُلِّ ذلك حاول ثعلب أن يؤكّد على محورَيْن يخدمان الهـدف الأساسـي لِـ(مجالس ثعلب) ، وهذان المحوران ، هما :

المحور الأول : تثقيف طلابه وتعليمهم الأخلاق السامية البعيدة كل البعد عن آثار الفُحش والإسفاف وجميع المظاهر المخلّة بالأخلاق السليمة .

المحور الثاني : حرصه الدؤوب على السموّ بالذوق الفني لناشئة الشعر .

ولا شكّ في أنّ ما سبق أعطى الكتاب الآنف الذِّكر قيمةً عظيمةً ومَنْزِلة ساميةً على مَرّ العصور .

---

(١٩١) مجالس ثعلب ١٩٦/١ .

(١٩٢) قال ثعلب في معناه : " غرار شهر : مثل شهر " . المصدر السابق .

Scanned with CamScanner

الخاتمة

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :

حوَت الصفحات السابقة ما قمت بدراسته حول جانب مضيء من الجوانب الرائعة في كتاب (مجالس ثعلب) ، ألا وهو جانب الشعر من حيث أغراضه وموضوعاته.

ويُعدّ هذا الكتاب – كما ذكرت آنفًا – شاملاً لموضوعات حيوية جديرة بالقراءة والتأمل والنظر ؛ لِمَا يحتويه من طرح وأفكار مضيئة تسعى لغايات سامية وعملٍ واعٍ جدير بالاهتمام .

هذا ، وقد تناثرت بين سطوره العديد من الشذرات الذهبية ، سواء كانت هذه الشذرات مادة أدبية تشمل (الشعر والنثر) ، أو دينية أو لغوية أو نحوية أو تاريخية . فهذه المجالس جمعت لنا أشتاتًا من الحكَم والفوائد استخرجها ثعلب من كتب التراث ، وقام بنظمها في عقد جميل يشدّ انتباه القارئ إليها . وقد انصبّت دراستي في هذا البحث المتواضع على جانب الشعر الذي يُعدّ أحد شقّي المادة الأدبية وركيزة من ركائزه .

وقد تبرز معالم الدراسة من خلال جانبين :

أولاً : النتائج :

فإنّ لأيّ بحث نتائج ، ومن أبرز هذه النتائج التي انتهيتُ إليها ، ما يلي :

- تطرّق ثعلب من خلال مختاراته الشعرية إلى معظم موضوعات الشعر العربي ، كالوصف ، والغزل ، والهجاء ، والمدح ، والفخر ، والرثاء ، والحكمة ، والزهد ، والإخوانيات ... إلخ . وقد أثبتُ أنّ ثعلب أكثرَ من غرض الوصف ، قياسًا بباقي الأغراض الأخرى ؛ وذلك لِتَلاؤُم هذا الغرض مع شخصيته العلمية ، وخاصة اللغوية .
- اتّضح أنّ أكثر البحور التي اعتمد عليها ثعلب في مختاراته الشعرية هي من البحور التقليدية القديمة ، كالرجز ، والطويل ، والبسيط ، والكامل ، وغيرها .. ومما هو جدير بالذِّكر أنّ استعماله للبحور القصيرة كان

Scanned with CamScanner

محدودًا إذا ما قيس بالبدور التامّة التي اعتمد عليها بصورة واضحة ولافتة للنظر . وهذا الأمر يثبت أنّ ثعلبَ متمسّك بالقديم باعتباره المصدر الأصيل ، والسجلّ التاريخي الأمين لأيّ شخصٍ كان .

- اتسمت لغة الشعر في (مجالس ثعلب) بعدّة سمات ، وهي : الجزالة ، والعذوبة ، والابتذال ، والغرابة ، ومن خلال ذلك تبيّن ميل ثعلب في أكثر الشواهد الشعرية إلى الإكثار من استعمال اللفظ الغريب الحوشي الذي ينفر منه الطبعُ ويمجّه الذوق . وهذا الأمر لا يعني عدم اكتراثه ببقية السمات ؛ إذ إنّ كلّ سِمة منها أخذت حيزًا من مروياته الشعرية ، غير أنّ هذه السّمة كانت متوائمة مع مذهبه اللغوي بصورة واضحة .

وما سبق يُعدّ عرضًا موجزًا لأهم ما اشتمل عليه البحث من نقاط ، وما كشف عنه من نتائج .

وبعد الإبحار في أعماق الشعر الوارد في (مجالس ثعلب) ، والسعي الحثيث في البحث بين سطوره ، يَتَنَحَّى قلم البحث ؛ لا لأنّ الحبر جفّ ونفذ ، والجسم ضَعُف ووهن ؛ بل لأنّ البحث المُتَّبع حسب الخطّة له حدّ .

ثانيًا : التوصيات :

إلى جانب النتائج المتقدّمة ألقى الشعر في (مجالس ثعلب) ثماره بشكل توصيات تُمكّن طلاب العلم من الأخذ بأهدابها للوصول بدراسات مماثلة ، تُوسَم بالابتكار والجدّة والأصالة ، ومنها :

- (جماليات الأداء الفني في شعر مجالس ثعلب) :

تُعدّ الصورة الفنية من أهمّ الركائز التي يقوم عليها النص الشعري ، وقد تحفل بالكثير من المشاعر الملتهبة والعواطف المتدفقة التي تحمل بين ثناياها دلالات جمالية ومضات إيحائية تحتاج إلى باحث يغوص في أعماقها ويستخرج ما فيها من درر فنية ، وأسرار دفينة ، ومن هذه الدّرر والأسرار : (الألوان البلاغية) وسواها .

قبل أن أختم – ولا ختام في علم – أُقدّم اعتذاري في ما سلف من البحث عن أيّ خطأ – إن وقع – ، وما يلحقه من سهوِ البشر ؛ فالإنسان مجبولٌ على النقص ، وأنّى له الكمال والتمام ؛ لأنّ الكمال لله سبحانه وتعالى . فإن حالفني التوفيق ، فهذا

Scanned with CamScanner

الفهـــــارس
- فهرس الشواهد
- فهرس المصاد
- فهرس الموض

بفضل الله وعونه ، وإنْ تعثّرتُ في بعض المواطن ، فحسبي أنّي لم أقصد إلى خطأ أو تحريف ؛ وإنما إلى البحث والسعي في خدمة كتب التراث بتواضع وإخلاص .

والله تعالى أسأل أن يتقبّل هذا العمل ، وينفع به ، إنّه جوادٌ كريم ، وولي الحمد ، وواهب الخير ، وهو أجلُّ مأمول ، وأكرم مسؤول ، وما توفيقي إلا بالله العلي القدير ..

ياسمين دخيل اللهيبي

Scanned with CamScanner

الفهـــــارس

- فهرس الشواهد الشعرية .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

Scanned with CamScanner

فهـرس الشواهـد الشعـرية

أولاً : فهرس الأبيات(*) :

القافية	القائل	البحر	الصفحة
الفتاءُ	ـــــ	الوافر	٩٩
سقاءُ	ـــــ	الطويل	١٠٩
الظلماءُ	عبيد الله بن الرقيات	الخفيف	٨٢
سفهاؤُها	ـــــ	الكامل	٦٨
خفاءِ	ـــــ	المتقارب	٤٤
صمّاءِ	ـــــ	البسيط	١٩
الكُرَماءِ	ـــــ	الخفيف	٧٨
للندى	ـــــ	الكامل	٤٠
أهذابا	أبو زبيد الطائي	البسيط	٣٨
تُرابَا	قيس بن ذريح	الوافر	٥٧
أحسَبا	امرؤ القيس	المتقارب	-١٠٥ ١٠٦،١٩
مَنصبَا	يزيد بن الطثرية	الطويل	٦١- ٦٢،١٠٩
المنيّبا	جرير	الطويل	٦٨
واجبُ	عوف الهجيمي	الطويل	٧٥
كعبُ	ذؤيب بن كعب	السريع	١٠٦
تذوبُ	ـــــ	الطويل	٦٠

Scanned with CamScanner

القافية	القائل	البحر	الصفحة
ذَنوبُ	علقمة الفحل	الطويل	٧٨
جَنوبُ	كعب الغنوي	الطويل	٩٤
جَنوبُ	---	الطويل	٥٦
نَصيبُ	---	الطويل	١٠١
القَضيبُ	---	الوافر	٩٦
(*) غُرابُهُ	---	الكامل	٦٣
وَرائب	الكروّس الهجيمي	الطويل	٧٥
رَائب	---	الطويل	٣٦
القُرْب	أحمد بن ميّة	الطويل	٦٣
السَّبَاسب	---	الطويل	٨١
الغَضَب	العباس بن الأحنف	المنسرح	٦٠
مشْرَعَب	---	الطويل	٥٣
سَاغب	---	الطويل	٧٤
صَالب	رجل من بني كلاب	الطويل	٩٥
(*) بطُحْلُب	امرؤ القيس	الطويل	٣٤
محْلَب	---	الطويل	٢٧-٢٨
القَلْب	قيس بن ذريح	الطويل	٥٧
تَقَلُّب	---	الطويل	٢٨
مَجْنُوب	سلامة بن جندل	البسيط	٨٦-٨٧
قريب	قيس بن الخطيم	الكامل	١٢
تَجريب	---	المنسرح	٦٩
خَفُوتُ	---	الخفيف	١٠٧
تَبَلَّت	---	الطويل	٤٨
تَدَلَّت	رجل من طيء	الطويل	١٠١
فَزَلَّت	طفيل الغنوي	الطويل	٨٠-٨١
الصِّلّت	ابن منادر	الهزج	٦٧
ولّت	عبد الرحمن بن الحكم	الطويل	٦٥

Scanned with CamScanner

القافية	القائل	البحر	الصفحة
مَتْلُوحُ	ـــــ	الطويل	٢٩
المَوَشَّحِ	ـــــ	الطويل	٤٣
الرَّجِحِ	لبَرِّ الأَصَابَةِ	الوافر	٩١
مُرَّةَ	ـــــ	الطويل	١٠٩
قُرَّةَ	ـــــ	الطويل	٤٧
جَبَّةَ	ـــــ	الطويل	٩٣
سَنَّوْ	الحطيئة	الطويل	١١
شَنَّوْ	الحطيئة	الطويل	٢٠/١٢
بعودُ	ـــــ	الطويل	٥٦
تَوَدَّدِ	ـــــ	الطويل	٨٥
بَدِي	القطامي	البسيط	١٢
مقلَّدُ	النابغة الذبياني	البسيط	١٣
السَّادِي	القطامي	البسيط	٣١
عِقَدِ	ـــــ	الكامل	١٠٧
صمدُ	ـــــ	الكامل	٨٧
الأيدِ	النابغة الذبياني	البسيط	٦٢
العَشَرِ	ـــــ	الطويل	٩١
بالمَسَدِ	النابغة الذبياني	البسيط	٢٩
المَدِّي	طرفة بن العبد	الطويل	١٥
القواعد	ـــــ	الطويل	٤٩
مُوقِد	الحطيئة	الطويل	٢٠/٧٨
العهد	ـــــ	الطويل	٢٩
الخلود	ـــــ	مجزوء الكامل	٨١
بَدِي	النابغة الذبياني	البسيط	١٠٦
بفرصادها	ـــــ	المتقارب	٣٩

Scanned with CamScanner

القافية	القائل	البحر	الصفحة
مُنْحَدِر	امرؤ القيس	المتقارب	١٤
المنفطر	---	المتقارب	٤٨
صَفَرْ	---	المتقارب	٣٥
المُسْتَكِرْ	---	الرمل	٦٣-٦٤
مُرّ	---	المتقارب	٧١
فُطَارَا	---	الوافر	٤١
استَعَارَا	---	المتقارب	٢٢/٤٥
الهَجْرَا	أبو دهبل الجمحي	الكامل	٥٩
أتَأخَّرَا	---	الطويل	٨٥
يُكَدَّرَا	النابغة الجعدي	الطويل	٩٨
مَحَارُ	---	الوافر	٣٥
الإزارُ	نصيب	الوافر	٤٧
نَارُ	الخنساء	البسيط	١٧
أُبَادِرُ	ورقاء العبسي	الطويل	١٦
آسِرُ	---	الطويل	١٠٧
القَصَرُ	خارجة بن فليح	البسيط	٨٣
القَطْرُ	---	الطويل	٣٣
وفْرُ	---	الطويل	٧٠
السُّكْرُ	---	الطويل	٣٩
القَمَرُ	---	البسيط	٧٨
يدورُ	الأعرابي	الوافر	٢٠
حُضُورُ	سباع السليمي	الطويل	٥٨
كثيرُ	إبراهيم النخعي	الطويل	١٠٣-١٠٤
تأخيرُ	---	البسيط	١٠١
مَزِيرُ	---	الوافر	٩٩
نُغيرُ	---	الوافر	٩٦

Scanned with CamScanner

القافية	القائل	البحر	الصفحة
غيارُها	---	الطويل	١٠٥
أمْطَارِ	رجل من كلب	البسيط	٥٤
مِقَارِ	حبيب القشيري	الكامل	٤٢
النَّارِ	---	البسيط	١٠٠
صوارِ	مالك بن عامر	المتقارب	١٠٠
وتَرِ	الفرزدق	الطويل	١٣
بالحَجَرِ	---	البسيط	٣٤
كَسْرِي	ابن الذئبة الثقفي	الطويل	١٠٤
يِستَشْرِي	عبيد الله	الطويل	٢٢
القَطْرِ	---	الطويل	٩٥
المشافر	---	الطويل	٧٠
الصُّفْرِ	---	الطويل	١٠٦
بكر	عبيد الله الهذلي	الطويل	١٠٣
يَمْرِي	الهذلي	الطويل	٤٤
تَحُوري	---	الوافر	٥١
الزُّبير	الزبير	الخفيف	١٠٨
حَامزُ	الشماخ	الطويل	٤٦
السَّدُوسْ	---	السريع	٤٩
مسَاسَا	النابغة الجعدي	المتقارب	٤٦
المجلسُ	المهلهل بن ربيعة	الكامل	٩٢
العَرَامسُ	---	الطويل	٢٩
لامسُ	ذو الرمة	الطويل	٣٠
الأبْرَش	---	المتقارب	٧٣-٧٤
مَقْبوضًا	عروة بن حزام	البسيط	٩٣
دَمعا	الأقرع بن معاذ	البسيط	٥٥/٥٩/٨٤-٨٥

Scanned with CamScanner

القافية	القائل	البحر	الصفحة
جُزْعا	----	الطويل	١٠٨
رَاجِعُ	----	الطويل	١٠٠
بَرْذَعُ	برذع الأوسي	الطويل	٨٣
تضَعْضَعُ	قطن بن نهشل	الطويل	٩٢
أتضعضعُ	----	الطويل	١٠٥
الصوانعُ	----	الطويل	٦٣
بجَعْجَاع	----	السريع	٤٠
كتَافا	أعرابية	المتقارب	٤٤
تعرفُ	----	الطويل	١٠٤
مُكلَّفُ	----	مجزوء الرجز	١٩
أخْلَقَا	ماجد الأسدي	الطويل	٩٨
اعتنقَا	زهير	البسيط	١٣
الملَقُ	----	البسيط	٩٩
طَرِيقُ	----	الطويل	١٠٩
خلائقُهْ	----	الطويل	٩٨
فاتقُهْ	----	الطويل	٣٢
كالفتاق	----	الخفيف	٥٤
باللِّحاق	ذو الخرق الطهوي	الوافر	٣٦
تَلاق	العباس بن الوليد	الوافر	٥٦
يعشق	----	الكامل	٦٣
المُخْلق	قيس بن ذريح	الكامل	٥٧-٥٨
تَلَّكا	كعب بن زهير	الطويل	٦٩/١٩
وَعَلَّكا	كعب بن زهير	الطويل	٦٩/١٩
شلالا	عبد العزيز الأزوري	المتقارب	٩٠
طوالا	----	الوافر	١١٠
حملا	----	البسيط	٧٧
نزيلا	----	الكامل	١٠٧

Scanned with CamScanner

القافية	القائل	البحر	الصفحة
هشام	حسان بن ثابت	الكامل	١٤
لحم	سهل بن أبي كثير	مجزوء الرمل	٦٥-٦٦
مُبْرَم	زهير	الطويل	١٥
حَازِم	بشار بن برد	الطويل	٩٩
قَشْعَم	زهير	الطويل	١٤
حُكَم	الحارث بن وعلة	الطويل	١٠٢
الكَلْم	---	الطويل	٤٨
شَيْبَانا	---	البسيط	٧٢
مَدَانا	الفضل اللَّهْبِيّ	الكامل	٨٢-٨٣
إيَّانا	---	الكامل	٨٨
حزينا	---	الوافر	٦٢
كائنُ	قيس بن ذريح	الطويل	٥٧
يَصُونها	---	الطويل	٨٥
بالعيدان	---	الكامل	٧٧
بمكان	---	الكامل	٦٢
الأيمان	عبد الله بن مصعب	الكامل	١٠٣
سنان	عروة بن حزام	الطويل	٥٦
الهَمَيان	---	الطويل	٥٩-٦٠
يأتيني	عروة بن أذينة	البسيط	٩٨
ديني	---	الوافر	٣٠
البَرَاذين	---	البسيط	٦٥
القَرين	الشماخ	الوافر	١٢
كَرَاها	---	الوافر	٩٧
لهـا	الخنساء	المتقارب	١٨
مَرَاقيها	---	البسيط	٤٣
أرانيها	---	البسيط	

Scanned with CamScanner

القافية	القائل	البحر	الصفحة
(*) النجة	----	الكامل	٨٠
تنانيا	الحارث بن خالد	الطويل	٥٥
لنا	جرير	الطويل	٢٢
كما هيا	زفر الكلابي	الطويل	٨٧

Scanned with CamScanner

فهرس المصادر والمراجع(*)

- القرآن الكريم .

١- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، د. محمد مصطفى هداره ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، مكتبة الدراسات الأدبية (٢٩) .

٢- أثر النحاة في البحث البلاغي ، د. عبد القادر حسين ، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع ، الدوحة - قطر ، ط٢ مزيدة ومنقحة ، د.ت .

٣- الأدب العربي وتاريخه في العصرين (الأموي والعباسي) ، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٤- أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام (حياتهم ، آثارهم ، نقد آثارهم) ، د. بطرس البستاني ، دار مارون عبود ، طبعة جديدة منقحة ، مشروحة ، مفهرسة ، ١٩٧٩م .

٥- أراجيز العرب ، منقحة ومصحّحة على النسخة الأصلية ، لمحمد توفيق البكري (ت ١٣٥١هـ) ، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ط .

٦- إشارة التعيين في تراجم النحاة اللغويين ، لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (٦٨٠هـ - ٧٤٣هـ) ، تحقيق : د. عبد المجيد دياب ، د.ط .

٧- أشجع السلمي حياته وشعره ، د. خليل بنيان الحسون ، ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب ، دار المسيرة - بيروت ، ط١ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٨- الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، السعادة ، ١٣٢٣هـ).

٩- الأعلام ، لخير الدين بن محمود الزركلي (ت ١٣١٠هـ) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م

١٠- الأغاني ، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) ، تحقيق : د. إحسان عباس ، د. إبراهيم السعافين ، أ. بكر عباس ، دار صادر - بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٠م .

١١- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للوزير جمال الدين القفطي (٥٦٨ - ٦٤٦هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م .

Scanned with CamScanner

(*) هذه العلامة تشير إلى المصادر والمراجع التي أشار إليها المحقق وهي في عهدته .

١٢- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، للإمام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن الأنباري النحوي (٥١٣هـ - ٥٧٧هـ) ، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف ، لمحمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

١٣- البداية والنهاية ، لابن كثير عماد الدين إسماعيل الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، دار الفكر العربي ، ط١ ، ١٣٥١هـ - ١٩٣٣م .

١٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للحافظ جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط١ ، ١٩٦٤م .

١٥- تاريخ الأدب العربي ، لعمرو فروخ ، دار العلم للملايين ، لبنان - بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٤م .

١٦- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ، د.شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٨ ، د.ت .

١٧- تاريخ بغداد ، للحافظ أبي بكر أحمد بن الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، د.ط .

١٨- تاريخ دمشق ، لأبي القاسم علي بن الحسين ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) ، تحقيق وتعليق وتخريج : العلامة أبي عبد الله الجنوبي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، د.ط .

١٩- تذكرة الحفاظ ، للإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند ، ط٣ ، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .

٢٠- تهذيب الأسماء واللغات ، للعلامة الحافظ أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية - مصر ، د.ط .

٢١- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠هـ - ١٠٩٣هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ج١-٤ ، ط٤ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، ج٢-٣ ، د.ط ، ج٥ ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ج٦ ، ط٣ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، ج٧ ، ط٣ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، ج١١ ، ط١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٢٢- ديوان أبي دهبل الجمحي ، رواية أبي عمرو الشيباني ، تحقيق : عبد العظيم عبد المحسن ، د.ط .

٢٣- ديوان الأخطل ، شرحه وصنف قوافيه وقدّم له : مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٢٤- ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن معين) ، شرح وتعليق : د. محمد محمد حسين ، المكتب الشرفي للنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، د.ط .

٢٥- ديوان امرئ القيس ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ١٩٦٤م ، من سلسلة ذخائر العرب (٢٤) .

٢٦- ديوان بني أسد (أشعار الجاهليين والمخضرمين) ، جمع وتحقيق ودراسة : د. محمد علي دق

Scanned with CamScanner

دار صادر - بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م .

٢٧- ديوان جرير - دار بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٢٨- ديوان جميل بثينة ، حققه وقدم له : المحامي فوزي عطوي ، دار صعب - بيروت ، ط١ ، ١٩٦٩م ، ط٢ ، ١٩٧٣م ، ط٣ ، ١٩٨٠م .

٢٩- ديوان الحطيئة ، مع رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني ، شرح أبي سعيد الحسن السكري (ت ٢٧٥هـ) ، دار صادر - بيروت ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

٣٠- ديوان الخنساء ، دار صادر - دار بيروت ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .

٣١- ديوان سلامة بن جندل ، د. فخر الدين قباوة ، المكتبة العربية - حلب ، ط١ ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م .

٣٢- ديوان شعر ذي الرمة - وهو غيلان بن عقبة العدوي - ، عني بتصحيحه وتنقيحه : كارليل هنري هيس مكارتني ، طبع على نفقة كلية كمبريج في مطبعة الكلية ، سنة ١٣٣٧هـ - ١٩١٩م .

٣٣- ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، حققه وشرحه : صلاح الدين الهادي ، دار المعارف ، د.ط ، من سلسلة ذخائر العرب (٤٢) .

٣٤- ديوان طفيل الغنوي ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد ، دار الكتاب الجديد ، د.ط .

٣٥- ديوان العباس بن الأحنف ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٣٦- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، تحقيق وشرح : د. عزيزة فوال بابتي ، دار الجيل - بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

٣٧- ديوان العجاج ، تحقيق : د. عزة حسن ، بيروت ، ١٩٧١م .

٣٨- ديوان عروة بن حزام (عروة عفراء) ، جمع وتحقيق وشرح : أنطوان محسن القوّال ، دار الجيل - بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

٣٩- ديوان علقمة الفحل ، بشرح الأعلم الشنتمري ، حققه : لطفي الصقال ، درية الخطيب ، راجعه : د. فخر الدين قباوة ، دار الكتاب العربي بحلب ، د.ط ، من سلسلة كنوز الشعر العربي .

٤٠- ديوان القطامي (عمير بن شيم التغلبي) (ت ١٠١هـ) ، دراسة وتحقيق : د. محمد الربيعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١م .

٤١- ديوان قيس ولبنى ، شرح : عدنان زكي درويش ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

٤٢- ديوان مهلهل بن ربيعة ، إعداد وتقديم : طلال حرب ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م .

٤٣- ديوان النابغة الذبياني ، جمعه وحققه وشرحه وكمله وعلق عليه : فضيلة العلامة سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر عاشور ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٧٦م .

٤٤- ديوان النمر بن تولب العكلي ، جمع وشرح وتحقيق : د. محمد نبيل طريفي ، دار صادر - بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

٤٥- ذم الهوى ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق : د. مصطفى عبد الواحد ، ومراجعة : د. محمد الغزالي ، مطبعة السعادة - القاهرة ، ط١ ، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

٤٦- زهر الآداب وثمر الألباب ، لأبي إسحاق إبراهيم الحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ) ، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم : د. زكي مبارك ، دار الجيل - بيروت ، ط٥ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

٤٧- سير أعلام النبلاء ، للإمام أبي عبد الله شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه : شعيب الأرنؤوط ، ج١٤ ، وحقق هذا الجزء : أكرم البوشي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٤٨- شذرات الذهب في خبر من ذهب ، للمؤرخ الفقيه ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة - بيروت ، د.ط .

٤٩- شرح ديوان كعب بن زهير ، صنعة الإمام أبي سعيد الحسن السكري (ت ٢٧٥هـ) ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، مركز تحقيق التراث ، ط٣ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٥٠- شعراء بني قشير في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي ، جمع وتحقيق : د. عبد العزيز محمد الفيصل ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٥١- شعر أبي زبيد الطائي ، جمعه وحققه : د. نوري حمودي القيسي ، ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م .

٥٢- شعر الحارث بن خالد المخزومي ، تحقيق : د. يحيى الجبوري ، ساعدت جامعة بغداد على طبع هذا الكتاب ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ط١ ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

٥٣- شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام ، جمع وتحقيق : د. وفاء السنديوني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٥٤- شعر قبيلة كلب حتى نهاية العصر الأموي ، جمع وتحقيق ودراسة : أحمد محمد علي عبيد ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الأمارات العربية المتحدة ، ١٩٩٩م .

٥٥- شعر الكميت بن زيد الأسدي ، جمع وتقديم : د. داود سلوم ، ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب ، مكتبة الأندلس - شارع المتنبي - بغداد ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٦٩٩م .

٥٦- الشعر والشعراء ، لأبي محمد عبد الله بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، ١٩٦٦م .

٥٧- شعر يزيد بن الطثرية ، صنعة : حاتم الضامن ، ساعدت وزارة الإعلام على نشره ، مطبعة أسعد ، ١٣٩٣هـ .

٥٨- صفة الصفوة ، لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، حيدرآباد ، ١٣٥٦هـ().

٥٩- طبقات فحول الشعراء ، لمحمد بن سلام الجمحي (١٣٩-٢٣١هـ) ، قرأه وشرحه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، دار المدني - جدة ، د.ط .

٦٠- العبر في خبر من غبر ، للإمام أبي عبد الله شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق : فؤاد

Scanned with CamScanner

فهـــرس الموضوعـــات

الموضوعـــات	الصفحة
ملخص الرسالة (عربي)	٤٢٩
مقدمة	٤٣٠
التمهيد	٤٣١
أولاً : ترجمة المؤلف	٤٣٣
ثانيًا : علاقة كتاب (قواعد الشعر) باختيارات ثعلب الشعرية	٤٣٩
ثالثًا : قيمة كتاب (مجالس ثعلب) والمنهج المتبع في عرض وشرح الشعر الوارد فيه ...	٤٥٢
مبحث : الأغراض الشعرية	٤٥٥
مدخل	٤٥٦
– الوصف	٤٥٦
– الغزل	٤٨٥
– الهجاء	٤٩٩
– المديح	٥١١
– الفخر	٥٢١
– الرثاء	٥٢٩
– الحكمة والزهد	٥٣٥
أولاً : الحكمة	٥٣٥
ثانيًا : الزهد	٥٣٩
– الإخوانيات	٥٤٠
أولاً : العتاب	٥٤٠
ثانيًا : الشكوى	٥٤٣
ثالثًا : النصح والإرشاد	٥٤٤
رابعًا : الاعتذار	٥٤٥
خامسًا : الاستعطاف	٥٤٥
سادسًا : التأنيب	٥٤٦
– الحنين	٥٤٧
– التحسّر	٥٤٨
الخلاصة العامة للأغراض الشعرية	٥٤٩
الخاتمة	٥٥٠
أولاً : النتائج	٥٥٠
ثانيًا : التوصيات	٥٥١
الفهـــارس	٥٥٣
– فهرس الشواهد الشعرية	٥٥٤
– فهرس المصادر والمراجع	٥٦٦
– فهرس الموضوعات	٥٧٢

Scanned with CamScanner

Title: poetic purposes on the boards of Fox.

A / Yasmin bint outsider bin Bakhit Lahibi

Thankfully, prayer and peace be upon the Prophet Muhammad and his family and companions .. After:

This research included: introduction, preface, Aagafoheme Study of the purposes of poetry containing several axes, and followed by a conclusion include the most important findings.

. introduction: I have to, inter alia, are: reasons for choosing the topic, previous studies, the research plan.

. boot: talked about a translation of the world Galilee who are studying his book, Abu Abbas Fox, both: personal and scientific, this, I have spoken about the relationship of the book (rules hair) - which likely attributed to Fox - those choices noodles contained in the boards.

. Study purposes of poetry: poetry anthologies study examined contained in (councils Fox) objective study, and by talking about sensitive poetic purposes in the study, according to most of them.

. then appended to the foregoing conclusion include the most important results, including the following:

. ١ / touched Fox through capillary Mokhtarath to most of the subjects of Arabic poetry; Kalocef, spinning, and spelling, and praise, pride, wisdom, and asceticism, and Alajoaniat. That Fox has proved more than the purpose of description compared to other purposes; to تلاؤمه with his linguistic doctrine.

then Trzath. appropriate indexes to search requirements.

Scanned with CamScanner